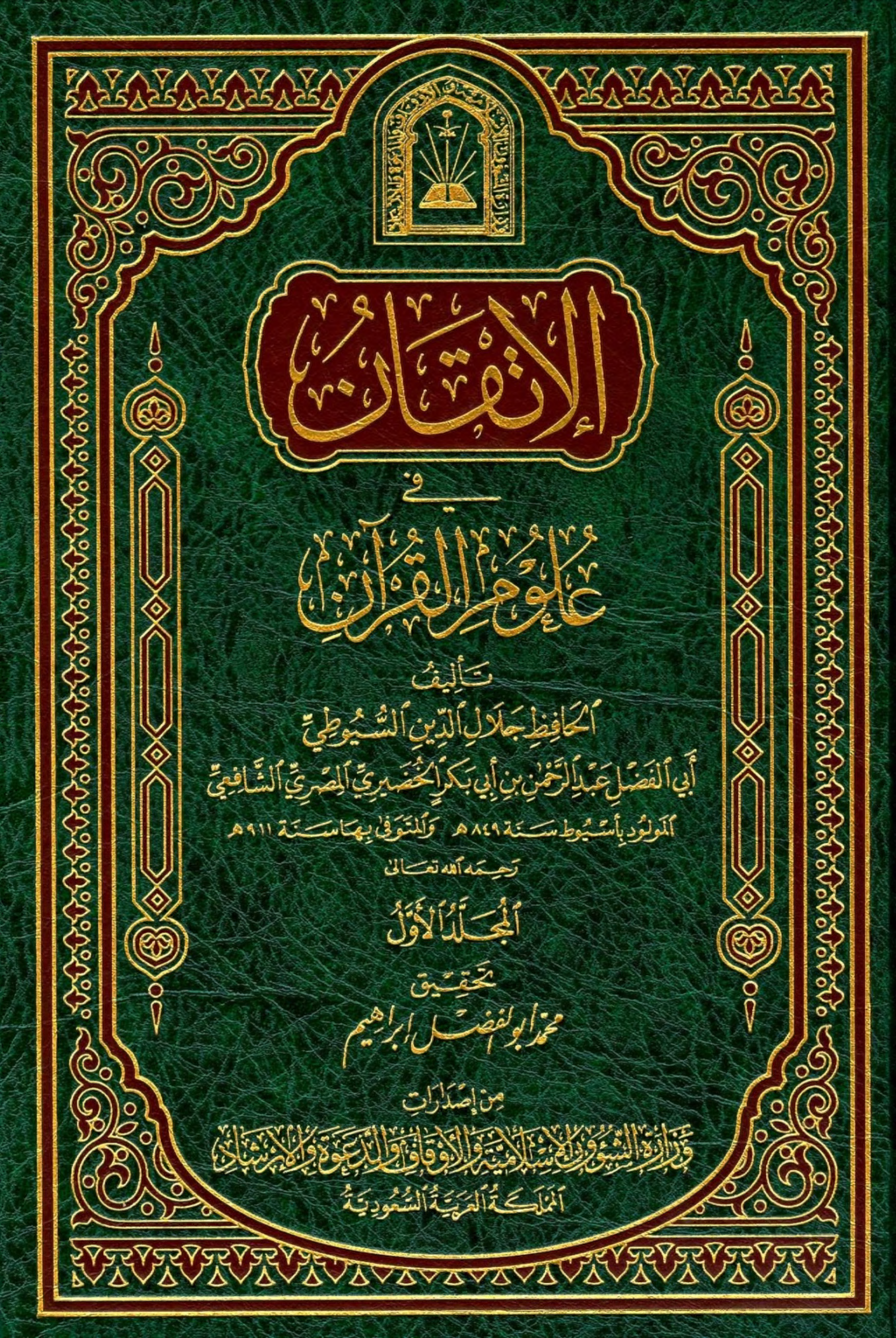


الإتقان
في
علوم القرآن
تأليف
الحافظ جلال الدين السيوطي
أبي الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر الخضيري المصري الشافعي
المولود بأسيوط سنة ٨٤٩هـ والمتوفى بها سنة ٩١١هـ
رحمه الله تعالى
المجلد الأول
تحقيق
محمد أبو الفضل إبراهيم
من إصدارات
وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد
المملكة العربية السعودية



تأليف

الحافظ جلال الدين السيوطي

أبي الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر الخضيري المصري الشافعي

المولود بأسيوط سنة ٨٤٩ هـ والمتوفى بها سنة ٩١١ هـ

رحمه الله تعالى

تحقيق

محمد أبو الفضل إبراهيم

من إصدارات

وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد

المملكة العربية السعودية

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ..

(١) يقول سيدنا وشيخنا الإمام العالم العلامة البحر الفهامة ، الرُّحلة جلال الدين ، نجل سيدنا الإمام العالم العلامة كمال الدين السيوطيّ الشافعيّ ، فسح الله فى مدّته (١) .

الحمدُ لله الّذى أنزل على عبده الكتاب ، تبصرةً لأولى الألباب، وأودعه من فنون العلوم والحِكَم العجَب العُجاب ، وجعله أجلّ الكتب قدرًا ، وأغزرها علما، وأعذبها نظما وأبلغها فى الخطاب ، قرآنا عربيًّا غير ذى عِوَجٍ ، ولا مخلوقٍ ؛ لا شبهة (٢) فيه ولا ارتياب .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له ربّ الأرباب ، الذى عنتْ لقيّوميّته الوجوه وخضعت لعظمته الرّقاب .

وأشهد أنّ سيدنا محمداً عبده ورسوله المبعوث من أكرم الشعوب وأشرف الشِّعاب، إلى خير أمّة بأفضل كتاب ، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه الأنجاب ، صلاة وسلاماً دائمَين إلى يوْم المآب .

وبعد ، فإنّ العلم بحر زخّار ، لا يُدرَك له من قرار ، وطودٌ شامخ لا يُسلك إلى قُنّته ولا يُصار ، مَنْ أراد السبيل إلى استقصائه لم يبلغ إلى ذلك وصولا ، ومَنْ رام الوصول إلى إحصائه لم يجدْ إلى ذلك سبيلا ، كيف وقد قال تعالى مخاطبا لخلقهِ : ﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (٣). وإنّ كتابنا القرآن لهو مفجَر العلوم ومنبعها ، ودائرة شمسها ومطلعها،

(١ — ١) كذا فى الأصل ، وفى ط : « قال الشيخ الإمام العالم العلامة ، الحبر البحر الفهامة ، المحقق المدقق الحجة الحافظ المجتهد شيخ الإسلام والمسلمين ، وارث علوم سيد المرسلين ، جلال الدين ، أوحد المجتهدين، أبو الفضل عبد الرحمن بن سيدنا الشيخ المرحوم كمال الدين، عالم المسلمين، أبو المناقب أبو بكر السيوطى الشافعى » .

(٢) ط : « ولا شبهة »

(٣) سورة الإسراء ٨٥

أودعَ فيه سبحانه وتعالى علم كلّ شيء ، وأبان فيه كلّ هدْيٍ وغيّ ، فترى كلّ ذي فنٍ منه يستمدّ وعليه يعتمد ، فالفقيه يستنبط منه الأحكام ، ويستخرج حكم الحلال والحرام ، والنّحويّ يبني منه قواعد إعرابه ، ويرجع إليه في معرفة خطأ القول من صوابه ، والبيانيّ يهتدي به إلى حسن النظام ، ويعتبر مسالك البلاغة في صوغ الكلام . وفيه من القصص والأخبار ما يذكّر أولي الأبصار ، ومن المواعظ والأمثال ما يزدجر به أولو الفكر والاعتبار ، إلى غير ذلك من علومٍ لا يقدر قدرَها إلّا مَنْ علم حصرها . هذا مع فصاحة لفظ وبلاغة أسلوب ، تبهر العقول وتسلب القلوب ، وإعجاز نظم لا يقدر عليه إلا علّام الغيوب.

ولقد كنت في زمان الطلب أتعجّب من المتقدّمين إذْ لم يدوّنوا كتاباً في أنواع علوم القرآن ؛ كما وضعوا ذلك بالنّسبة إلى علم الحديث ، فسمعت شيخنا أستاذ الأستاذين ، وإنسان عين الناظرين ، خلاصة الوجود علامة الزمان ، فخر العصر وعين الأوان ، أبا عبد الله محيي الدّين الكافِيَجيّ (١) — مدّ الله في أجله ، وأسبغ عليه ظلّه — يقول : قد دونتُ في علوم التفسير كتاباً لم أُسْبَق إليه ؛ فكتبته عنه فإذا هو صغير الحجم جدًّا ، وحاصل ما فيه بابان : الأول في ذكر معنى التفسير والتأويل والقرآن والسُّورة والآية ، والثاني في شروط القول فيه بالرأي ، وبعدهما خاتمة في آداب العالم والمتعلّم ؛ فلم يشفِ لي ذلك غليلا ، ولم يهدِني إلى المقصود سبيلا .

ثم أوقفني شيخنا شيخ مشايخ الإسلام قاضي القضاة وخلاصة الأنام حامل لواء المذهب المُطلبيّ عَلَمُ الدّين البُلْقِينيّ رحمه الله تعالى ، على كتاب في ذلك لأخيه قاضي القضاة جلال الدين (٢) . سمّاه مواقع العلوم من مواقع النجوم ، فرأيته تأليفاً لطيفا ، ومجموعا

---

(١) هو محمد بن سليمان بن سعد بن مسعود الرومي الحنفي ، من كبار العلماء بالمعقولات ، لازمه السيوطي أكثر من ١٤ عاما ، وعرف بالكافيجي لكثرة اشتغاله بالكافية في النحو ، وولي وظائف بمصر ، منها مشيخة الخانقاه الشيخونية وانتهت إليه رياسة الحنفية بمصر . توفي سنة ٨٧٩ — شذرات الذهب ٧ : ٣٢٦ .

(٢) هو عبد الرحمن بن عمر بن رسلان الكناني العسقلاني ، أبو الفضل جلال الدين ، من علماء الحديث بمصر ، وإليه انتهت رياسة الفتوى ، وولي القضاء بالديار المصرية مرارا ، مات بالقاهرة سنة ٨٢٤ — سلك الدرر ٢ : ٣٠٨ . وفي حاشية الأصل : «البلقيني ، بضم الباء وسكون اللام وكسر القاف ، ضبطه كذلك في كتابه الموضوع في الأنساب ، وقد سمعته منه» .

ظريفا ، ذا ترتيبٍ وتقرير ، وتنويع وتحبير . قال فى خطبته :

قد اشتهرت عن الإمام الشافعيِّ رضى الله عنه مخاطبةٌ لبعض خلفاء بنى العبّاس، فيها ذِكْرُ بعض أنواع القرآن، يحصل منها المقصد نا الاقتباس. وقد صنّف فى علوم الحديث جماعة فى القديم والحديث، وتلك الأنواع فى سنده دون متنه ، وفى مُسنديه[1] وأهل فنّه، وأنواع القرآن شاملة وعلومه كاملة. فأردت أن أذكر فى هذا التصنيف ما وصل إلى علمى؛ ممّا حواه القرآن الشريف ، من أنواع علمه المنيف ، وينحصر فى أمور :

(الأول): مواطن النزول وأوقاته ووقائعه، وفى ذلك اثنا عشر نوعا: المكىّ، المدنىّ، السفرىّ، الحضرىّ، الليلىّ، النهارىّ، الصيفى، الشتائىّ، الفراشى، أسباب النزول، أوّل ما نزل، آخر ما نزل.

(الأمر الثانى): السّند، وهو ستة أنواع: المتواتر ، الآحاد ، الشاذّ ، قراءات النبىّ صلى الله عليه وسلم، الرواة ، الحفّاظ .

(الأمر الثالث) : الأداء ، وهو ستة أنواع : الوقف ، الابتداء ، الإمالة ، المدّ ، تخفيف الهمزة ، الإدغام .

(الأمر الرابع) : الألفاظ، وهو سبعة أنواع : الغريب ، المعرّب ، المجاز ، المشترك ، المترادف، الاستعارة ، التشبيه .

(الأمر الخامس): المعانى المتعلقة بالأحكام، وهو أربعة عشر نوعا: العامّ الباقى على عمومه، العامّ المخصوص : العام الذى أريد به الخصوص ، ما خصّ فيه الكتابُ السّنة، ما خصّصت فيه السّنّة الكتاب ، المجمل ، المبيّن[2] ، المؤوّل ، المفهوم ، المطلق ، المقيّد ، الناسخ ، المنسوخ ، نوع من الناسخ والمنسوخ ، وهو ما عمل به من الأحكام مدّة معيّنة والعامل به واحد من المكلفين .

(الأمر السادس): المعانى المتعلّقة بالألفاظ ، وهو خمسة أنواع: الفصل، الوصل ، الإيجاز، الإطناب ، القصر .

---

(١) ط : « أوفى مسنديه » .

(٢) حاشية الأصل من نسخة : « الظاهر » .

وبذلك تكملت الأنواع خمسين . ومن الأنواع مالا يدخل تحت الحصر : الأسماء ، الكنى ، الألقاب ، المبهمات .

فهذا نهاية ماحِصر من الأنواع .

***

هذا آخر ماذكره القاضى جلال الدين فى الخطبة ؛ ثم تكلّم فى كل نوع منها بكلام مختصَر يحتاج إلى تحرير وتتمّات وزوائدمهمات . فصنّفت فى ذلك كتاباً سمّيته «التحبير فى علوم التفسير»، ضمّنتُه ما ذكر البُلقينىّ من الأنواع مع زيادة مثلها ،وأضفت إليه فوائد سمحت القريحة بنقلها ،وقلت فى خطبته :

أما بعد فإنّ العلوم وإن كثر عددها ، وانتشر فى الخافقين مَدَدُها ، فغايتها بحرٌ قعره لايدرَك، ونهايتها طَوْدٌ شامخ لايستطاع إلى ذروته أن يُسلَك ، ولهذا يفتح لعالِم بعد آخر من الأبواب ،مالم يتطرّق إليه من المتقدّمين الأسباب . وإنّ ممّا أهمل[1] المتقدّمون تدوينه حتى تحلّى فى آخر الزمان بأحسن زينة ، علم التفسير الذى هو كمصطلح الحديث ،فلم يدوّنه أحدٌ لا فى القديم ولا فى الحديث ، حتى جاء شيخُ الإسلام وعمدةِ الأنام ، علاّمة العصر ، قاضى القضاة جلال الدين البُلقِينىّ رحمه الله تعالى ، فعمل فيه كتابَه« مواقع العلومِ من مواقع النجوم»، فنقّحه وهذّبه ،وقسّم أنواعه ورتّبه ، ولم يُسبَق إلى هذه المرتبة، فإنه جعله نيّفاً وخمسين نوعا ،منقسمة إلى ستة أقسام ، وتكلّم فى كلّ نوعٍ منها بالمتين من الكلام ، فكان كما قال الإمام أبو السعادات ابن الأثير فى مقدّمة نهايته: كلّ مبتدىء لشىء لم يُسبَق إليه ، ومبتدع أمراً[2] لم يتقدّم فيه عليه ،فإنه يكون قليلاً ثم يكثر،وصغيراً ثم يكبر[3] .

فظهر لى استخراجُ أنواع لم يسبِق إليها ، وزيادة مهمات لم يستوفِ الكلام عليها ، فجرّدت الهمة إلى وضع كتاب فى هذا العلم ، وأجمع بهِ إن شاء الله تعالى شوارده ، وأضمّ إليه فوائده ، وأنظم فى سلكه فرائده؛ لأكون فى إيجاد هذا العلم ثانى اثنين ، وواحداً

---

(١) ط : « أهل » تحريف

(٢) النهاية « لأمر ».

(٣) نهاية ابن الأثير ١ : ٤

فى جمع الشتيت منه كألف أو كألفين، ومصيّراً فنّى التفسير والحديث فى استكمال التقاسيم ألفين. وإذ برز نَوْر كامه وفاح، وطلع بدر كماله ولاح، وأذّن فجره بالصّباح، ونادى داعيه بالفلاح، سميته بالتحبير فى علوم التفسير. وهذه فهرست الأنواع بعد المقدّمة:

النوع الأول والثانى: المكىّ والمدنىّ.
الثالث والرابع : الحضَرىّ والسَّفَرىّ.
الخامس والسادس: النهارىّ والليلّى.
السابع والثامن : الصّيْفىّ والشتائىّ.
التاسع والعاشر : الفِراشىّ والنّومىّ.
الحادِى عشر : أسباب النّزول.
الثانى عشر : أوّل ما نزل.
الثالث عشر : آخر ما نزل.
الرابع عشر : ماعرِف وقت نزوله
الخامس عشر : ما أنزل فيه ولم ينزل على أحد من الأنبياء.
السادس عشر : ما أنزِل منه على الأنبياء.
السّابع عشر : ماتكرّر نزوله.
الثامن عشر : ما نَزَلَ مفرّقاً.
التاسع عشر : ما نزل جَمْعاً.
العشرون : كيفية إنزاله. وهذه كلها متعلّقة بالنزول.

الحادى والعشرون: المتواتر.
الثانى والعشرون: الآحاد.
الثالث والعشرون: الشّاذّ
الرابع والعشرون: قراءات النبى صلى الله عليه وسلم.

الخامس والسادس والعشرون : الرواة والحفاظ

السابع والعشرون : كيفيّة التحمّل

الثامن والعشرون : العالى والنّازل

التاسع والعشرون : المسلسل . وهذه متعلّقة بالسَّند

الثلاثون : الابتداء

الحادى والثلاثون : الوقف

الثانى والثلاثون : الإمالة

الثالث والثلاثون : المدّ

الرابع والثلاثون : تخفيف الهمزة

الخامس والثلاثون : الإدغام

السادس والثلاثون : الإخفاء

السابع والثلاثون : الإقلاب

الثامن والثلاثون : مخارج الحروف. وهذه متعلقة بالأداء

التاسع والثلاثون : الغريب

الأربعون : المعرّب

الحادى والأربعون : المجاز .

الثانى والأربعون : المشترك .

الثالث والأربعون : المترادف .

الرابع والخامس والأربعون : المحكم والمتشابه .

السادس والأربعون : المشكل .

السابع والثامن والأربعون : المجمل والمبيّن .

الحادى والثمانون : الالتفات .

الثانى والثمانون : الفواصل والغايات .

الثالث والرابع والخامس والثمانون : أفضل القرآن وفاضله ومفضوله .

السادس والثمانون : مفردات القرآن .

السابع والثمانون : الأمثال .

الثامن والتاسع والثمانون : آداب القارئ والمقرئ .

التسعون : آداب المفسر .

الحادى والتسعون : من يقبل تفسيره ومن يردّ .

الثانى والتسعون : غرائب التفسير .

الثالث والتسعون : معرفة المفسرين .

الرابع والتسعون : كتابة القرآن .

الخامس والتسعون : تسمية السور .

السادس والتسعون : ترتيب الآى والسُّور .

السابع والثامن والتاسع والتسعون : الأسماء والكُنى والألقاب .

المائة : المبهمات .

الأول بعد المائة : أسماء من نزل فيهم القرآن .

الثانى بعد المائة : التاريخ .

وهذا آخِر ماذكرته فى خطبة « التحبير » . وقد تمّ هذا الكتاب ولله الحمد من سنة اثنتين وسبعين ، وكتبه مَنْ هو فى طبقة أشياخى من أولى التحقيق . ثم خطر لى بعد ذلك أن أؤلف كتاباً مبسوطاً ، ومجموعاً مضبوطاً ، أسلك فيه طريق الإحصاء ، وأمشى فيه على منهاج الاستقصاء . هذا كله وأنا أظن أنى متفرّد بذلك ، غير مسبوق بالخوض فى هذه المسالك ، فبينا أنا أجيل فى ذلك فكراً ، أقدّم رِجلاً وأؤخر أخرى ، إذ بلغنى أنّ الشيخ الإمام بدر

الدين محمد بن عبد الله الزركشيّ [١]، أحد متأخرى أصحابنا الشافعيّين ، ألف كتاباً فى ذلك حافلا، يسمى «البرهان فى علوم القرآن»، فتطلّبته حتى وقفتُ عليه ، فوجدته ،قال فى خطبته :

لمّا كانت علوم القرآن لاتحصى ، ومعانيه لاتستقصى ، وجبت العناية بالقدْرِ الممكن . ومما فات المتقدمين، وضع كتاب يشتمل على أنواع علومه كما وضع النّاسُ ذلك بالنسبة إلى علم الحديث ؛ فاستخرت الله تعالى — وله الحمد — فى وضع كتاب فى ذلك، جامع لما تكلم الناس فى فنونه ، وخاضوا فى نُكَته وعيونه ، وضمّنتهُ من المعانى الأنيقة ، والحكم الرشيقة ، ما بَهَر القلوب عجباً [٢] ، ليكونَ مفتاحاً لأبوابه ، عنوانا على كتابه ، معيناً للمفسّر على حقائقه ، مطلعاً على بعض أسراره ودقائقه ، وسمّيتُهُ « البُرْهان ، فى علوم القرآن » :

وهذه فهرست أنواعه :

النّوع الأوّل : معرفة سبب النزول .

الثانى : معرفة المناسبة [٣] بين الآيات.

الثالث : معرفة الفواصل .

الرابع : معرفة الوجوه والنظائر .

الخامس : علم المتشابه .

السادس : علم المبهمات ..

السابع : فى أسرار الفواتح .

الثامن : فى خواتم السور .

التاسع : فى معرفة المكىّ والمدنىّ .

العاشر : فى معرفة أوّل ما نزل .

---

(١) هو الإمام بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشى ، ولد بالقاهره سنة ٧٤٥، وتفقه بمذهب الشافعى ، ولازم جمال الدين الإسنوى رئيس الشافعيه بمصر ، وتخرج على الشيخ سراج الدين البلقيني والحافظ مغلطاى ، وألف فى الحديث والفقه الشافعى والأصول . وتوفى سنة ٧٩٤ . حسن المحاضرة ١ : ٦٨٥ .

(٢) البرهان : « مايهز القلوب طربا ، ويبهر العقول عجبا » .

(٣) البرهان: « المناسبات » .

الحادى عشر : معرفة على كمْ لغة نزل .
الثانى عشر : فى كيفية إنزاله .
الثالث عشر : فى بيان جمعه ومَنْ حفِظه من الصحابة .
الرابع عشر : معرفة تقسيمه .
الخامس عشر : معرفة أسمائه .
السادس عشر : معرفة ماوقع فيه من غير لغة الحجاز .
السابع عشر : معرفة مافيه من غير لغة العرب .
الثامن عشر : معرفة غريبه .
التاسع عشر : معرفة التصريف.
العشرون : معرفة الأحكام .
الحادى والعشرون : معرفة كون اللفظ أو التركيب أحسن وأفصح .
الثانى والعشرون :معرفة اختلاف الألفاظ بزيادة أو نقص
الثالث والعشرون : معرفة توجيه القرآن .
الرابع والعشرون : معرفة الوقف .
الخامس والعشرون : علم مرسوم الخط .
السادس والعشرون : معرفة فضائله .
السابع والعشرون : معرفة خواصه .
الثامن والعشرون : هل فى القرآن شىء أفضل من شىء؟
التاسع والعشرون : فى آداب تلاوته .
الثلاثون : فى أنه هل يجوز فى التصانيف والرسائل والخطب استعمال بعض آيات القرآن ؟
الحادى والثلاثون : معرفة الأمثال الكامنة فيه .

والثانى والثلاثون : معرفة أحكامه .
الثالث والثلاثون : معرفة جدله .
الرابع والثلاثون : معرفة ناسخه ومنسوخه .
الخامس والثلاثون : معرفة مُوهم [1] المختلف .
السادس والثلاثون : معرفة المحكم من المتشابه .
السابع والثلاثون : فى حكم الآيات المتشابهات الواردة فى الصفات .
الثامن والثلاثون : معرفة إعجازه .
التاسع والثلاثون : معرفة وجوب متواتره .
الأربعون : فى بيان معاضدة السنة الكتاب .
الحادى والأربعون : معرفة تفسيره .
الثانى والأربعون : معرفة وجوه المخاطبات .
الثالث والأربعون : بيان حقيقته ومجازه .
الرابع والأربعون : فى الكنايات والتعريض .
الخامس والأربعون : فى أقسام معنى الكلام .
السادس والأربعون : فى ذكر ماتيسر من أساليب القرآن .
السابع والأربعون : فى معرفة الأدوات .

واعلم أنه مامِنْ نوع من هذه الأنواع إلا ولو أراد الإنسان استقصاءه لاستفرغ عمره ثم لم يحكم أمره ، ولكن اقتصرنا من كلٍّ نوع على أصوله ، والرَّمز إلى بعض فصوله ، فإن الصناعة طويلة والعمر قصير ، وماذا عسى أن يبلغ لسان التقصير [2] ؟

هذا آخر كلام الزركشى فى خطبته .

---

(١) البرهان : « توهم » .

(٢) بعدها فى البرهان هذا البيت :

قالوا خذِ العَينْ من كُلٍّ فقلتُ لهمْ ... فى العَيْن فضلٌ ولكن ناظر العَيْن

ولما وقفتُ على هذا الكتاب ، ازددت به سروراً ، وحَمِدْتُ الله كثيراً ، وقوىَ العزم على إبراز ماأضمرتُهُ ، وشددت الحزم فى إنشاء التصنيف الّذى قصدتُهُ ، فوضعت هذا الكتاب العلىّ الشان ، الجلىّ البُرهان ، الكثير الفوائد والإتقان ، ورتّبتُ أنواعَهُ ترتيباً أنسب من ترتيب البرهان ، وأدمجْت بعضَ الأنواع فى بعض ، وفصّلت ماحقّه أن يُبان ، وزدته على مافيه من الفوائد والفرائد ، والقواعد والشوارد ، مايشنّف الآذان ، وسميته بالإتقان فى علوم القرآن . وسترى فى كلّ نوع منه إن شاء الله تعالى مايصلح أن يكون بالتصنيف مفرداً ، وستروَى من مناهله العذبة ريًّا لاظمأ بعده أبداً . وقد جعلته مقدّمة التفسير الكبير الذى شرعت فيه ، وسميته بمجمع البحرين ، ومطالع البدرَيْن ، الجامع لتحرير الرواية ، وتقرير الدراية ، ومن الله استمدّ التوفيق والهداية ، والمعونة والرعاية ؛ إنه قريب مجيب ، وماتوفيقى إلا بالله ، عليه توكلت وإليه أنيب . وهذه فهرست أنواعه :

الثالث عشر : معرفة مانزل مفرّقاً وما نزل جمعا .

الرابع عشر : مانزل مشيّعاًومانزل مفردا.

الخامس عشر : ما أنزل منه على بعض الأنبياء ومالم ينزل منه على أحد قبل
: النبى صلى الله عليه وسلم .

السادس عشر : فى كيفية إنزاله .

السابع عشر : فى معرفة أسمائه وأسماء سُوَره .

الثامن عشر : فى جمعه وترتيبه .

التاسع عشر : فى عدد سوره وآياته وكلماته وحروفه .

العشرون : فى حُفّاظه ورواته .

الحادى والعشرون : فى العالى والنازل .

الثانى والعشرون : معرفة المتواتر .

الثالث والعشرون : فى المشهور .

الرابع والعشرون : فى الآحاد .

الخامس والعشرون : فى الشاذّ .

السادس والعشرون : الموضوع .

السابع والعشرون : المدرَج .

الثامن والعشرون : فى معرفة الوقف والابتداء.

التاسع والعشرون : فى بيان الموصول لفظاً المفصول معنى .

الثلاثون : فى الإمالة والفتح وما بينهما .

الحادى والثلاثون : فى الإدغام والإظهار والإخفاء والإقلاب .

الثانى والثلاثون : فى المدّ والقصر .

الثالث والثلاثون : فى تخفيف الهمزة .

الرابع والثلاثون : فى كيفية تحمّله .

الخامس والثلاثون : فى آداب تلاوته .

السادس والثلاثون : في معرفة غريبه .
السابع والثلاثون : فيما وقع فيه بغير لغة الحجاز .
الثامن والثلاثون : فيما وقع فيه بغير لغة العرب .
التاسع والثلاثون : في معرفة الوجوه والنظائر .
الأربعون : في معرفة معاني الأدوات التي يحتاج إليها المفسّر .
الحادي والأربعون : في معرفة إعرابه .
الثاني والأربعون : في قواعد مهمّة يحتاج المفسر إلى معرفتها .
الثالث والأربعون : في المحكم والمتشابه .
الرابع والأربعون : في مقدّمه ومؤخّره .
الخامس والأربعون : في خاصّه وعامّه .
السادس والأربعون : في مجمله ومبيّنه .
السابع والأربعون : في ناسخه ومنسوخه .
الثامن والأربعون : في مشكله وموهم الاختلاف والتناقض .
التاسع والأربعون : في مطلقه ومقيّده .
الخمسون : في منطوقه ومفهومه .
الحادي والخمسون : في وجوه مخاطباته .
الثاني والخمسون : في حقيقته ومجازه .
الثالث والخمسون : في تشبيهه واستعارته .
الرابع والخمسون : في كناياته وتعريضه .
الخامس والخمسون : في الحصر والاختصاص .
السادس والخمسون : في الإيجاز والإطناب .
السابع والخمسون : في الخبر والإنشاء .
الثامن والخمسون : في بدائع القرآن .

فهذه ثمانون نوعاً على سبيل الإدماج، ولو نوّعت باعتبار ماأدمجته فى ضمنها ؛ لزادت على

الثلاثمائة ، وغالب هذه الأنواع فيها تصانيف مفردة ، وقفتُ على كثيرٍ منها .

ومن المصنفات في مثل هذا النمط — وليس في الحقيقة مثله ولا قريباً منه وإنما هي طائفة يسيرة ونبذة قصيرة — فنون الأفنان في علوم القرآن لابن الجوزيّ ، وجمال القرّاء للشيخ علَمِ الدّين السخاويّ ، والمرشد الوجيز في علوم تتعلق بالقرآن العزيز لأبي شامة ، والبرهان في مشكلات القرآن لأبي المعالي عزيزي بن عبد الملك المعروف بشيذلة ؛ وكلّها بالنسبة إلى نوع من هذا الكتاب كحبّة رمل في جنبِ رَمْلٍ عالج ، ونقطة قطرٍ في حِيال بحرٍ زاخر.

* * *

وهذه أسماء الكتب التي نظرتها على هذا الكتاب ، ولخصتُه منها .

فمن الكتب النقليّة :

تفسير ابن جرير ، وابن أبي حاتم ، وابن مردويه ، وأبي الشيخ بن حيّان ، والفِريابيّ ، وعبد الرّزاق ، وابن المنذر ، وسعيد بن منصور — وهو جزء من سننه — والحاكم — وهو جزء من مستدركه — وتفسير الحافظ عماد الدين بن كثير ، وفضائل القرآن لأبي عبيد ، وفضائل القرآن لابن الضُّرَيس ، وفضائل القرآن لابن أبي شيبة ، المصاحف لابن أبي داود ، المصاحف لابن أشتة ، الردّ على من خالف مصحف عثمان لأبي بكر بن الأنباريّ ، أخلاق حَمَلة القران للآجريّ ، التبيان في آداب حَمَلة القران للنوويّ ، شرح البخاريّ لابن حجر.

ومن جوامع الحديث والمسانيد مالا يحصى .

ومن كتب القراآت وتعلّقات الأداء :

جمال القراء للسّخاويّ ، النشر والتقريب لابن الجزريّ ، الكامل للهُذليّ ، الإرشاد في القراءات العشر للواسطيّ ، الشواذّ لابن غلبون ، الوقف والابتداء لابن الأنباريّ وللسجاونديّ وللنحاس ، وللدّاني وللعمانيّ ولابن النكزاويّ ، قرّة العين في الفتح والإمالة بين اللّفظين لابن القاصح .

ومن كتب اللغات والغريب والعربيّة والإعراب :

مفردات القرآن للراغب ، غريب القرآن لابن قُتيبة وللعزيزي ، الوجوه والنظائر للنيسابوريّ ولابن عبد الصمد ، الواحد والجمع في القرآن لأبي الحسن الأخفش الأوسط ،

الزّاهر لابن الأنباريّ ، شرح التسهيل والارتشاف لأبى حيّان ، المغنى لابن هشام ، الجَنَى الدانيّ فى حروف المعانى لابن أم قاسم ، إعراب القرآن لأبى البقاء وللسمين وللسفاقسيّ ولمنتجب الدين ، المحتسب فى توجيه الشواذّ لابن جنى ، الخصائص له ، الخاطريّات له ، ذ القدّله ، أمالى ابن الحاجب ، المعرّب للجواليقىّ ، مشكل القرآن لابن قتيبة ، اللغات التى نزل بها القرآن للقاسم بن سلاّم [١] . الغرائب والعجائب للكِرمانى ، قواعد فى التفسير لابن تيميّة .

ومن كتب الأحكام وتعلقاتها :

أحكام القرآن لإسماعيل القاضى ولبكر بن العلاء ولأبى بكر الرازى ولِلكيا الهراسيّ ولابنِ العربىّ ، ولابنِ الفَرَس ولابن خويزمنداد . الناسخ والمنسوخ لمكّى ولابن الحصار وللسّعيدىّ ولأبى جعفر النحاس ولابن العربى ولأبى داود السجستانى ، ولأبى عُبيد القاسم بن سلاّم [٢] ولأبى منصور عبد القاهر بن طاهر التميمىّ . الإمام فى أدلّة الأحكام للشيخ عزّ الدين بن عبد السلام .

ومن الكتب المتعلقة بالإعجاز وفنون البلاغة :

إعجاز القرآن للخطابىّ وللرّمانىّ ولابن سُراقة وللقاضى أبى بكر الباقلانىّ ولعبد القاهر الجرجانىّ وللإمام فخر الدين ، ولابن أبى الإصبع — واسمه البرهان — وللزَّمْلَكانىّ — واسمه البرهان أيضا — ومختصره له — واسمه المجيد — مجاز القرآن لابن عبد السلام ، الإيجاز فى المجاز لابن القيّم ، نهاية التأميل فى أسرار التنزيل للزّمْلَكانىّ ، التبيان فى البيان له ، المنهج المفيد فى أحكام التوكيد له ، بدائع القرآن لابن أبى الإصبع ، التحبير له ، الخواطر السوانح فى أسرار الفواتح له ، أسرار التنزيل للشرف البارزىّ ، الأقصى القريب للتنوخىّ ، منهاج البلغاء لحازم ، العمدة لابن رشيق ، الصناعتين للعسكرىّ ، المصباح لبدر الدين بن مالك ، التبيان للطِّيبىّ

---

(١) فى الأصول : « لأبى القاسم محمد بن عبد الله » وهو خطأ نبه عليه مصحح ط ، قال : « وكذا أول النوع السابع والأربعون ، وهو صاحب كتاب الغريب المصنف » .
(٢) ص : « رسلان » ، وصوابه من الأصل .

الكنايات للجرجانى ، الإغريض فى الفرق بين الكناية والتعريض للشيخ تقى الدين السبكىّ ، الاقتناص فى الفرق بين الحصر والاختصاص له، عروس الأفراح لولده بهاء الدين، روض الأفهام فى أقسام الاستفهام للشيخ شمس الدين بن الصائغ، نشر العبير فى إقامة الظاهر مقام الضمير له ، المقدِّمة فى سرّ الألفاظ المقدَّمة له ، أحكام الراى فى أحكام الآى له ، مناسبات ترتيب السور لأبى جعفر بن الزّبير، فواصل الآيات للطّوفىّ ، المثل السائر لابن الأثير ، الفلك الدائر على المثل السائر[1]، كنز البراعة لابن الأثير، شرح بديع قدامة للموفق عبد اللطيف.

ومن الكُتب فيما سوى ذلك من الأنواع :

البرهان فى متشابه القرآن لِلكِرْمانى ، درّة التنزيل وغُرّة التأويل فى المتشابه لأبى عبد الله الرازىّ ، كشف المعانى فى المتشابه ، المثانى للقاضى بدر الدين بن جماعة ، أمثال القرآن للماوردىّ ، أقسام القرآن لابن القيِّم ، جواهر القرآن للغزالىّ ، التعريف والإعلام فيما وقع فى القرآن من الأسماء والأعلام للسُّهيلىّ ، الذّيل عليه لابن عساكر ، التِّبيان فى مبهمات القرآن للقاضى بدر الدين بن جماعة ، أسماءُ مَنْ نزل فيهم القرآن لإسماعيل الضرير ، ذات الرّشد فى عدد الآى وشرحها للموصلىّ ، شرح آيات الصفات لابن اللّبّان ، الدرّ النظيم فى منافع القرآن العظيم لليافعىّ .

ومن كتب الرسم :

المقنع للدّانىّ ، شرح الرّائية للسخاوىّ[2]، شرحها لابن جُبارة.

ومن الكتب الجامعة :

بدائع الفوائد لابن القيم ، كنز الفوائد للشيخ عزّ الدين بن عبد السلام، الغُرر والدّرَر للشريف المرتضى ، تذكرة البدر بن الصاحب ، جامع الفنون لابن شبيب الحنبلىّ، النّفيس لابن الجوزىّ، البستان لأبى الليث السمرقندىّ .

---

(١) لابن أبى الحديد .

(٢) الرائية ، هى القصيدة المسماة : « عقيلة أتراب القصائد فى أسنى المقاصد » ، فى رسم المصحف ، نظم قاسم بن فيرة الشاطبى . كشف الظنون .

ومن تفاسير غير المحدّثين :

الكشّاف وحاشيته للطّيبيّ ، تفسير الإمام فخر الدين ، تفسير الإصبهانى والحوفىّ ، وأبى حيّان وابن عطّية ، والقُشيرىّ ، والمرسى ، وابن الجوزى ، وابن عَقيل ، وابن رَزِين ، والوَاحدِىّ والكواشىّ ، والماوردىّ ، وسُليم الرازىّ ، وإمام الحرمين ، وابن بُرّجان ، وابن بزيزة ، وابن المنيِّر . أمالى الرافعىّ على الفاتحة ، مقدِّمة تفسير ابن النقيب .

وهذا أوان الشروع فى المقصود بعون الملك المعبود .

النوع الأول
فى معرفة المكىّ والمدنى

أفرده بالتصنيف جماعة ، منهم مكىّ والعزّ الدّيرينىّ. ومن فوائد معرفة ذلك ، العلم بالمتأخّر ، فيكون ناسخا أو مخصِّصاً ، على رأى مَنْ يَرى تأخيرَ المخصِّص .

قال أبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب النيسابورىّ فى كتاب التنبيه على فضل علوم القرآن: من أشرف علوم القرآن علم نزوله وجِهاته، (١ وترتيب ما نزل بمكّة والمدينة، ١) وما نزل بمكّة وحكمه مدنّى ، وما نزل بالمدينة وحكمه مكى ، وما نزل بمكّة فى أهل المدينة، وما نزل بالمدينة فى أهل مكة ، وما يشبِهُ نزولَ المكىّ فى المدنىّ وما يشبه نزول المدنىّ فى المكىّ ، وما نزل بالجُحفَة ، وما نزل ببيت المقدس ، وما نزل بالطائف ، وما نزل بالحُدَيبيَة ، وما نزل ليلاً ، وما نزل نهارا ، وما نزل مشيَّعًا [٢] ، وما نزل مفردًا ، والآيات المدنيات فى السُّور المكيّة ، والآيات المكيّات فى السور المدنية ، وما حمِل من مكة إلى المدينة ، وما حُمِل من المدينة إلى مكة ، وما حُمِل من المدينة إلى أرض الحبشة ، وما نزل مجملًا ، وما نزل مفسّرًا ، وما اختلفوا فيه ، فقال بعضهم مدنىّ وبعضهم مكىّ. فهذه خمسة وعشرون وجْها مَنْ لم يعرفها ويميّز بينها لم يحلّ له أن يتكلم فى كتاب الله تعالى [٣]. انتهى .

قلت: وقد أشبعتُ الكلام على هذه الأوجه، فمنها ما أفردته بنوع ، ومنها ما تكلّمت عليه فى ضمن بعض الأنواع .

وقال ابنُ العربىّ فى كتابه الناسخ والمنسوخ: الّذى علمناه على الجُملة من القرآن أنّ منه مكيًّا ومدنيًّا ، وسفريًّا وحضريًّا ، وليليًّا ونهاريًّا وسمائيا وأرضيًّا ، وما نزل بين السماء والأرض ، وما نزل تحت الأرض فى الغار .

(١ — ١) البرهان: «وترتيب ما نزل بمكة ابتداء ووسطاً وانتهاء وترتيب ما نزل بالمدينة كذلك » .

(٢) المشيع : ما نزل وشيعته الملائكة، أورد منه الزركشى سورة الأنعام، وفاتحة الكتاب، وآية الكرسى وسورة يونس . البرهان ١ : ١٩٩ .

(٣) نقله صاحب البرهان فى ١ : ١٩٢ .

وقال ابن النقيب [1] فى مقدمة تفسيره : المنزّل من القرآن على أربعة أقسام : مكّىّ ، ومدنىّ ، ومابعضه مكىّ وبعضه مدنىّ ، وماليس بمكّىّ ولامدنىّ .

اعلم أنّ للنّاس فى المكىّ والمَدنىّ اصطلاحاتٍ ثلاثة :

(أشهرُها) : أنّ المكىّ مانزل قبل الهجرة ، والمدنىّ مانزل بعدها ؛ سواء نزل بمكّة أم بالمدينة ، عامَ الفتح أو عام حجّة الوداع ، أم بسفرٍ من الأسفار . أخرج عثمان بن سعد الرازىّ بسنده إلى يحيى بن سلاّم ، قال : مانزل بمكّة ومانزل فى طريق المدينة قبل أن يبلغ النبى صلى الله عليه وسلم المدينة فهو من المكىّ ، ومانزل على النبىّ صلىّ الله عليه وسلم فى أسفاره بعد ماقدم المدينة فهو من المدنىّ ؛ وهذا أثرٌ لطيف يُؤخَذ منه أن مانزل فى سفر الهجرة مكىّ اصطلاحا .

(الثانى) : أن المكىّ مانزل بمكّة ولو بعد الهجرة ، والمدنىّ مانزل بالمدينة . وعلى هذا تثبت الواسطة ، فمانزل بالأسفار لا يُطلق عليه مكىّ ولامدنىّ . وقد أخرج الطّبَرانىّ فى الكبير من طريق الوليد بن مسلم ، عن عُفير بن معدان ، عن ابن عامر عن أبى أُمامة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أُنزِل القرآن فى ثلاثة أمكنة : مكّة ، والمدينة ، والشام » قال الوليد : يعنى بيت المقدسِ . وقال الشيخ عماد الدين بن كثير : بل تفسيره : بتَبُوك أحسن.

قلت : ويدخل فى مكّة ضواحيها كالمنزّل بمِنىً وعرَفات والحُديبية ، وفى المدينة ضواحيها كالمنزّل ببدر وأُحُد وسَلْع .

(الثالث) : أنّ المكىّ ماوقع خطاباً لأهل مكّة ، والمَدَنىّ ماوقع خطاباً لأهل المدينة . وحُمِل على هذا قولُ ابن مسعود الآتى .

قال القاضى أبو بكر فى الانتصارِ : إنّما يُرْجَع فى معرفة المكىّ والمدنىّ إلى حفظ الصحابة والتابعين ، ولم يردعن النبىّ صلى الله عليه وسلم فى ذلك قولٌ ، لأنه لم يؤمر به ، ولم يجعل الله علم ذلك من فرائض الأمّة ، وإن وجب فى بعضه على أهل العلم معرفة تاريخ الناسخ والمنسوخ ، فقد يعرَف ذلك بغير نصّ الرسول . انتهى

---

(١) حاشية الأصل : « جمال الدين الحنفى شيخ أبى حيان » .

وقد أخرج البخاريّ عن ابن مسعود أنّه قال: «والّذى لا إله غيره مانزلتْ آيةمن كتاب الله تعالى إلا وأنا أعلم فيمنْ نزلت، وأين نزلت».

وقال أيّوب: سأل رجل عِكْرِمة عن آيةٍ من القرآن فقال: نزلت فى سفحِ ذلك الجبلَ — وأشار إلى سَلْع (١). أخرجه أبو نعيم فى الحلية.

وقد وردعن ابن عباس وغيره عدّ المكىّ والمدنىّ. وأنا أسوق ماوقع لى من ذلك، ثمّ أعقبه بتحرير مااختُلف فيه.

قال ابنُ سعد فى الطبقات: أنبأنا الواقدىّ، حدّثنى قُدامه بن موسى، عن أبى سلَمَة الحضرمىّ، سمعت ابنَ عباس قال: سألت أبىّ بن كعب عمّا نزل من القرآن بالمدينة؟ فقال: نزل بها سبعٌ وعشرون سورة، وسائرهابمكة.

* * *

وقال أبو جعفر النحاس فى كتابه الناسخ والمنسوخ: حدّثنى يموت بن المزرّع، حدثنا أبو حاتم سهل بن محمد السّجستانىّ، أنبأنا أبو عُبيدة مَعْمَر بن المثنى، حَدّثنا يونس بن حبيب، سمعت أباعمرو بن العلاء يقول: سألت مجاهدًا عن تلخيص آى القرآن، المدنىّ من المكىّ فقال: سألت ابنَ عباس عن ذلك، فقال: سورة الأنعام نزلت بمكّة جملة واحدة فهى مكيّة، إلا ثلاث آيات منها نزلْنَ بالمدينة: ﴿ قُلْ تعَالَوْا أتلُ .. ﴾ (٣) إلى تمام الآيات الثلاث، وماتقدّم من السّور مدنيات. ونزلت بمكّة سورة الأعراف ويونس وهود ويوسف والرّعد وإبراهيم والحجر والنحل — سوى ثلاث آيات من آخرها فإنّهن نزلنْ بين مكةَ والمدينة، فى منصرَفه من أُحُد — وسورة بنى إسرائيل والكهف ومريم وطه والأنبياء والحجّ — سوى ثلاث آيات ﴿ هذان خَصْمانِ... ﴾ (٤) إلى تمام الآيات الثلاث، فإنّهن نزلنَ بالمدينة — وسورة المؤمنين والفرقان وسورة الشعراء — سوى خمس آيات من أخرَاها نزلن بالمدينة: ﴿ والشُّعَرَاء يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُون... ﴾ (٥) إلى آخرها. وسورة النمل والقَصص والعنكبوت والرّوم ولقمان — سوى ثلاث آيات منها نزلن بالمدينة: ﴿ وَلَوْ أَنَّ مَافِى الأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ... ﴾ (٦) إلى تمام

(١) سلع: جبل بسوق المدينة.

(٢) كذافى الأصل، وفى ط: «غوث نزرع».

(٣) سورة الأنعام ١٥١ — ١٥٣.

(٤) سورة الحج ١٩ — ٢١.

(٥) سورة الشعراء ٢٢٤.

(٦) سورة لقمان ٢٧.

الآيات — وسورة السجدة، سوى ثلاث آيات: ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِناً كَمَنْ كَانَ فَاسِقاً ...﴾[1] إلى تمام الآيات الثلاث. وسورة سبأ وفاطر ويس والصافات وص والزّمر، سوى ثلاث آيات نزلن بالمدينة في وحشيّ قاتل حمزة: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا..﴾[2] إلى تمام الثلاث آيات. والحواميم السبع وق والذّاريات والطّور والنجم والقمر والرحمن والواقعة والصف والتغابن إلا آيات من آخرها نزلن بالمدينة. والملك ون والحاقّة وسأل وسورة نوح والجنّ والمزّمل إلا آيتين: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ..﴾[3]. والمدّثر إلى آخر القرآن إلا إذا زلزلت، وإذا جاء نصر الله، وقل هو الله أحد، وقل أعوذ برب الفلق، وقل أعوذ برب الناس، فإنهن مدنيّات. ونزل بالمدينة سورة الأنفال وبراءة والنّور والأحزاب وسورة محمد والفتح والحجرات والحديد وما بعدها إلى التحريم.

هكذا أخرجه بطوله، وإسناده جيّد، رجاله كلّهم ثقات من علماء العربيّة المشهورين.

* * *

وقال البيهقيّ في دلائل النبوة: أنبأنا أبو عبدالله الحافظ، أخبرنا أبو محمد بن زياد العدل، حدّثنا محمد بن اسحاق، حدّثنا يعقوب بن إبراهيم الدّورقيّ، حدّثنا أحمد بن نصر بن مالك الخزاعيّ، حدّثنا عليّ بن الحسين بن واقد، عن أبيه، حدّثني يزيد النحويّ، عن عكرمة والحسن بن أبي الحسن قالا: أنزل الله من القرآن بمكة: اقرأ باسم ربّك، ون، والمزمل، والمدّثر، وتبّت يدا أبي لهب، وإذا الشمس كوّرت، وسبح اسم ربك الأعلى، والليل إذا يغشى، والفجر، والضحى، وألم نشرح، والعصر، والعاديات، والكوثر، وألهاكم التكاثر، وأرأيت، وقل يأيها الكافرون، وأصحاب الفيل، والفلَق، وقل أعوذ بربّ الناس، وقل هو الله أحد، والنّجم، وعبس، وإنا أنزلناه، والشمس وضحاها، والسماء ذات البروج، والتين والزيتون، ولإيلاف قريش، والقارعة، ولا أقسم بيوم القيامة، والهُمَزة، والمرسلات، وق، ولا أقسم بهذا البلد، والسماء والطارق، واقتربت الساعة، وص، والجنّ، ويس، والفُرقان،

---

(١) سورة السجدة ١٨.

(٢) سورة الزمر ٥٣.

(٣) سورة المزمل ٢٠.

والملائكة ، وطه ، والواقعة ، وطسم ، وطس ، وطسم ، وبنى إسرائيل ، والتاسعة ، وهود ، ويوسف ، وأصحاب الحجر ، والأنعام ، والصافات ، ولقمان ، وسبأ ، والزمر ، وحم المؤمن ، وحم الدخان ، وحم السجدة ، وحمعسق ، وحم الزخرف ، والجاثية ، والأحقاف ، والذاريات ، والغاشية ، وأصحاب الكهف ، والنحل ، ونوح ، وإبراهيم ، والأنبياء ، والمؤمنون ، وآلم السجدة ، والطور ، وتبارك ، والحاقة ، وسأل ، وعم يتساءلون ، والنازعات ، وإذا السماء انشقت ، وإذا السماء انفطرت ، والروم ، والعنكبوت .

وما نزل بالمدينة : ويل للمطففين ، والبقرة ، وآل عمران ، والأنفال ، والأحزاب ، والمائدة ، والممتحنة ، والنساء ، وإذا زلزلت ، والحديد ، ومحمد ، والرعد ، والرحمن ، وهل أتى على الإنسان ، والطلاق ، ولم يكن ، والحشر ، وإذا جاء نصر الله ، والنور ، والحج ، والمنافقون ، والمجادلة ، والحجرات ، ويأيها النبى لم تحرم ، والصف ، والجمعة ، والتغابن ، والفتح ، وبراءة .

قال البيهقى : والتاسعة ، يريد بها سورة يونس . قال : وقد سقط من هذه الرواية : الفاتحة والأعراف ، وكهيعص ، فيما نزل بمكة .

* * *

قال : وقد أخبرنا على بن أحمد بن عبدان ، أخبرنا أحمد بن عبيد الصفار ، حدثنا محمد بن الفضل ، حدثنا إسماعيل بن عبد الله بن زرارة الرقى ، حدثنا عبد العزيز بن عبد الرحمن القرشى ، حدثنا خصيف ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، أنه قال : إن أول ما أنزل الله على نبيه من القرآن : اقرأ باسم ربك ؛ فذكر معنى هذا الحديث ، وذكر السور التى سقطت من الرواية الأولى فى ذكر ما نزل بمكة ، وقال : ولهذا الحديث شاهد فى تفسير مقاتل وغيره مع المرسل الصحيح الذى تقدم .

* * *

وقال ابن الضريس [1] فى فضائل القرآن : حدثنا محمد بن عبد الله بن أبى جعفر الرازى ، أنبأنا عمرو ابن هارون ، حدثنا عثمان بن عطاء الخراسانى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قال : كانت إذا أنزلت فاتحة الكتاب بمكة كتبت بمكة ، ثم يزيد الله فيها ما شاء ، وكان أول ما أنزل من القرآن اقرأ باسم ربك ،

---

(١) هو محمد بن أيوب بن يحيى بن الضريس ، ذكره فى تذكرة الحفاظ ٢ : ٥٩٢

ثم ن ، ثم يأيها المزمل ، ثم يأيّها المدثر ، ثم تبت يدا أبى لهب، ثم إذا الشمس كُوِّرت، ثم سبح اسم ربك الأعلى ، ثم والليل إذا يغشى ، ثم والفجر، ثم والضّحى، ثم ألم نشرح ، ثم والعصر ، ثم والعاديات ، ثم إنّا أعطيناك، ثم ألهاكم التكاثر ، ثم أرأيت الذى يكذب ، ثم قل يأيها الكافرون ، ثم ألم تر كيف فعل ربك ، ثم قل أعوذ برب الفلَق ، ثم قل أعوذ برب الناس ، ثم قُل هو الله أحَد، ثم والنجم ، ثم عبس ، ثم إنّا أنزلناه فى ليلة القدر، ثم والشمس وضحاها ، ثم والسماء ذات البروج ، ثم والتين ، ثم لإيلاف قريش ، ثم القارعة ، ثم لا أقسم بيوم القيامة ، ثم ويل لكلّ هُمَزة، ثم والمرسلات ، ثم ق ، ثم لا أقسم بهذا البلد، ثم والسماء والطارق ، ثم اقتربت الساعة ، ثم ص ، ثم الأعراف ، ثم قل أوحى، ثم يس ، ثم الفرقان، ثم الملائكة ، ثم كهيعص، ثم طه، ثم الواقعة، ثم طسم الشعراء، ثم طس، ثم القصص ، ثم بنى إسرائل ، ثم يونس، ثم هود، ثم يوسف ، ثم الحِجر ، ثم الأنعام، ثم الصافات ، ثم لقمان، ثم سبأ ، ثم الزمر ، ثم حم المؤمن ، ثم حم السجدة ، ثم حمعسق، ثم حم الزخرف، ثم الدخان ، ثم الجاثية، ثم الأحقاف، ثم الذاريات ، ثم الغاشية ، ثم الكهف، ثم النّحل ، ثم إنا أرسلنا نوحا ، ثم سورة إبراهيم ، ثم الأنبياء، ثم المؤمنين ، ثم تنزيل السجدة، ثم الطّور ، ثم تبارك الملك ، ثم الحاقة، ثم سأل ، ثم عمّ يتساءلون ، ثم النازعات ، ثم إذا السماء انفطرت ، ثم إذا السماء انشقت ، ثم الروم ، ثم العنكبوت، ثم ويل للمطففين . فهذا ما أنزل الله بمكة

ثم أنزل بالمدينة: سورة البقرة ، ثم الأنفال ، ثم آل عمران، ثم الأحزاب، ثم الممتحنة ، ثم النساء ، ثم إذا زلزلت ، ثم الحديد ، ثم القِتال ، ثم الرّعد ، ثم الرحمن ، ثم الإنسان ، ثم الطلاق ، ثم لم يكن، ثم الحشر ، ثم إذا جاء نصر الله ، ثم النور ، ثم الحج ، ثم المنافقون، ثم المجادلة ثم الحُجُرات، ثم التحريم، ثم الجمُعة، ثم التّغابن، ثم الصفّ ، ثم الفتح، ثم المائدة ثم براءة

* * *

وقال أبو عبيد فى فضائل القرآن: حدّثنا عبدالله بن صالح ومعاوية بن صالح ، عن علىّ بن أبى طلحة ، قال: نزلت بالمدينة سورة البقرة، وآل عمران، والنساء والمائدة، والأنفال، والتوبة، والحج

والنور ، والأحزاب ، والّذين كفروا ، والفتح ، والحديد ، والمجادلة ، والحشر ، والممتحنة ، والحواريين – يريد الصف – والتغابن ، ويأيها النّبي إذا طلقتم النساء ، ويأيّها النبي لِمَ تحرّم ، والفجر ، والليل ، وإنا أنزلناه في ليلة القدر ، ولم يكن ، وإذا زلزلت ، وإذا جاء نصر الله. وسائر ذلك بمكة.

* * *

وقال أبو بكر بن الأنبارى : حدثنا إسماعيل بن إسحاق القاضى ، حدثنا حجّاج بن منهال ، نبأنا هشام عن قتادة ، قال : نزل فى المدينة من القرآن : البقرة ، وآل عمران ، والنساء ، والمائدة ، وبراءة ، والرّعد ، والنّحل ، والحجّ ، والنور ، والأحزاب ، ومحمد ، والفتح ، والحجرات ، والحديد ، والرحمن ، والمجادلة ، والحشر ، والممتحنة ، والصفّ ، والجمعة ، والمنافقون ، والتغابن ، والطلاق ، ويأيّها النبيّ لم تحرم ، إلى رأس العشر ، وإذا زُلزلت ، وإذا جاء نصر الله . وسائر القرآن نزل بمكة .

* * *

وقال أبو الحسن بن الحصّار فى كتابه الناسخ والمنسوخ : المدنىّ باتفاق عشرون سورة ، والمختلف فيه اثنتا عشرة سورة وماعدا ذلك مكىّ باتفاق ثم نظم فى ذلك أبياتا فقال :

يا سائلِى عَنْ كتابِ الله مجتهِداً ... وعن ترتّب ما يُتلَى من السُّوَرِ
وكيفَ جاء بها المختارُ من مُضَرٍ ... صلّى الإله على المختارِ من مُضَرِ
وما تقدّم منها قبل هجرته ... وما تأخّر فى بدْوٍ وفى حَضَرِ
ليَعلمَ النّسخ والتخصيص مجتهدٌ ... يؤيد الحُكْم بالتاريخ وَالنَّظَرِ
تعارضَ النّقلُ فى أمّ الكتاب وقدْ ... تُؤوِّلَتِ الحِجْر تنبيهاً لمعتبِرِ
أمّ القران وفى أمّ القرى نَزَلَتْ ... ما كان للخمس قبل الحمد من أثَرِ [1]
وَبعْدَ هِجْرَةِ خيرِ النَّاسِ قد نَزَلَتْ ... عشرون من سُوَرِ القرآنِ فى عَشَرِ

---

(١) فى حاشية الأصل بعد هذا البيت :

لو كان ذَاكَ لكانَ النَّسْخُ أَوَّلَهَا ... ولم يقل بصريح النَّسْخِ من بَشَرِ

قال : وردهذا البيت فى التحبير ، فانظر لماذا أسقط هنا ، وقد بينت معنى هذا البيت بهامش التحبير ، فراجعه.

فأربعٌ من طوال السّبع أوّلها | وخامس الخمس فى الأنفال ذى العبر
وتوبة الله إن عُدّت فسادسةٌ | وسورة النّور والأحزاب ذى الذكر
وسورة لنبىّ الله محكمةٌ | والفتحُ والحُجُرات الغرُّ فى غُرَرِ
ثم الحديدُ ويتلوها مُجادلةٌ | والحشر ثم امتحان الله للبَشَرِ
وسورةٌ فضحَ الله النفّاقَ بها | وسورة الجمع تذكارٌ لمُدّكِرِ (١)
وللطّلاق وللتّحريم حكمهُما | والنصر والفتح تنبيهاً على العُمُرِ
هذا الّذى اتّفقتْ فيهِ الرُّواة لَهُ | وقد تعارضَتِ الأخبار فى أُخَرِ
فالرّعد مختلَفٌ فيها متى نزلتْ | وأكثر الناس قالوا الرّعد كالقمرِ
ومثلها سورة الرّحمنِ شاهدُها | ممّا تضمن قول الجنّ فى الخبَرِ
وسورةٌ للحَواريّين قد عُلِمتْ | ثم التَّغابُن والتّطفيف ذو النُّذُرِ
وليله القَدْر قد خُصّتْ بملّتِنا | ولم يكن بعدها الزّلزال فاعتبرِ
وقل هو الله من أوصاف خالقِنا | وعُوذتان تردّ البأس بالقدرِ
وذا الذى اختلفتْ فيهِ الرّواة له | وربما استُثنيتْ آىٌ من السُّوَرِ
وماسوى ذاكَ مكّىٌّ تنزُّلُهُ | فلا تكن مِن خلاف النّاس فى حَصَرِ
فليس كلُّ خلافٍ جاء معتبرًا | إلا خلافٌ له حَظٌّ مُن النَّظَرِ

(١) حاشية الأصل : قوله : « سورة الجمع ، أراد بها سورة الجمعة ، فحذفت التاء لضرورة النظم ، فلا يقال : إن مراده بسورة الجمع سورة التغابن لقوله تعالى فيها :

﴿ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ﴾

أعنى سورة الجمع — فيخالف هذا ما يأتى بعد فى النظم من جمله التغابن من المختلف فيه ، لقوله : ثم التغابن والتطفيف » .

فصل

فى تحرير السور المختلف فيها

(سورة الفاتحة) : الأكثرون على أنَّها مكيّة ، بل ورد أنّها أولّ مانزل كما سيأتى فى النوع الثامن ، واستدلّ لذلك بقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِنَ الْمَثَانِى ﴾ [1] . وقدفسّرها صلى الله عليه وسلم بالفاتحة كما فى الصحيح . وسورة الحجر مكّيّة باتفاق ، وقد امتنّ على رسوله فيها بها ، فدلّ على تقدّم نزول الفاتحة عليها ، اذ يبعُد أنْ يمتنّ عليه بمالم ينزل بعد ، وبأنّه لاخلاف أنّ فرض الصلاة كان بمكة ، ولم يحفظ أنه كان فى الإسلام صلاة بغير الفاتحة . ذكره ابنُ عطيّة وغيُره .

وقد روَى الواحدىّ والثعلبىّ من طريق العَلاء بن المسيَّب ، عن الفضل بن عمرو ، عن علىّ بن أبى طالب ، قال : نزلت فاتحة الكتاب بمكّة من كنز تحت العرش .

واشتهر عن مجاهد القولُ بأنّها مدنيّة ، أخرجه الفِرْيابىّ [2] فى تفسيره ، وأبو عُبيد فى الفضائل بسند صحيح عنه . قال الحسين بنِ الفضل : هذه هفوة من مجاهد ، لأن العلماء على خلاف قوله ، وقد نقلُ ابنُ عطيّة القول بذلك عن الزُّهرىّ وعطاء وسَوادة بن زياد وعبد الله بن عبيد بن عمير .

وورد عن أبى هُرَيرة باسناد جيّد ، قال الطَّبرانىّ فى الأوسط : حدّثنا عبيد بن غنّام ، نبأنا أبوبكر بن أبى شَيْبة ، نَبَّأنا أبو الأحوص ، عن منصور ، عن مجاهد ، عن أبى هريرة ، أنّ ابليس رنّ حين أنزِلت فاتحة الكتاب ، وأنزلت بالمدينة . ويحتمل

---

(١) سورة الحجر ٨٧

(٢) ط : « الفريابى » تصحيف ، نبه عليه مصحح ط فى المستدرك ، قال : الفريابى المحدث نسبة الى بلد تسمى فرياب » . وقال ياقوت : فرياب : بلدة من نواحى بلخ.

أن الجملة الأخيرة مدرجة من قول مجاهد .

وذهب بعضهم إلى أنها نزلتْ مرّتين ؛ مرّة بمكة ومرّة بالمدينة ؛ مبالغة فى تشريفها.

وفيها قول رابع ، أنها نزلت نصفين ، نصفها بمكة ونصفها بالمدينة ، حكاه أبو الليث السمرقندىّ .

(سورة النساء) : زعم النحاس أنها مكية مستنداً إلى إن قوله : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ ...﴾[1] الآية نزلت بمكة اتفاقا فى شأن مفتاح الكعبة ، وذلك مستندٌ واه ، لأنّه لا يلزم من نُزول آية أو آيات من سورة طويلة نزل معظمُها بالمدينة أنْ تكون مكيّةً ، خصوصا أنّ الأرجح أنّ ما نزل بعد الهجرة مدنىّ ؛ ومن راجع أسباب نزول آياتها عرف الردّ عليه . ومما يُردّ عليه أيضا ما أخرجه البخارىّ عن عائشة قالت : « ما نزلتْ سورة البقرة والنساء إلاّ وأنا عنده » ، ودخولها عليه كان بعد الهجرة اتفاقا . وقيل : نزلت عند الهجرة .

(سورة يونس) : المشهور أنها مكيّة ، وعن ابن عباس روايتان ، فتقدّم فى الآثار السابقة عنها أنّها مكيّة . وأخرجه ابن مردويه من طريق العَوْفىّ عنه ، ومن طريق ابن جُرَيج عن عطاء عنه ؛ ومن طريق خَصيف ، عن مجاهد ، عن ابن الزبير .

وأخرج من طريق عثمان ابنُ عطاء ، عن أبيه ، عن ابن عبّاس أنّها مدنيّة ، ويؤيّد المشهور ما أخرجه ابن أبى حاتم من طريق الضحّاك عن ابن عباس قال : لما بعثَ الله محمدا رسولاً أنكرت العرب ذلك — أو من أنكر ذلك منهم — قالوا : الله أعظم من أنْ يكون رسوله بشَرا ، فأنزل الله تعالى : ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عجبا . . .﴾[2] الآية .

(سورة الرعد) : تقدّم من طريق مجاهد ، عن ابن عباس وعن علىّ بن أبى طلحة أنّها مكية ، وفى بقية الآثار أنها مدنيّة .

وأخرج أبو الشيخ مثله ، عن قتادة وأخرج الأول عن سعيد بن جبير .

وقال سعيد بن منصور فى سننه : حدّثنا أبو عَوانة ، عن أبى بِشْر — قال : سألتُ سعيد بن جُبير عن قوله تعالى : ﴿وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ...﴾[3] ، أهو عبدالله

(١) سورة النساء ٥٨

(٢) سورة يونس ٢

(٣) سورة الرعد ٤٣

ابن سلام؟ فقال : كيف وهذه السورة مكيّة ! ويؤيد القول بأنّها مدنيّة ما أخرجه الطّبرانىّ وغيره عن أنس ، أن قوله الله : ﴿ يعلم ما تحمل كلُّ أُنثى ﴾ إلى قوله : ﴿ وهو شديد المحال ﴾ ، نزل فى قصّة أربد بن قيس وعامر بن الطُّفيل حين قدما المدينة على رسول الله صلى الله عليه وسلم . والذى يجمع به بين الاختلاف ، أنّها مكيّة إلا آيات منها .

(سورة الحجّ) : تقدّم من طريق مجاهد ، عن ابن عبّاس ، أنّها مكيّة إلا الآيات التى استثناها ، وفى الآثار الباقية أنّها مدنية .

وأخرج ابن مردويه من طريق العوفىّ : عن ابن عباس ، ومن طريق ابن جُريج وعثمان ، عن عطاء عن ابن عباس ، ومن طريق مجاهد عن ابن الزبير : أنّها مدنية ، قال ابن الفرس [1] فى أحكام القرآن : وقيل إنّها مكيّة إلاّ : ﴿ هذان خصمان . . ﴾ الآيات . وقيل : إلا عشر آيات . وقيل : مدنيّة إلا أربع آيات : ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول ﴾ إلى ﴿ عقيم ﴾ . قاله قتادة وغيره . وقيل : كلّها مدنية ، قاله الضحاك وغيره . وقيل : هى مختلطة ، فيها مدنىّ ومكىّ ، وهو قول الجمهور . انتهى

ويؤيد ما نسبه إلى الجمهور أنّه ورد فى آياتٍ كثيرة ، منها أنّه نزل بالمدينة كما حررناه فى أسباب النزول .

(سورة الفرقان) : قال ابن الفرس : الجمهور على أنّها مكّيّة . وقال الضحاك مدنيّة .

(سورة يس) : حكى أبو سليمان الدّمشقىّ له قولا إنها مدنيّة ، قال : وليس بالمشهور .

(سورة ص) : حكى الجعبرىّ قولا إنها مدنية ، خلاف حكاية جماعة الإجماع على أنها مكية

(سورة محمد) : حكى النّسفىّ قولاً غريبا إنّها مكية .

(سورة الحجرات) : حُكِى قولٌ شاذ إنّها مكية .

---

(١) ابن الغرس ، بالغين المعجمة ، هو عبد المنعم بن الغرس ، من فقهاء الحنفية ، كما ذكره فى المستدرك .

(سورة الرحمن) : الجمهور على أنها مكيّة ، وهو الصواب ، ويدلّ له مارواه الترمذيّ والحاكم عن جابر ، قال : لمّا قرأ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على أصحابه سورة الرحمن حتى فرَغ ، قال : مالى أراكم سكوتا! لَلجِنُّ كانوا أحسن منكم ردًّا ، ماقرأتُ عليهم من مرّة : ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ ، إلا قالوا : ولا بشىء من نعمِك ربَّنا نكذّب ، فلك الحمد . قال الحاكم : صحيح على شرط الشيخين ؛ وقصّة الجن كانت بمكّة .

وأصرحُ منه فى الدلالة ما أخرجه أحمد فى مسنده بسند جيّد ، عن أسماء بنت أبى بكر ، قالت : سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلّى نحو الركن قبل أن يَصْدَع بما يؤمر ، والمشركون يسمعون : ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ ؛ وفى هذا دليل على تقدّم نزولها على سورة الحِجْر .

(سورة الحديد) : قال ابن الفرَس : الجمهور على أنّها مدنيّة ، وقال قوم : إنّها مكيّة ، ولا خلاف أنّ فيها قرآنا مدنيا ، لكن يشبه صدرُها أن يكون مكّيا .

قلت : الأمر كما قال ، ففى مسند البزّار وغيره عن عمر ، أنه دخل على أختِه قبل أن يُسلم ، فإذا صحيفة فيها أول سورة الحديد ، فقرأها ، وكان سبب إسلامه .

وأخرج الحاكم وغيره عن ابن مسعود ، قال : لم يكن شىء بين إسلامه وبين أن نزلت هذه الآية يعاتبهم الله بها إلا أربع سنين : ﴿وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ ...﴾ [1] الآية .

(سورة الصفّ) : المختار أنّها مدنيّة ، ونسبه ابن الفَرَس إلى الجمهور ورجّحه ، ويدلّ له ما أخرجه الحاكم وغيره عن عبد الله بن سلاَم ، قال : قعدْنا نفرا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتذاكرنا ، فقلنا : لو نعلم أىّ الأعمال أحبّ إلى الله لعملناه ، فأنزل الله سبحانه : ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ...﴾ [2] ، حتى ختمها ، قال عبد الله : فقرأها علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ختمها .

---

(١) سورة الحديد ١٦ (٢) سورة الصف ١ ، ٢

(سورة الجمعة): الصحيح أنّهامدنية لما روى البخاريّ عن أبي هُريرة ، قال: « كنّا جلوساً عند النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فأنزل عليه سورة الجمعة : ﴿ وآخَرِينَ مِنْهُمْ لمـّا يَلْحقُوابهم... ﴾ [١] قلت : من هم يارسول الله ؟ »... الحديث. ومعلوم أن إسلام أبي هريرة بعد الهجرة بمدة . وقوله: ﴿ قُلْ يٰأيّها الَّذِينَ هادُوا ﴾ [٢] خطاب لليهود ، وكانوا بالمدينة . وآخر السورة نزل في انفضاضهم حال الخطبة لمّا قدمت العِير، كما في الأحاديث الصحيحة، فثبت أنّها مدنية كلها .

(سورة التغابن) : قيل مدنية ، وقيل مكية إلا آخرها .

(سورة الملك) : فيها قول غريب إنّها مدنية .

(سورة الإنسان) : قيل مدنية ، وقيل مكية إلاّ آية واحدة : ﴿ وَلا تُطِعْ مِنهُمْ آثِماً أو كَفُوراً ﴾ [٣] .

(سورة المطففين) : قال ابن الغَرْس : قيل إنها مكية لذكر الأساطير فيها ، وقيل : مدنية لأنّ أهلَ المدينة كانوا أشدّ الناس فساداً في الكيل : وقيل: نزلت بمكّة إلا قصة التطفيف ، وقال قوم: نزلتْ بين مكّة والمدينة . انتهى .

قلت : أخرج النسائيّ وغيره بسند صحيح عن ابن عباس ، قال : لما قدم النبيّ صلى الله عليه وسلم المدينة كانوا من أخبث النّاس كيلاً، فأنزل الله: « ويل للمطففين » فأحسنوا الكيل.

(سورة الأعلى) : الجمهور على أنها مكّية ، قال ابن الفرس: وقيل إنها مدنيّة لذكر صلاة العيد وزكاة الفطر فيها .

قلت : ويردّه ماأخرجه البخاريّ عن البَرَاء بن عازب ، قال : أوّل مَنْ قدم علينا من أصحاب النبيّ صلى الله عليه وسلم مُصعب بن عمير وابن أمّ مكتوم ، فجعلا يُقرآننا

---

(١) سورة الجمعة ٣
(٢) سورة الجمعة ٦
(٣) سورة الإنسان ٢٤

القرآن، ثم جاء عمّار وبلال وسعد، ثم جاء عمر بن الخطاب فى عشرين، ثم جاء النبىّ صلى الله عليه وسلم، فما رأيتُ أهل المدينة فرحوا بشىء فرحهم به، فما جاء حتى قرأت «سبح اسم ربك الأعلى» فى سورة مثلها.

(سورة الفجر): فيها قولان، حكاهما ابن الفَرَس. قال أبو حيان: والجمهور على أنّها مكية.

(سورة البلد): حكى ابن الفَرَس فيها أيضا قولين، وقوله: ﴿بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ يردّ القول بأنّها مدنية.

(سورة الليل): الأشهر أنّها مكية، وقيل مدنية لما ورد فى سبب نزولها من قصة النخلة كما أخرجناه فى أسباب النزول[1]. وقيل: فيها مكىّ ومدنىّ.

---

(١) حاشية الأصل: «قوله كما أخرجناه فى أسباب النزول، قال رحمه الله فى كتابه أسباب النزول من قصة النخلة ما نصه: أخرج ابن أبى حاتم وغيره من طريق الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس، أن رجلا كانت له نخلة، فرعها فى دار رجل فقير ذى عيال، فكان الرجل إذا جاء فدخل الدار فصعد إلى النخلة ليأخذ منها التمر، فربما تقع تمرة فيأخذها صبيان الفقير، فينزل من نخلته حتى يأخذ التمرة من أيديهم، وإن وجدها فى فم أحدهم أدخل إصبعه حتى يخرج التمرة من فيه، فشكا ذلك الرجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال له: اذهب. ولقى صلى الله النبى عليه وسلم صاحب النخلة، فقال له: أعطنى نخلتك التى فرعها فى دار فلان، ولك بها نخلة فى الجنة. فقال الرجل: لقد أعطيت وإن لى نخلا كثيرا، وما فيه نخلة أعجب إلى تمرة منها. ثم ذهب الرجل ولقى رجلا كان يسمع الكلام من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن صاحب النخلة، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: أتعطينى يا رسول الله ما أعطيت الرجل إذا أنا أخذتها؟ قال: نعم، فذهب الرجل فلقى صاحب النخلة ولكليهما نخلة، فقال له صاحب النخلة: أشعرت أن محمدا صلى الله عليه وسلم أعطانى بنخلتى المائلة فى دار فلان نخلة فى الجنة! فقلت له: لقد أعطيت ولكن يعجبنى تمرها، ولى نخل كثير، ما فيه نخلة أعجب لى تمرة منها: فقال له الآخر: أتريد بيعها؟ فقال: لا، إلا أن أعطى بها ما أريد، ولا أظن ان أعطى. قال: فكم مناك فيها؟ قال: أربعون نخلة، قال: لقد جئت بأمر عظيم، ثم سكت عنه، فقال له: أنا أعطيك أربعين نخلة فاشهد لى إن كنت صادقا، فدعا قومه فأشهد له، ثم ذهب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال له: يا رسول الله، إن النخلة قد صارت لى، وهى لك، فذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى صاحب الدار، فقال: النخلة لك ولعيالك، فأنزل الله: «والليل إذا يغشى ...»، إلى آخر السورة. قال ابن كثير: غريب جدا.

وأخرج ابن أبى حاتم عن عروة أن أبا بكر الصديق أعتق سبعة كلهم يعذب فى الله وفيه نزلت: «وسيجنبها الأتقى ...» إلى آخر السورة.

وأخرج الحاكم عن عامر بن عبد الله بن الزبير عن أبيه، قال: قال أبو قحافة لأبى بكر أراك تعتق رقابا ضعافا، فلو أنك أعتقت رجالا جلدا، يمنعونك ويقومون دونك! فقال: يا أبه، إنى أريد ما عند الله، فنزلت هذه الآية فيه: «فأما من أعطى واتقى. وصدق بالحسنى ...»، إلى آخر السورة =

(سورة القدر): فيها قولان ، والأكثرأنّها مكية ويستدلّ لكونها مدنية بما أخرجه الترمذيّ والحاكم ، عن الحسن بن عليّ أنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم رأى بني أمية على منبره ،فساءهُ ذلك، فنزلت ﴿إنّا أعطيناك الكوثر﴾ ،ونزلت ﴿إنّا أنزلناه في ليلة القدر ...﴾ الحديث ،قال المِزّيّ : وهو حديث منكر .

(سورة لم يكُن) : قال ابن الفَرَس : الأشهر أنها مكية .

قلت : ويدل لمقابله ماأخرجه أحمد عن أبي حَبّة البدريّ قال: لما نزلتْ ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ...﴾ إلى آخرها : قال جبريل : يارسول الله ، إن ربك يأمرك أن تقرئها أُبيًّا ... الحديث . وقد جزم ابن كثير بأنّها مدنيّة واستدلّ به .

(سورة الزلزلة) : فيها قولان ، ويستدلّ لكونها مدنية بما أخرجه ابن أبي حاتم عن أبي سعيد الخدريّ ، قال: لمّا نزلتْ :﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ...﴾ الآية قلت: يارسول الله،إني لراءعملي ... الحديث .وأبو سعيدلم يكن إلاّ بالمدينةولم يبلغ إلا بعدأُحُد .

(سورة العاديات) : فيها قولان .

ويستدلّ لكونهامدنيّة بما أخرجه الحاكم وغيره عن ابن عباس: قال: «بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خيلاً ،فلبثت شهرا لا يأتيه منها خبر، فنزلت «والعاديات...»،الحديث .

(سورة الهاكم): الأشهر أنّها مكيّة ، ويدلّ لكونهامدنية —وهو المختار— ماأخرجه ابن أبي حاتم ، عن ابن بُريدة ، أنّها نزلت في قبيلتين من قبائل الأنصار تفاخروا ... الحديث .

وأخرج عن قتادة أنها نزلتْ في اليهود.

= وأخرج البراء عن ابن الزبير،قال : نزلت هذه الآية : «وما لأحد عنده من نعمة تجزى...» إلى آخرها في أبي بكر الصديق رضي الله عنه .

هذا حاصل ما ذكره في كتابه أسباب النزول من قصته النخلة. وانظره في ٢ :١٣٢

وأخرج البخارىّ عن أبىّ بن كعب قال: كنا نرى هذا من القرآن — يعنى « لو كان لابن آدم وادٍ من ذهب » — حتى نزلت: « ألهاكم التكاثر » .

وأخرج الترمذىّ ، عن علىّ قال : مازلنا نشكّ فى عذاب القبر حتى نزلت ؛ وعذاب القبر لم يذكر إلا بالمدينة كما فى الصحيح فى قصة اليهوديّة .

(سورة أرأيت): فيها قولان ، حكاهما ابن الغَرَس .

(سورة الكوثر) : الصواب أنها مدنية، ورجّحه النووىّ فى شرح مسلم لما أخرجه مسلم عن أنس ، قال : بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا ، إذ أغفى إغفاءةً ، فرفع رأسه متبسما ،فقال : أنزلت علىّ آنفا سورة ، فقرأ : ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ، إنا أعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ... ﴾ حتى ختمها . . . الحديث .

(سورة الإخلاص) : فيها قولان ،لحديثين فى سبب نزولها متعارضين. وجمع بعضهم بينهما بتكرر نزولها ، ثم ظهر لى بعد ترجيح أنها مدنيّة، كما بينته فى أسباب النزول (١).

(المعوّذتان) : المختار أنهما مدنيّتان ،لأنهما نزلتا فى قصة سحر لَبيد بن الأعصم ، كما أخرجه البيهقىّ فى الدلائل .

---

(١) لباب النقول ٢ : ١٤٦

فصل

قال البيهقيّ في الدلائل: في بعض السُّور التي نزلت بمكة آيات نزلت بالمدينة فألحقت بها.
وكذا قال ابن الحصّار: وكلّ نوع من المكيّ والمدنيّ منه آيات مستثناة، قال: إلا أنّ من الناس من اعتمد في الاستثناء على الاجتهاد دون النقل.

* * *

فصل

في ذكر ما استثنى من المكيّ والمدنيّ

وقال ابن حجر في شرح البخاريّ: قد اعتنى بعضُ الأئمة ببيان مانزل من الآيات بالمدينة في السور المكية. قال: وأما عكس ذلك، وهو نزول شيء من سورةٍ بمكة، تأخّر نزول تلك السورة إلى المدينة، فلم أره إلا نادراً.

قلت: وهاأنا أذكر ماوقفتُ على استثنائه من النوعين، مستوعباً مارأيته من ذلك على الاصطلاح الأوّل دون الثاني، وأشير إلى أدلّة الاستثناء لأجل قول ابن الحصار السابق، ولاأذكر الأدلّة بلفظها اختصارا وإحالةً على كتابنا أسباب النزول.

(الفاتحة): تقدّم قولٌ أنّ نصفها نزل بالمدينة، والظّاهر أنّه النصف الثاني، ولادليل لهذا القول.

(البقرة): استُثْنِيَ منها آيتان: ﴿ فاعْفُوا واصْفَحوا ﴾ [1]، و﴿ لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ ﴾ [2].

(الأنعام): قال ابنُ الحصّار: استُثنى منها تسع آيات، ولا يصحّ به نقل، خصوصا قد ورد أنّها نزلت جملة.

قلت: قدصحّ النقل عن ابن عباس استثناء: ﴿ قُلْ تَعَالَوْا... ﴾ [3] الآيات الثلاث كما تقدّم، والبواقي: ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾ [4]، لما أخرجه ابن أبي حاتم أنها

---

(١) آية ١٠٩ (٢) آية ٢٧٢ (٣) آية ١٥١ — ١٥٣ (٤) آية ٩١

نزلت في مالك بن الصيف، وقوله: ﴿ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا ...﴾ [1] الآيتين، نزلتا في مسيلمة. وقوله: ﴿الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه﴾ [2]، وقوله: ﴿والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق﴾ [3].

وأخرج أبو الشيخ عن الكلبي، قال: نزلت الأنعام كلها بمكة إلا آيتين نزلتا بالمدينة في رجل من اليهود وهو الذي قال: ﴿ما أنزل الله على بشر من شيء﴾ [4].

وقال الفريابي: حدثنا سفيان، عن ليث عن بشر، قال: الأنعام مكية إلا ﴿قل تعالوا أتل﴾ والآية التي بعدها.

(الأعراف): أخرج أبو الشيخ بن حيان عن قتادة قال: الأعراف مكية إلا آية ﴿واسألهم عن القرية﴾ [5]. وقال غيره: من هنا إلى: ﴿وإذ أخذ ربك من بني آدم ...﴾ [6] مدني.

(الأنفال): استثنى منها: ﴿وإذ يمكر بك الذين كفروا ...﴾ [7] الآية، قال مقاتل: نزلت بمكة.

قلت: يرده ما صح عن ابن عباس أن هذه الآية بعينها نزلت بالمدينة كما أخرجناه في أسباب النزول، واستثنى بعضهم قوله: ﴿يا أيها النبي حسبك الله ...﴾ [8] الآية، وصححه ابن العربي وغيره.

قلت: يؤيده ما أخرجه البزار، عن ابن عباس أنها نزلت لما أسلم عمر.

(براءة): قال ابن الفرس: مدنية إلا آيتين: ﴿لقد جاءكم رسول ...﴾ [9] إلى آخرها.

قلت: غريب، كيف وقد ورد أنها آخر ما نزل! واستثنى بعضهم: ﴿ما كان

---

(١) آية ٢١، ٢٢ (٢) آية ٢٠ (٣) آية ١١٤
(٤) آية ٩١ (٥) آية ١٦٣ (٦) ٢ آية ١٧٢
(٧) آية ٣٠ (٨) آية ٦٤ (٩) آيتا ١٢٨، ١٢٩

لِلنَّبِيّ .. ﴾ [1] الآية ، لِمَا وَرد أنها نزلت فى قوله عليه الصلاة والسلام لأبى طالب : «لأستغفرنّ لك ما لم أُنْهَ عنك».

(يونس): استُثنى منها: ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ .. ﴾ [2] الآيتين، وقوله: ﴿وَمِنْهُم مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ ..﴾ [3] الآية. قيل: نزلت فى اليهود. وقيل: من أوّلها إلى رأس أربعين مكّى والباقى مدنىّ، حكاه ابنُ الفرس والسخاوىّ فى جمال القرّاء.

(هود): استثنى منها ثلاث آيات: ﴿ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ ..﴾ [4]، ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ ..﴾ [5]، ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ ..﴾ [6].

قلت : دليل الثالثة ما صحّ من عدة طرق أنّها نزلت بالمدينة فى حق أبى اليُسْر.

(يوسف) : استثنى منها ثلاثَ آيات من أوّلها ، حكاه أبو حيان ، وهو واهٍ جدًّا لا يلتفتُ إليه .

(الرعد): أخرج أبو الشيخ عن قتادة قال: سورة الرعد مدنية الا آية، قوله: ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ .. ﴾ [7] وعلى القول بأنها مكية ، يستثنى قوله: ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ﴾ إلى قوله : ﴿ شَدِيدُ الْمِحَالِ .. ﴾ [8] كما تقدّم والآية آخرها ، فقد أخرج ابن مَرْدُويه عن جُنْدَب ، قال : جاء عبد الله بن سلَام حتى أخذ بعضادتى باب المسجد، قال : أنشدكم بالله أىْ قوم ، أتعلمون أنى الّذى أنزلت فيه : ﴿ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴾ [9]؟ قالوا : اللهمّ نعم.

(إبراهيم) : أخرج أبو الشيخ عن قتاده قال : سورة إبراهيم مكّية غير آيتين مدنيتين: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا ﴾ إلى ﴿ وَبِئْسَ الْقَرَارُ ..﴾ [10].

---

(١) آية ١١٣ (٢) آية ٩٤، ٩٥ (٣) آية ٤٠
(٤) آية ١٢ – ١٤ (٥) آية ١٧ (٦) آية ١١٤
(٧) آية ٣١ (٨) آيتا ٨ — ١٣
(٩) آية ٤٣ (١٠) آية ٢٨، ٢٩

(الحجر) : استثنى بعضهم منها: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً.. ﴾، الآية [١] .

قلت . وينبغي استثناء قوله : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ... ﴾ [٢]، الآية ، لما أخرجه الترمذىّ وغيره فى سبب نزولها ، وأنها فى صفوف الصلاة.

(النَّحل) : تقدَّم عن ابن عباس أنه استثنى آخرها ، وسيأتى فى السَّفرىّ ما يؤيده. وأخرج أبو الشَّيخ عن الشعبىّ، قال: نزلت النَّحل كُلها بمكة إلا هؤلاء الآيات: ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ... ﴾ [٣] إلى آخرها.

وأخرج عن قتادة، قال : سورة النحل من قوله: ﴿ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَاظُلِمُوا ... ﴾ [٤] إلى آخرها مدنىّ، وما قبلها إلى آخر السورة مكى، وسيأتى فى أوّل مانزل عن جابر بن زيد أنّ النحل نزل منها بمكة أربعون، وباقيها بالمدينة. ويردّ ذلك ماأخرجه أحمد عن عثمان بن أبى العاص فى نزول ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾ [٥]، وسيأتى فى نوع الترتيب .

(الإسراء) : استثنى منها : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ .. ﴾ [٦] الآية، لما أخرج البخارىّ عن ابن مسعود أنها نزلت بالمدينة فى جواب سؤال اليهود عن الرّوح .

واستثنى منها أيضا : ﴿ وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ ﴾ إلى قوله : ﴿ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ [٧] ، وقوله: ﴿ قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ ... ﴾ [٨] الآية، وقوله: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا.. ﴾ [٩] الآية، و﴿ إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ ﴾ [١٠] لما أخرجناه فى فى أسباب النزول .

(الكهف) : استثنى من أوّلها إلى ﴿ جُرُزًا ﴾ [١١]، وقوله : ﴿ وَاصْبِرْ

---

(١) سورة الحجر ٨٧
(٢) سورة الحجر ٢٤
(٣) سورة النحل ١٢٦
(٤) سورة النحل ٤١
(٥) سورة النحل ٩٠
(٦) سورة الإسراء ٨٥
(٧) سورة الاسراء ٧٣ ــ ٨١
(٨) سورة الإسراء ٨٨
(٩) سورة الإسراء ٦٠
(١٠) سورة الإسراء ١٠٧
(١١) سورة الكهف ١ ــ ٨

﴿نَفْسَكَ...﴾[1] الآية، و﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا...﴾[2] إلى آخر السورة.

(مريم): استثنى منها آية السجدة، وقوله ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلا وَارِدُهَا﴾[3].

(طه): استثنى منها: ﴿فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ...﴾[4] الآية.

قلت: ينبغى أن يستثنى آية أخرى فقد أخرج البزار وأبو يعلى عن أبى رافع قال: أضاف النبىّ صلى الله عليه وسلم ضيفاً فأرسلنى إلى رجل من اليهود: أن أسلفنى دقيقا إلى هلال رجب، فقال: لا إلا برهن، فأتيت النبىّ صلى الله عليه وسلم فأخبرته: فقال: «أما والله إنّى لأمين فى السماء أمين فى الأرض»، فلم أخرج من عنده حتى نزلت هذه الآية: ﴿وَلاَ تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِنْهُمْ﴾[5].

(الأنبياء): استثنى منها: ﴿أَفَلاَ يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِى الْأَرْضَ ...﴾[6] الآية.

(الحج): تقدم ما يُستثنى منها.

(المؤمنين): استثنى منها: ﴿حَتَّى إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ﴾، إلى قوله: ﴿مُبْلِسُونَ﴾[7].

(الفرقان): استثنى منها: ﴿وَالَّذِينَ لاَ يَدْعُونَ﴾ إلى ﴿رَحِيماً﴾[8].

(الشعراء): استثنى ابن عباس منها: ﴿وَالشُّعَرَاءُ﴾[9] إلى آخرها كما تقدم. زاد غيره قوله: ﴿أَوَ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةً أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِى إِسْرَائِيلَ﴾[10]، حكاه ابن الفرس.

(القصص): استثنى منها ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾ إلى قوله: ﴿الْجَاهِلِينَ﴾[11]، فقد أخرج الطبرانىّ عن ابن عباس أنها نزلت هى وآخر الحديد فى أصحاب النجاشىّ الذين قدموا وشهدوا وقعة أحد، وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ...﴾[12] الآية لما سيأتى.

---

(١) سورة الكهف ٢٨
(٢) سورة الكهف ١٠٧
(٣) سورة مريم ٧١
(٤) سورة طه ١٣٠
(٥) سورة طه ١٣١
(٦) سورة الأنبياء ٤٤
(٧) سورة المؤمنين ٦٤ ـ ٧٧
(٨) سورة الفرقان ٦٨ ـ ٧٠
(٩) سورة الشعراء ٢٢٤ ـ ٢٢٧
(١٠) سورة الشعراء ١٩٧
(١١) سورة القصص ٥٢ — ٥٥
(١٢) سورة القصص ٨٥

(العنكبوت): استثنى من أولها إلى: ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ﴾ [1]، لما أخرجه ابن جرير في سبب نزولها.

(قلت): ويضم إليه: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ ...﴾ [2] الآية، لما أخرجه ابن أبي حاتم في سبب نزولها.

(لقمان): استثنى منها ابن عباس: ﴿وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ...﴾ [3] الآيات الثلاث كما تقدم.

(السجدة): استثنى منها ابن عباس: ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا..﴾ [4] الآيات الثلاث كما تقدم، وزاد غيره: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ﴾ [5] ويدل له ما أخرجه البزار عن بلال، قال: كنا نجلس في المسجد، وناس من الصحابة يصلون بعد المغرب إلى العشاء، فنزلت.

(سبأ): استثنى منها: ﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ...﴾ [6] الآية. وروى الترمذي عن فَرْوة بن مُسَيْك المُرادي، قال: أتيتُ النبي صلى الله عليه وسلم فقلت: يا رسول الله، ألا أقاتل مَنْ أدبر من قومي ... الحديث، وفيه: «وأنزل في سبأ ما أنزل»، فقال رجل: يا رسول الله، وما سبأ؟... الحديث.

قال ابنُ الحصار: هذا يدلُّ على أنَّ هذه القصة مدنية لأنَّ مهاجرة فروة بعد إسلام ثقيف سنة تسع.

قال: ويحتمل أن يكون قوله: «وأنزل» حكاية عما تقدم نزوله قبل هجرته.

(يس): استثنى منها: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى...﴾ [7] الآية، لما أخرجه الترمذي والحاكم عن أبي سعيد، قال: كانت بنو سلمة في ناحية المدينة، فأرادوا النقلة إلى قرب المسجد، فنزلت هذه الآية. قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إن آثاركم تكتب»، فلم

---

(١) سورة العنكبوت ١١
(٢) سورة العنكبوت ٦٠
(٣) سورة لقمان ٢٧ — ٢٩
(٤) سورة السجدة ١٨ — ٢٠
(٥) سورة السجدة ١٦
(٦) سورة سبأ ٦
(٧) سورة يس ١٢

ينتقلوا . واستثنى بعضهم: ﴿ وإذا قيلَ لهُمْ أنفِقُوا.. ﴾ (١) الآية ،قيل: نزلت في المنافقين .

(الزمر): استُثنِيَ منها : ﴿ قُلْ يا عِبادِيَ ... ﴾ (٢) الآيات الثلاث كما تقدم عن ابن عباس.

وأخرج الطبرانيّ من وجه آخر عنه أنها نزلت في وحشيّ قاتل حمزة ، وزاد بعضهم : ﴿ قُلْ يا عِبادِ الذينَ آمَنُوا اتقُوا ربَّكُمْ ... ﴾ (٣) الآية، ذكره السخاويّ في جمال القرّاء، وزاد غيره: ﴿ اللهُ نزَّلَ أحسَنَ الحديث... ﴾ (٤) الآية، وحكاه ابن الجزريّ.

(غافر) : استثنى منها: ﴿ إنَّ الَّذِينَ يُجادِلُونَ ﴾ إلى قوله: ﴿ لا يَعلَمُونَ ﴾ (٥)، فقد أخرج ابن أبي حاتم عن أبي العالية وغيره ، أنها نزلت في اليهود لما ذكروا الدجال، وأوضحته في أسباب النزول .

(شورى) : استُثنِيَ منها : ﴿ أمْ يَقُولُونَ افترَى ﴾ إلى قوله: ﴿ بصير ﴾ (٦) .

قلت: بدلالة ما أخرجه الطَّبراني والحاكم في سبب نزولها ، فإنّها نزلت في الأنصار. وقوله: ﴿ ولو بسط ... ﴾ (٧) الآية نزلت في أصحاب الصُّفّة. واستثنى بعضهم: ﴿ والَّذِينَ إذا أصابَهُمُ البَغْيُ ﴾ إلى قوله: ﴿ مِنْ سَبيلٍ ﴾ (٨)، حكاه ابن الفرس .

(الزخرف) : استثنى منها: ﴿ واسْألْ مَنْ أرْسَلْنا... ﴾ (٩) الآية ، قيل: نزلت بالمدينة وقيل : في السماء .

(الجاثيـة) : استُثنِيَ منها : ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا ... ﴾ (١٠) الآية ، حكاه في جمال القُرّاء عن قتادة .

(الأحقاف) : استثنى منها: ﴿ قُلْ أرأيْتُمْ إنْ كانَ مِنْ عِنْدِ اللهِ... ﴾ (١١) الآية، فقد

---

(١) سورة يس ٤٧
(٢) الزمر ٥٣ — ٥٥
(٣) سورة الزمر ١٠
(٤) سورة الزمر ٢٣
(٥) سورة غافر ٥٦ ، ٥٧
(٦) سورة الشورى ٢٤ — ٢٧
(٧) سورة الشورى ٢٧
(٨) سورة الشورى ٣٩ ، ٤٠
(٩) سورة الزخرف ٤٥
(١٠) سورة الجاثية ١٤
(١١) سورة الأحقاف ١٠

أخرج الطّبرانىّ بسندٍ صحيح، عن عوْف بن مالك الأشجعىّ، أنها نزلت بالمدينة فى قصّة إسلام عبد الله بن سلاَم؛ وله طرق أخرى، لكن أخرج ابن أبى حاتم عن مسروق، قال: أنزلت هذه الآية بمكة، إنما كان إسلامُ ابنِ سلاّم بالمدينة، وإنما كانت خصومةً خاصم بها محمدًا صلى الله عليه وسلم.

وأخرج عن الشعبىّ قال: ليس بعبد الله بن سلاَم، وهذه الآية مكية. واستثنى بعضهم: ﴿وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ...﴾ [1] الآيات الأربع، وقوله: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ...﴾ [2] الآية، حكاه فى جمال القرّاء.

(ق): استثنى منها: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمٰوَاتِ﴾ إلى ﴿لُغُوبٍ﴾ [3]، فقد أخرج الحاكم وغيره أنّها نزلت فى اليهود.

(النجم): استثنى منها: ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ﴾ [4] إلى ﴿اتَّقَى﴾. وقيل: ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى...﴾ [5] الآيات التسع.

(القمر) استُثنى منها: ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ...﴾ [6] الآية: هو مردود لما سيأتى فى النوع الثانى عشر. وقيل: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ...﴾ [7] الآيتين.

(الرحمن): استثنى منها: ﴿يَسْأَلُهُ﴾ [8]، حكاه فى جمال القُرّاء.

(الواقعة): استثنى منها: ﴿ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ * وَثُلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ [9]، وقوله: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾ إلى ﴿تُكَذِّبُونَ﴾ [10]، لما أخرجه مسلم فى سبب نزولها.

---

(١) سورة الأحقاف ١٥
(٢) سورة الأحقاف ٣٥
(٣) سورة ق ٣٨
(٤) سورة النجم ٣٢
(٥) سورة النجم ٣٣ ومابعدها
(٦) سورة القمر ٤٥
(٧) سورة القمر ٥٤، ٥٥
(٨) سورة الرحمن ٢٩
(٩) سورة الواقعة ١٣، ١٤
(١٠) سورة الواقعة ٧٥ — ٨٢

(الحديد) : يستثنى منها على القول بأنها مكية آخرها .

(المجادلة) : استثنى منها: ﴿ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ ... ﴾ [1] الآية، حكاه ابن الفَرَس وغيره .

(التغابن): يُستثنى منها على أنها مكيّة آخرُها ، لما أخرجه الترمذيّ والحاكم في سبب نزولها .

(التحريم) : تقدّم عن قتادة أنّ المدنىّ منها إلى رأس العشر،والباقى مكىّ .

(تبارك) : أخرجَ جُويبِر فى تفسيره عن الضّحاك،عن ابن عباس :قال : أنزلت الملك فى أهل مكة إلا ثلاث آيات .

(ن) : استثنى منها: ﴿ إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ ﴾، إلى ﴿ يَعْلَمُونَ ﴾ [2]،ومن : ﴿ فَاصْبِرْ ﴾ إلى ﴿ الصَّالِحِينَ ﴾ [3] فإنّه مدنىّ ؛ حكاه السخاوىّ فى جمال القراء .

(المزمّل):استثنى منها: ﴿ وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ... ﴾ [4] الآيتين ، حكاه الأصبهانىّ ، وقوله : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ... ﴾ [5] إلى آخر السورة.حكاه ابن الفرَس، وردّه ماأخرجه الحاكم عن عائشة أنّه نزل بعد نزول صدر السورة بسنة، وذلك حين فرض قيام الليل فى أوّل الإسلام قبل فرض الصلوات الخمس .

(الإنسان):استثنى منها: ﴿ فاصبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ ﴾ [6] .

(المرسلات) : استثنى منها : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ ﴾ [7] ، حكاه ابن الفرَس وغيره .

---

(١) سورة المجادلة ٧

(٢) سورة ن ١٧ — ٣٣

(٣) سورة ن ٤٨ — ٥٠

(٤) سورة المزمل ١٠ ، ١١

(٥) سورة المزمل ٢٠

(٦) سورة الإنسان ٢٤

(٧) سورة المرسلات ٤٨

(المطففين): قيل: مكية إلا ست آيات من أولها .

(البلد) : قيل: مدنية إلا أربع آيات من أولها .

(الليل) : قيل: مكية إلا أولها .

***

ضوابط
فى المكىّ والمدنىّ

(أرأيت) : نزل ثلاث آيات من أولها بمكة ، والباقى بالمدينة .

أخرج الحاكم فى مستدركه والبيهقى فى الدلائل والبزّار فى مسنده من طريق الأعمش ، عن إبراهيم ، عن علقمة ، عن عبد الله ، قال : ما كان « يأيها الذين آمنوا » أنزل بالمدينة ، وما كان « يَأَيُّهَا النَّاسُ » فبمكة .

وأخرجه أبو عبيد فى الفضائل عن علقمة مرسلاً .

وأخرج عن ميمون بن مهران ، قال : ما كان فى القرآن « يأيها الناس » أو « يابنى آدم » ، فإنه مكىّ ، وما كان « يأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا » فإنه مدنىّ .

قال ابن عطية وابن الفرس وغيرهما : هو فى « يأيها الذين آمنوا » صحيح وأمّا « يأَيُّها النَّاس » فقد يأتى فى المدنىّ .

وقال ابنُ الحصّار : قد اعتنى المتشاغلون بالنسخ بهذا الحديث ، واعتمدوه على ضعفه ، وقد اتفق النّاس على أنّ النساء مدنيّه وأولها « يَأَيُّها النَّاسُ » ، وعلى أنّ الحج مكية ، وفيها ﴿ يأَيُّهَا الَّذِينَ آمنُوا ارْكَعُوا واسْجُدُوا ﴾[1] .

وقال غيره : هذا القول إن أُخِذَ على إطلاقه ، فيه نظر فإنّ سورة البقرة مدنية ، وفيها: ﴿ يأَيُّها النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمْ ﴾[2]، ﴿ يأَيُّها النَّاسُ كُلُوا ممَّا فِي الْأَرْضِ ﴾[3] .
وسورة النساء مدنية ، وأولها: ﴿ يَأَيُّها النَّاسُ ﴾ .

---

(١) سورة الحج ٧٧
(٢) سورة البقرة ٢١
(٣) سورة البقرة ١٦٨

وقال مكيّ : هذا إنمّا هو فى الأكثر ، وليس بعامّ ، وفى كثير من السور المكية « يأيها الذين آمنوا » .

وقال غيرُه : الأقرب حمله على أنه خطاب ، المقصود به ـ أو جلّ المقصود به ـ أهل مكة أو المدينة.

وقال القاضى : إن كان الرجوع فى هذا إلى النقل فسلّم، وإن كان السبب فيه حصول المؤمنين بالمدينة على الكثرة دون مكة فضعيف ، إذ يجوز خطاب المؤمنين بصفتهم وباسمهم وجنسهم ويؤمر غير المؤمنين بالعبادة كما يؤمر المؤمنون بالاستمرار عليها والازدياد منها . نقله الإمام فخر الدين فى تفسيره .

وأخرج البيهقيّ فى الدلائل من طريق يُونس بن بُكَير، عن هشام بن عروة، عن أبيه، قال : كل شىء نزل من القرآن فيه ذكر الأمم والقرون ، فإنّما نزل بمكة ، وما كان من الفرائض والسنن فإنما نزل بالمدينة .

وقال الجعبرىّ : لمعرفة المكى والمدنى طريقان : سماعىٌّ وقياسىٌّ ، فالسماعىّ ما وصل إلينا نزوله بأحدهما ، والقياسىّ كل سورة فيها « يأيها الناس » فقط، أو « كلاّ »، أو أوّلها حرف تهجٍّ ، سوى الزهراوين والرعد، أو فيها قصة آدم وإبليس ، سوى البقرة فهى مكّية . وكل سورة فيها قصص الأنبياء والأمم الخالية مكّية، وكلّ سورة فيها فريضة أو حدّ؛ فهى مدنيّة . انتهى .

وقال مكىّ : كلّ سورة فيها ذكر المنافقين فمدنيّة ؛ زاد غيره : سوى العنكبوت .

وفى كامل الهذلىّ : كلّ سورة فيها سَجْدة فهى مكّية .

وقال الدرينىّ رحمه الله :

وما نزلتْ كلاّ بيثرب فاعلمنْ * ولم تأتِ فى القرآن فى نصفه الأعْلَى

وحكمة ذلك أنّ نصفَه الأخير نزل أكثرُه بمكة ، وأكثرها جبابرة ، فتكرّرت فيه على وجه التهديد والتعنيف لهم ، والإنكار عليهم ، بخلاف النّصف الأول ، وما نزل

منه فى اليهود لم يحتج إلى إيراد هلفيه[1] لذاتهم وضعفهم ؛ ذكره العمانى .

* * *

فائدة

أخرج الطبرانىّ ، عن ابن مسعود : نزل المفصّل بمكة فمكثنا حججا نقرؤه لا ينزل غيره .

* * *

تنبيه

قد تبين بما ذكرناه من الأوجه التى ذكرها ابن حبيب المكىّ والمدنىّ وما اختُلف فيه وترتيب نزول ذلك، والآيات المدنيّات فى السورة المكية والآيات المكيّات فى السور المدنية ،وبقى أوجهٌ تتعلّق بهذا النوع ذكرهو أمثالها فنذكره .

مثالُ مانزل بمكة وحكمُه مدنىّ : ﴿ يأيُّهَا النَّاسُ إنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وأُنثَى… ﴾[2] الآية، نزل بمكة يوم الفتح، وهى مدنيّة لأنها نزلت بعد الهجرة . وقوله : ﴿ اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾[3] كذلك .

قلت: وكذا قوله: ﴿ إنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إلى أَهْلِهَا … ﴾[4] فى آيات أخر .

ومثال مانزل بالمدينة وحكمه مكىّ سورة الممتحنة، فإنها نزلت بالمدينة مخاطبة لأهل مكة . وقوله فى النحل: ﴿ والَّذِينَ هَاجَرُوا… ﴾[5] إلى آخرها،نزل بالمدينة مخاطباً به أهل مكة ، وصدر براءة نزل بالمدينة خطابا لمشركى أهل مكة .

ومثال مايشبه تنزيل المدنىّ فى السور المكية قوله فى النجم: ﴿ الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ

---

(١) كذا فى الأصل ، وفى ط : «مافيه» .
(٢) سورة الحجرات ١٣
(٣) سورة المائدة ٢
(٤) سورة النساء ٥٨
(٥) سورة النحل ٤١

كبائِرَ الإِثمِ وَالْفَوَاحِشَ إلاَّ اللَّمَمَ ﴾(١) ؛فإنّ الفواحش كلّ ذنب فيه حَدّ والكبائر كلّ ذنب عاقبته النار،واللمم ما بين الحدّين من الذنوب،ولم يكن بمكة حدّ ولا نحوه .

ومثال ما يشبه تنزيل مكة فى السور المدنية قوله: ﴿ وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحاً﴾،وقوله فى الأنفال : ﴿ وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إن كانَ هَذَا هُو الحقَّ ...﴾ (٢) الآية .

ومثال ما حُمِل من مكة إلى المدينة سورة يوسف والإخلاص .

قلت : وسبّح، كما تقدم فى حديث البخارىّ .

ومثال ما حُمِل من المدينة إلى مكة :﴿يسألونك عن الشهر الحرام قتالٍ فيه ﴾(٣) وآيةالربا،وصدر براءة،وقوله:﴿ إنّ الذين توفّاهُم الملائكة ظالمي أنفسِهِم...﴾ (٤)الآيات .

ومثال ماحُمِل إلى الحبشة:﴿ قُلْ يا أَهْلَ الكِتابِ تعالَوْا إلى كلمةٍ سَوَاء...﴾ (٥) الآيات .

قلت : صحّ حملها إلى الرّوم .

وينبغى أن يمثّل لِما حُمِل إلى الحبشة بسورة مريم ، فقد صحّ أنجعفر بن أبى طالب قرأها على النّجاشىّ ؛.وأخرجه أحمد فى مسنده.

وأمّا مانزل بالجحفة والطائف وبيت المقدس والحديبية ، فسيأتى فى النوع الذى يلى هذا،ويُضمّ إليه مانزل بمنىً وعرفات وعسفان وتبوك وبدْر وأُحدوحراء وحمراء الأسد .

---

(١) سورة النجم ٣٢
(٢) سورة الأنفال ٣٢
(٣) سورة البقرة ٢١٧
(٤) سورة النساء ٩٧
(٥) سورة آل عمران ٦٤

النوع الثاني
في معرفة الحضري والسفري

أمثلة الحضري كثيرة، وأما السفري فله أمثلة تتبعتها، منها: ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ (١) نزلت بمكة عام حجة الوداع، فأخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه عن جابر قال: لمّا طاف النبيّ صلى الله عليه وسلم قال له عمر: هذا مقام أبينا إبراهيم؟ قال: نعم، قال: أفلا نتّخذه مصلًّى؟ فنزلت.

وأخرج ابن مردويه من طريق عمرو بن ميمون، عن عمر بن الخطّاب، أنه مرّ بمقام إبراهيم فقال: يارسول الله، أليس نقوم مقام خليل ربنا؟ قال: بلى، قال: أفلا نتّخذه مصلًّى! فلم يلبث إلا يسيرا حتى نزلت.

وقال ابن الحصّار: نزلت إمّا في عُمرة القضاء أو في غزوة الفتح أو في حجّة الوداع.

ومنها: ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا...﴾ (٢) الآية، روى ابنُ جرير عن الزّهريّ أنها نزلت في عُمْرة الحديبيَة. وعن السُّدّيّ أنها نزلت في حجّة الوداع.

ومنها: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ (٣) فأخرج ابنُ أبي حاتم عن صفوان بن أميّة قال: جاء رجل إلى النبي صلّى الله عليه وسلم منضمّخ بالزعفران، عليه جبّة، فقال: كيف تأمرني في عمرتي؟ فنزلت، فقال: أين السائل عن العمرة؟ ألقِ عنك ثيابك ثم اغتسل... الحديث.

ومنها: ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ...﴾ (٤) الآية، نزلت بالحديبية، كما أخرجه أحمد، عن كعب بن عجرة الذي نزلت فيه، والواحديّ عن ابن عباس.

ومنها: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ...﴾ (٥) الآية، قيل: نزلت يوم فتح مكة، ولم أقِفْ له على دليل.

---

(١) سورة البقرة ١٢٥
(٢) سورة البقرة ١٨٩
(٣) سورة البقرة ١٩٦
(٤) سورة البقرة ١٩٦
(٥) سورة البقرة ٢٨٥

ومنها: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ ...﴾ (١) الآية، نزلت بمنى عام حجّة الوداع، فيما أخرجه البيهقيّ في الدلائل.

ومنها: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ ...﴾ (٢) الآية، أخرج الطّبرانيّ بسند صحيح عن ابن عباس، أنها نزلت بحمراء الأسد.

ومنها: آية التيمم في النساء (٣)، أخرج ابن مردويه عن الأسلع بن شريك، أنّها نزلت في بعض أسفار النبيّ صلى الله عليه وسلم.

ومنها: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا ...﴾ (٤) نزلت يوم الفتح في جوف الكعبة، كما أخرجه سُنَيد في تفسيره عن ابن جريج، وأخرجه ابن مردويه عن ابن عبّاس.

ومنها: ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ ...﴾ (٥) الآية، نزلت بعُسفان بين الظهر والعصر، كما أخرجهُ أحمد عن أبي عَيَاش الزُّرَقيّ.

ومنها: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾، (٦) أخرج البزّار وغيره عن حذيفة أنها نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم في مسير له.

ومنها: أوّل المائدة، أخرج البيهقيّ في شعب الإيمان، عن أسماء بنت يزيد، أنها نزلت بمنّى. وأخرج في الدّلائل عن أمّ عمرو، عن عمّها، أنها نزلت في مسير له.

وأخرج أبو عبيد عن محمد بن كعب، قال: نزلت سورة المائدة في حجّة الوداع فيما بين مكة والمدينة.

ومنها: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ...﴾ (٧) في الصحيح عن عمر، أنها نزلت

---

(١) سورة البقرة ٢٨١
(٢) سورة آل عمران ١٧٢
(٣) سورة النساء آية ٤٣
(٤) سورة النساء ٥٨
(٥) سورة النساء ١٠٢
(٦) سورة النساء ١٧٦
(٧) سورة المائدة ٣

عشية عرفة يوم الجمعة عام حجّة الوداع، وله طرق كثيرة ، لكن أخرج ابن مردويه عن أبي سعيد الخدريّ ، أنها نزلت يوم غدير خُم .

وأخرج مثله من حديث أبي هريرة، وفيه إنّه اليوم الثامن عشر من ذي الحجة، مرجعَه من حجّة الوداع، وكلاهما لا يصحّ.

ومنها آية التيمّم فيها ، في الصحيح عن عائشة أنّها نزلت بالبيداء وهم داخلون المدينة . وفي لفظ : « بالبيداء أو بذات الجيش » .

قال ابن عبد البرّ في التمهيد: يقال إنّه كان في غزوة بني المصطلق ، وجزم به في الاستذكار ، وسبقه إلى ذلك ابن سعد وابن حبّان، وغزوة بني المصطلق هي غزوة المُرَيْسِيع . واستبعد ذلك بعض المتأخّرين ، قال: لأنّ المريْسيع من ناحية مكة بين قُديد والساحل ، وهذه القصّة من ناحية خَيْبر ، لقول عائشة إنّها « نزلت بالبيداء أو بذات الجيش » وهما بين المدينة وخيبر ، كما جزم به النّوَوِيّ ، لكن جزم ابن التين بأن البَيْداء هي ذو الُحليفة .

وقال أبو عبيد البكريّ : البيداء هو الشّرف الذي قدّام ذي الُحليفة من طريق مكة ، قال : وذات الجيش من المدينة على بريد .

ومنها : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ ... ﴾ [1] الآية . أخرج ابن جرير عن قتادة، قال: ذُكِر لنا أنّها نزلتْ على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ببطن نخل، في الغزوة السابعة حين أراد بنو ثعلبة وبنو محارب أن يفتكوا به فأطلعه الله على ذلك.

ومنها : ﴿ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ ، [2] في صحيح ابن حبّان ، عن أبي هريرة أنها نزلت في السفر ، وأخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه عن جابر أنّها نزلت في ذات الرقيع بأعلى نخل في غزوة بني أنمار .

ومنها : أوّل الأنفال نزلت ببدر عقب الوقعة، كما أخرجه أحمد عن سعد بن أبي وقاص.

---

(١) سورة المائدة ١١

(٢) سورة المائدة ٦٧

ومنها: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ ربكم...﴾ (١) الآية، نزلت ببدر أيضا كما أخرجه الترمذي عن عمر.

ومنها: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ ...﴾ (٢) الآية، نزلت في بعض أسفاره كما أخرجه أحمد عن ثوبان.

ومنها: قوله: ﴿لَوْ كَانَ عَرَضاً قَرِيباً ...﴾ (٣) الآيات، نزلت في غزوة تبوك، كما أخرجه ابن جرير عن ابن عباس.

ومنها: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ (٤)، نزلت في غزوة تبوك، كما أخرجه ابن أبي حاتم عن ابن عمر.

ومنها: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا...﴾ (٥) الآية، أخرج الطبراني وابن مردويه، عن ابن عباس، أنها نزلت لما خرج النبي صلى الله عليه وسلم معتمراً وهبط من ثنية عُسفان، فزار قبر أمه، واستأذن في الاستغفار لها.

ومنها خاتمة النحل، أخرج البيهقي في الدلائل والبزار عن أبي هريره، أنها نزلت بأُحُد، والنبي صلى الله عليه وسلم واقف على حمزة حين استُشهد. وأخرج الترمذي والحاكم عن أُبي بن كعب، أنها نزلت يوم فتح مكة.

ومنها: ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا﴾. (٦) أخرج أبو الشيخ، والبيهقي في الدلائل من طريق شهر بن حوشب، عن عبد الرحمن بن غنم، أنها نزلت في تبوك.

ومنها: أول الحج، أخرج الترمذي والحاكم، عن عمران بن حُصين، قال: لما نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ

---

(١) سورة الأنفال ٩
(٢) سورة التوبة ٣٤
(٣) سورة التوبة ٤٢
(٤) سورة التوبة ٦٥
(٥) سورة التوبة ١١٣
(٦) سورة الإسراء ٧٦

عَظِيمٌ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَلَـٰكِن عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴾ (١) ،نزلت عليه هذه وهو فى سفر ... الحديث . وعند ابن مردويه من طريق الكلبيّ عن أبى صالح عن ابن عباس أنّها نزلت فى مسيره فى غزوة بنى المصطلق .

ومنها : ﴿ هَـٰذَانِ خَصْمَانِ ... ﴾ (٢) الآيات.قال القاضى جلال الدين البُلقينيّ:الظاهر أنّها نزلت يوم بدر وقت المبارزة لما فيه من الإشارة بـ «هذان» .

ومنها : ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ ... ﴾ (٣)الآية، أخرج الترمذىّ عن ابن عباس :قال لما أخرج النبى صلى الله عليه وسلم من مكة قال أبو بكر: أخرجوا نبيّهم لَيَهْلِكُنَّ، فنزلت، قال ابن الحصار:استنبط بعضُهم من هذا الحديث أنّها نزلت فى سفر الهجرة .

ومنها : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ ... ﴾ (٤)الآية ،قال ابن حبيب : نزلت بالطائف،ولم أقف له على مستند .

ومنها : ﴿ إِنَّ الَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ ﴾ (٥) نزلت بالجحفة فى سفر الهجرة ، كما أخرجه ابن أبى حاتم عن الضحاك .

ومنها : أوّل الروم. روى الترمذىّ عن أبى سعيد، قال : لما كان يوم بدر ظهرت الروم على فارس، فأعجب ذلك المؤمنين فنزلت: ﴿ الٓمٓ * غُلِبَتِ الرُّومُ ﴾ إلى قوله: ﴿ بِنَصْرِ اللَّهِ ﴾،(٦) قال الترمذىّ : غُلبت الروم،يعنى بالفتح .

ومنها: ﴿ وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا ... ﴾ (٧)الآية ،قال ابنُ حبيب: نزلت فى بيت المقدس ليلة الإسراء .

ومنها : ﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِىَ أَشَدُّ قُوَّةً ... ﴾ (٨)الآية،قال السخاوىّ فى جمال

---

(١) سورة الحج ١، ٢
(٢) سورة الحج ١٩
(٣) سورة الحج ٣٩
(٤) سورة الفرقان ٤٥
(٥) سورة القصص ٨٥
(٦) سورة الروم ١ — ٥
(٧) سورة الزخرف ٤٥
(٨) سورة محمد ١٣

القراء : قيل إن النبيّ صلى الله عليه وسلم لمّـا توجّه مهاجراً إلى المدينة ، وقف ونظر إلى مكة وبكى ، فنزلت .

ومنها: سورة الفتح .أخرج الحاكم عن المسوَر بن مخرَمة ومَرْوان بن الحكم،قالا: نزلت سورة الفتح بين مكة والمدينة فى شأن الُحدَيبية من أوّلها إلى آخرها ، وفى المستدرك أيضا من حديث مجمِّع بن جارية ،أنّ أوّلها نزل بكراع الغَميم .

ومنها : ﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنثَى... ﴾ (١) الآية ، أخرج الواحدىّ عن ابن أبى مُليكة أنّها نزلت بمكة يوم الفتح لمّا رَقَى بلال على ظهر الكعبة وأذّن ، فقال بعض الناس :أهذا العبد الأسود يؤذن على ظهر الكعبة! .

ومنها : ﴿ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ... ﴾(٢) الآية ، قيل :إنها نزلت يوم بدر ؛ حكاه ابن الفَرَس ، وهو مردود لما سيأتى فى النوع الثاني عشر ،ثم رأيت عن ابن عباس مايؤيده .

ومنها :قال النسَفى قوله :﴿ ثُلّةٌ من الأولين ﴾(٣) ،وقوله: ﴿ أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ ﴾ (٤) نزلتا فى سفره صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، ولم أقف له على مستند .

ومنها : ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾ (٥) أخرج ابن أبى حاتم، من طريق يعقوب بن مجاهد أبى حَزْرة ، قال : نزلت فى رجل من الأنصار فى غزوة تَبُوك ، لما نزلوا الِحجْر ، فأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ألاّ يحملوا من مائها شيئا، ثم ارتحل، ثم نزل منزلا آخر وليس معهم ماء ،فشكوا ذلك، فدعا فأرسل الله سحابة ، فأمطرت عليهم حتى استقوا منها،فقال رجل من المنافقين :إنما مُطِرْنا بنوء كذا ،فنزلت .

ومنها : آية الامتحان: ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ المؤمناتُ مهاجرَاتٍ فامتحنوهنّ... ﴾(٦) الآية ،أخرج ابن جرير وعن الزهرىّ أنّها نزلت بأسفل الُحديبية .

---

(١) سورة الحجرات ١٣
(٢) سورة القمر ٤٥
(٣) سورة الواقعة ١٣
(٤) سورة الواقعة ٨١
(٥) سورة الواقعة ٨٢
(٦) سوره الممتحنة ١٠

ومنها : سورة المنافقين ، أخرج الترمذىّ عن زيد بن أرقم أنها نزلت ليلاً فى غزوة تبوك . وأخرج سفيان أنها فى غزوة بنى المصطلق ، وبه جزم ابن إسحاق وغيره .

ومنها : سورة المرسلات ، أخرج الشيخان عن ابن مسعود : قال : « بينما نحنُ مع النبىّ صلى الله عليه وسلم فى غار بمنًى إذ نزلت عليه : والمرسلات ... » الحديث .

ومنها : سورة المطفّفين أو بعضها ، حكى النّسفىّ وغيرُه ، أنّهَا نَزَلَتْ فى سفر الهجرة قبل دخوله صلى الله عليه وسلم المدينة .

ومنها : أوّل سورة « اقرأ » نزل بغار حِراء ، كما فى الصحيحين .

ومنها : سورة الكوثر . أخرج ابن جرير عن سعيد بن جُبير ، أنّهَا نزلَت يوم الُحديبيَة ، وفيه نظر .

ومنها : النّصر : أخرج البزار والبيهقىّ فى الدلائل عن ابن عمر ، قال : أنزلت هذه السورة « إذا جاء نصر الله والفتح » ، على رسول الله صلى الله عليه وسلم أوسط أيام التشريق فعرف أنّه الوداع ، فأمر بناقته القَصْوَاء ، فرُحِلت ، ثم قام فخطب الناس ، فذكر خطبته المشهورة .

النوع الثالث
معرفة النهاري والليلي

أمثلة النهاري كثيرة. قال ابن حبيب: نزل أكثر القرآن نهاراً؛ وأما الليل فتتبعت له أمثلة:

منها: آية تحويل القبلة، ففي الصحيحين من حديث ابن عمر: «بينما الناس بقُباء في صلاة الصبح، إذا أتاهم آتٍ فقال: إنّ النبي صلى الله عليه وسلم قد أُنزِلَ عليه الليلة قرآن، وقد أُمِر أن يستقبل القبلة.

وروى مسلم عن أنس أنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم كان يصلي ببيت المقدس فنزلت: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ...﴾ (١) الآية، فمرّ رجل من بني سَلِمة، وهم ركوع في صلاة الفجر وقد صلَّوْا ركعة، فنادى: ألا إنّ القبلة قد حوّلت، فمالوا كلهم نحو القبلة، لكن في الصحيحين عن البَراء، أنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم صلّى فيه قبل بيت المقدس ستّة عشر — أو سبعة عشر — شهرا، وكان يعجبه أن تكون قبلته قِبَل البيت، وأنه أوّل صلاة صلاّها العصر وصلى معه قوم، فخرج رجل ممّن صلى معه، فمرّ على أهلِ مسجدٍ وهم راكعون، فقال: أشهد بالله، لقد صلّيتُ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قِبَل الكعبة، فداروا كما هم قِبَل البيت؛ فهذا يقتضي أنّها نزلتْ نهارا بين الظّهر والعصر.

قال القاضي جلال الدين: والأرجح بمقتضى الاستدلال نزولُها بالليل؛ لأن قضية أهل قُباء كانت في الصّبح، وقُباء قريبة من المدينة، فيبعد أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم أخّر البيان لهم من العصر إلى الصبح.

وقال ابن حجر: الأقوى أنّ نزولها كان نهارا. والجواب عن حديث ابن عمر، أنّ الخبر وصل وقت العصر إلى مَنْ هو داخل المدينة وهم بنو حارثة، ووصل وقت الصبح

---

(١) سورة البقرة ١٤٤

إلى مَنْ هو خارج المدينة، وهو بنو عمرو بن عوف أهل قُباء.وقوله : «قد أنزل عليه الليلة» مجاز ،من إطلاق الليلة على بعض اليوم الماضي والذي يليه .

قلت : ويؤيد هذا ما أخرجه النّسائيّ عن أبي سعيد بن المعلّى ، قال : مررنا يوماً ورسول الله صلى الله عليه وسلم قاعد على المنبر ، فقلت: لقدحدث أمر ،فجلست، فقرأرسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية : ﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاء ... ﴾؛ حتى فرغ منها،ثم نزل فصلى الظهر .

ومنها : أواخر آل عمران ،أخرج ابن حبّان في صحيحه ، وابن المنذر وابن مَرْدُويه وابنُ أبي الدنيا في كتاب التفكّر عن عائشة ، أن بلالا أتى النبيّ صلى الله عليه وسلم يُؤذنه لصلاة الصبح ،فوجده يبكي ،فقال: يارسول الله، مايبكيك؟ قال :ومايمنعني أن أبكي وقد أنزل عليّ هذه الليلة: ﴿ إنّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألْبَاب ﴾ ![1] ثم قال : ويل لمن قرأها ولم يتفكّر !

ومنها : ﴿ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾[2] ،أخرج التّرمذيّ والحاكم عن عائشة قالت : كان النبيّ صلى الله عليه وسلم يُحرَس ،حتى نزلَتْ ،فأخرج رأسه من القُبّة ،فقال : أيُّها النّاس ، انصرفوا فقدعصمني الله .

وأخرج الطّبراني عن عِصْمة بن مالك الخَطميّ ، قال : كنّا نحرُس رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بالليل حتى نزلت ،فترك الحرَس.

ومنها : سورة الأنعام ، أخرج الطّبرانيّ وأبو عبيد في فضائله عن ابن عباس ، قال : نزلت سورة الأنعام بمكّة ليلاً جملة،حولها سبعون ألف ملك يجأرون بالتسبيح .

ومنها : آية الثلاثة الذين خُلّفوا[3] ،ففي الصحيحين من حديث كعب فأنزل الله

---

(١) سورة آل عمران ١٩٠
(٢) سورة المائدة ٦٧
(٣) سورة التوبة ١١٨

توبتنا حين بقى الثلث الأخير من الليل .

ومنها : سورة مريم؛ روى الطّبرانىّ وأبو عبيد فى فضائله عن ابن عباس ، قال : أتيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فقلت : وُلِدتْ لى اللّيلةَ جارية،فقال : والليلة أُنْزِلت علىّ سورة مريم ،سمِّها مريم .

ومنها : أولُ الحجّ ، ذكره ابنُ حبيب ومحمد بن برَكات السعيدىّ فى كتابه الناسخ والمنسوخ ، وجزم به السّخاوىّ فى جمال القراء . وقد يستدلّ له بما أخرجه ابن مردُويه عن عمران بن حصين أنها نزلت والنبىّ صلى الله عليه وسلم فى سفر .وقدنعس بعضُ القوم ،وتفرقّ بعضُهم ، فرفع بها صوته ... الحديث .

ومنها : آية الإذن فى خروج النِّسوة فى الأحزاب ، قال القاضى جلال الدين . والظّاهر أنها ﴿ يَاأَيها النّبىُّ قُلْ لِأزْواجِك وَبَنَاتِك... ﴾[1] الآية،فى البخارىّ عن عائشة: خرجت سَوْدة بعد ماضُرِب الحجاب لحاجتها— وكانت امرأة جسيمة لاتخفى على مَنْ يعرفها— فرآها عمر ، فقال : يا سَوْدة ،أما والله ماَ تخفَيْنَ علينا، فانظرى كيف تخرجين ! قالت : فانكفأتُ راجعة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإنه ليتعشّى وفى يده عِرْق ،فقلت : يارسول الله،خرجت لبعض حاجتى، فقال لى عمر كذا؛ فأوحى الله إليه — وإن العِرْق فى يده ما وضعه — فقال : إنه قد أذِن لكنّ أن تخرجن لحاجتكنّ .

قال القاضى جلال الدين : وإنما قلنا إنّ ذلك كان ليلًا؛لأنهنّ إنما كنّ يخرجن للحاجة ليلا كما فى الصحيح عن عائشة فى حديث الإفك .

ومنها : ﴿ وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ من رُسُلِنا ... ﴾[2] على قول ابن حبيب إنها نزلت ليلة الإسراء.

---

(١) سورة الأحزاب ٥٩

(٢) سورة الزخرف ٤٥

ومنها : أول الفتح، ففى البخارىّ من حديث: « لقد أنزلت علىّ الليلة سورة هى أحبّ إلى مما طلعت عليه الشمس ، فقرأ : ﴿إنا فتحنا لك فتحا مبينا ﴾ ... » الحديث .

ومنها : سورة « والمرسلات »، قال السخاوىّ فى جمال القراء: روى عن ابن مسعود أنها نزلت ليلة الجنّ بحراء .

قلت : هذا أثر لا يعرف ، ثم رأيت فى صحيح الإسماعيلىّ وهو مستخرجه على البخارى ، أنّها نزلت ليلة عرفة بغار منًى ، وهو فى الصحيحين بدون قوله: « ليلة عرفة »، والمراد بها ليلة التاسع من ذى الحجّة ، فإنّها التى كان النبىّ صلى الله عليه وسلم يبيتّها بمنًى .

ومنها : المعوّذتان ، فقد قاله ابن أشته فى المصاحف : نبّأنا محمد بن يعقوب ، نبأنا أبو داود ، نبّأنا عثمان بن أبى شيبة ، نبّانا جرير ، عن بيان ، عن قيس ، عن عُقْبة بن عامر الْجُهنىّ ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :« أُنْزلت علىّ الليلة آيات لم يُرَ مثلهنّ ؛ قل أعوذ برب الفلق ، وقل أعوذ برب الناس » .

* * *

فرع

ومنه ما نزل بين الليل والنهار فى وقت الصبح ، وذلك آيات :

ومنها : آية التيمم فى المائدة ، ففى الصحيح عن عائشة وحضرت الصبح فالتمس الماء فلم يُوجد ، فنزلت : ﴿ يأيُّها الَّذينَ آمَنُوا إذَا قُمْتُم إلَى الصَّلاَةِ .. ﴾ إلى قوله : ﴿ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [1] .

ومنها : ﴿ليس لك من الأمر شىء﴾ [2]، ففى الصحيح أنها نزلت وهو فى الركعة الأخيرة.

---

(١) سورة المائدة (٢) سورة آل عمران ١٢٨

من صلاة الصبح حين أراد أن يقنت يدعو على أبي سفيان ومن ذكر معه .

* * *

تنبيـــه

فإن قلتَ : فما تصنع بحديث جابر مرفوعا : « أصدقُ الرّؤيا ما كان نهاراً لأنّ الله خصّني بالوحي نهارا »؟ أخرجه الحاكم في تاريخه .

قُلت : هذا الحديث منكَر لا يحتجّ به .

النوعُ الرّابعُ
الصّيفي والشّتائي

قال الواحديّ :أنزل الله فى الكلالة آيتين : إحداهما فى الشتاء ، وهى التى فى أول النساء ، والأخرى فى الصّيف وهى التى فى آخرها .

وفى صحيح مُسلم عن عمر : ماراجعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فى شىء ما راجعتُه فى الكلالة [1] وما أغاظ فى شىء ما أغاظ لى فيه ، حتى طعن بإصبعه فى صدرى ، وقال : « ياعمر ، ألا تكفيك آية الصّيْف الّتى فى آخر سورة النساء ! » .

وفى المستدرك عن أبى هريرة أنّ رجلاً قال : يارسول الله ما الكلالة؟ قال : أمّا سمعتَ الآية التى نزلت فى الصيف: ﴿ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللهُ يُفْتِيكُمْ فِى الْكَلَالَةِ ﴾ [1] وقد تقدم أن ذلك فى سفر حجة الوداع ، فيعدّ من الصيفيّ ما نزل فيها كأوّل المائدة ، وقوله : ﴿ الْيَومَ أَكْمَلْتُ لَكُم دِينَكُمْ ﴾، [2] ﴿ وَاتَّقُوا يَوماً تُرْجَعُونَ ... ﴾ [3] ، وآية الدّيْن وسورة النصر.

ومنه : الآيات النازلة فى غزوة تبوك ، فقد كانت فى شدة الحرّ ،أخرجه البيهقىّ فى الدلائل من طريق ابن إسحاق ،عن عاصم بن عمر بن قتاده وعبد الله بن أبى بكر بن حزْم؛ أنَّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلم ما كان يخرج فى وجه من مغازيه إلا أظهر أنّه يريد غيره ، غيرأنّه فى غزوة تبوك قال: « يأيّها النّاس إنّى أريد الروم» ،فأعلمهم. وذلك فى زمان البأس وشدّة الحرّ وجَدْب البلاد ، فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم ذاتَ يوم

---

(١) سورة النساء ١٧٦
(٢) سورة المائدة ٣
(٣) سورة البقرة ٢٨١

فى جهازه إذ قال الجَدّ بن قيس: « هل لك فى بنات بنى الأصفر؟ ». قال: يارسول الله ، لقد علِم قومى أنه ليس أحَدٌ أشدّ عُجْباً بالنساء منّى ، وإنى أخاف إن رأيت نساء بنى الأصفر أن يفتِنّنى ، فائذن لى . فأنزل الله : ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائذن لى ... ﴾[1] الآية .

وقال رجل من المنافقين: لاتنفروا فى الحرّ، فأنزل الله: ﴿ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ﴾[2].

* * *

ومن أمثلة الشتائى قوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ ... ﴾ إلى قوله : ﴿ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾[3]؛ فنى الصحيح عن عائشة أنّها نزلت فى يوم شاتٍ .

والآيات التى فى غزوة الخندق من سورة الأحزاب ، فقد كانت فى البرد ، ففى حديث حُذيفة : تفرّق النّاس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلةَ الأحزاب إلا اثنى عشر رجلا ، فأتانى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم . فقال : قم فانطلق إلى عسكر الأحزاب ، قلت: يارسولَ الله ، والذى بعثك بالحق ماقمتُ لك إلا حياء من البرد ... الحديث ؛ وفيه فأنزل الله: ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ ... ﴾[4] إلى آخرها ، أخرجه البيهقىّ فى الدلائل .

---

(١) سورة التوبة ٤٩

(٣) سورة النور ١١ — ٢٦

(٤) سورة الأحزاب ٩

النوع الخامس
الفراشي والنومي

من أمثلة الفراشيّ قوله : ﴿ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ [1] كما تقدم ، وآية الثلاثة الذين خُلِّفوا ، ففي الصحيح أنها نزلتْ وقد بقيَ من الليل ثلثه ، وهو صلى الله عليه وسلم عند أمّ سلمة .

واستشكل الجمع بين هذا وقوله صلى الله عليه وسلم في حقّ عائشة : « ما نزَل عليّ الوحيُ في فراش امرأةٍ غيرها » . قال القاضي جلال الدين : ولعلّ هذا كان قبْل القصّة التي نزل الوحي فيها في فراش أمّ سلمة .

قلت : ظفرتُ بما يُؤخذ منه الجواب الذي أحسن من هذا، فروَى أبو يعلَى في مسنده عن عائشة قالت : «أُعطيتُ تسعاً ...» الحديث ، وفيه : « وإن كانَ الوحيُ ليَنزلُ عليه وهو في أهله فينصرفون عنه ، وإن كان ليَنزِل عليه وأنا معه في لحافه » . وعلى هذا لامعارضة بين الحديثين كما لا يخفى .

وأما النّوميّ فمن أمثلته سورة الكوثر ، لِمَا روَى مسلم عن أنس قال : بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا إذ أغفى إغفاءةً ، ثم رفع رأسه متبسّماً، فقلنا : ما أضحكك يارسول الله ؟ فقال : أنزل عليّ آنفا سورة ، فقرأ : بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ * فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ * إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ ﴾ .

وقال الإمام الرافعيّ في أماليه : فهِم فاهمونَ من الحديث أنّ السورة نزلتْ في تلك الإغفاءة ، وقالوا : منَ الوحي ما كان يأتيه في النوم ، لأنّ رؤيا الأنبياء وحي. قال : وهذا صحيح ، لكن الأشبه أن يقالَ : إنّ القرآن كلّه نزل في اليقظة ، وكأنه خطر له

---

(١) سورة المائدة ٦٧

فى النوم سورة الكوثر المنزّلة فى اليقظة ، أو عُرِض عليه الكوثر الذى وردت فيه السورة ، فقرأها عليهم ، وفسّرها لهم. ثمّ قال : وورد فى بعض الروايات أنّه أغمِىَ عليه ، وقد يُحمَل ذلك على الحالة التى كانت تعتريه عند نزول الوحى، ويقال لها : بُرحاء الوحى. انتهى.

قلت : الذى قاله الرافعىّ فى غاية الاتجاه ، وهو الذى كنت أميلُ إليه قبل الوقوف عليه ، والتأويل الأخير أصحّ من الأول ، لأن قوله: « أنزل علىّ آنفا »، يدفع كونَها نزلت قبل ذلك ، بل نقول: نزلت تلك الحالة وليس الإغفاءة إغفاءة نوم، بل الحالة التى كانت تعتريه عند الوحى ، فقد ذكر العلماء أنّه كان يؤخذ عن الدنيا .

النوع السادس
الأرضي والسمائي

تقدم قول ابن العربي إن من القرآن سمائياً وأرضيًّا وما نزل بين السماء والأرض وما نزل تحت الأرض في الغار. قال: وأخبرنا أبو بكر الفهري قال: أنبانا التميمي، أنبأنا هبة الله المفسر، قال: نزل القرآن بين مكة والمدينة إلا ست آيات نزلت لا في الأرض ولا في السماء؛ ثلاث في سورة الصافات: ﴿وَمَا مِنَّا إِلاَّ لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ ...﴾ [1] الآيات الثلاث، وواحدة في الزخرف: ﴿وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا ...﴾ [2] الآية، والآيتان من آخر سورة البقرة نزلت ليلة المعراج.

قال ابن العربي: ولعله أراد في الفضاء بين السماء والأرض. قال: وأمّا ما نزل تحت الأرض فسورة المرسلات كما في الصحيح عن ابن مسعود.

قلت: أمّا الآيات المتقدّمة فلم أقف على مستنَد لما ذكره فيها، إلا آخر البقرة؛ فيمكن أن يستدلّ بما أخرجه مسلم عن ابن مسعود: «لمّا أُسرِيَ برسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى إلى سدرة المنتهى ... » الحديث. وفيه: «فأُعطِيَ رسول الله صلى الله عليه وسلم منها ثلاثاً، أُعطِيَ الصلوات الخمس، وأُعْطِيَ خواتيم سورة البقرة، وغفِر لمن لا يشرك من أمته بالله شيئاً المقحمات» [3].

وفي الكامل للهُذلي نزلت: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ ...﴾ [4] إلى آخرها بقاب قوسين.

---

(١) سورة الصافات ١٦٤ — ١٦٦

(٢) سورة الزخرف ٤٥

(٣) صحيح مسلم ٥٧

(٤) سورة البقرة ٢٨٥، ٢٨٦

النوعُ السابعُ
معرفة أول ما نزل

اختلف فى أول ما نزل من القرآن على أقوال :

— أحدُها ؛ وهو الصحيح : ﴿ اقْرَأْ باسْمِ ربِّكَ ﴾ ، روى الشيخان وغيرهما عن عائشة، قالت : « أوّل ما بُدِىء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحْى الرؤيا الصادقة فى النوم ، فكان لا يرى رؤيا إلاّ جاءتْ مثل فَلَق الصبح ، ثم حُبِّب إليه الخلاء ، فكان يأتى حِرَاء، فيتحنّث فيه الليالى ذوات العدد ، ويتزوّد لذلك ثم يرجع إلى خديجة رضى الله عنها، فتزوّده لمثلها ، حتى فجأه الحق وهو فى غار حِراء، فجاءه الملَك فيه ، فقال : اقرأ ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فقلت : ما أنا بقارىء ، فأخذنى فغطّنى حتى بلغ منى الجهد ، ثم أرسلنى، فقال: اقرأ ، فقلت : ما أنا بقارىء، فغطّنى[1] الثانية ، حتى بلغ منّى الجهد، ثم أرسلنى، فقال : اقرأ ، فقلت : ما أنا بقارئ ، فغطّنى الثالثة حتى بلغ منى الجهد ، ثمّ أرسلنى فقال : ﴿ اقرأ باسم ربّك الّذِى خلَق ﴾ ، حتى بلغ ﴿ مَالَمْ يَعْلَمْ ﴾ ، فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ترجف بوادِره... »[2] الحديث .

وأخرج الحاكم فى المستدرك ، والبيهقىّ فى الدلائل وصححاه عن عائشة ، قالت : أول سورة نزلت من القرآن « اقرأ باسم ربك » .

وأخرج الطّبَرانىّ فى الكبير بسندٍ على شرط الصحيح ، عن أبى رجاء العُطاردىّ ، قال : كان أبو موسى يُقرئنا فيجلسنا حَلقاً ، عليه ثوبان أبيضان ، فإذا تلا هذه السورة : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ ﴾ ، قال : هذه أوّل سورة أنزلت على محمد صلى الله عليه وسلم .

---

(١) الغط : العصر الشديد (٢) البادرة من الإنسان وغيره : التى بين المنكب والعنق .

وقال سعيد بن منصور فى سُننه : حدّثنا سفيان عن عمرو بن دينار، عن عبيد ابن عمير ، قال : جاء جبريل إلى النّبيّ صلّى الله عليه وسلم ، فقال له : اقرأ، قال: وما اقرأ ؟ فوالله ما أنا بقارىء ، فقال: ﴿اقرأ باسْمِ ربِّكَ الّذِى خَلَقَ﴾ . فكان يقولُ: هو أوّل ما أنزل.

وقال أبو عُبيد فى فضائله : حدّثنا عبد الرحمن ، عن سفيان عن ابن أبى نَجيح ، عن مجاهد ، قال : إنّ أوّل ما أنزل من القرآن اقرأ باسم ربّك و ن والقلم .

وأخرج ابن أَشْتَةَ فى كتاب المصاحف ، عن عبيد بن عمير : قال : جاء جبريل إلى النّبىّ صلى الله عليه وسلم بَنَمط ، فقال : اقرأ ، قال : ما أنا بقارىء ، قال : اقرأ باسم ربّك ؛ فيروون أنها أوّل سورة أنزلت مِن السماء .

وأخرجَ عن الزّهرىّ أنّ النّبىّ صلى الله عليه وسلم كان بحراء ، إذ أتى مَلَك بنمط من ديباج فيه مكتوب: ﴿ اقْرَأْ باسْمِ رَبِّكَ الّذِى خَلَقَ...﴾ إلى : ﴿ مَالَمْ يَعْلَمْ ﴾ .

* * *

ـــ القول الثانى : ﴿ يأيّها المدثر ﴾ ، روى الشيخان عن سَلمة بن عبد الرحمن ، قال: سألت جابر بن عبدالله : أىّ القرآن أنزل قَبْل ؟ قال : يأيّها المدثر ، قلت : أو اقرأ باسم ربّك؟ قال: أحدّثكم ما حدّثنا به رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنى جاورتُ بحراء، فلمّا قضيت جوارى، نزلتُ فاستَبْطنت الوادى ، فنظرت أمامى وخلفى ، وعن يمينى وشمالى ، ثم نظرتُ إلى السماء فإذا هو — يعنى جبريل — فأخذتنى رجفة ، فأتيت خديجة ، فأمرتُهم فدثّرونى ، فأنزل الله: ﴿ يأيها المدّثّر * قُمْ فأنْذر ﴾ .

وأجاب الأول عن هذا الحديث بأجوبة :

أحدها أنّ السؤال كان عن نزول سورة كاملة ، فبيّن أن سورة المدثر نزلتْ بكمالها قبل نزول تمام سورة اقرأ ، فإنّها أوّل ما نزل منها صدرها : ويؤيد هذا ما فى الصحيحين أيضاً عن أبى سلمة ، عن جابر : سمعت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وهو يحدّث عن

فترة الوحى ، فقال فى حديثه : بينا أنا أمشى سمعتُ صوتاً من السماءِ ، فرفعت رأسى ، فإذا الملَك الّذِى جاءنى بِحراء جالس علَى كرسىّ بين السماء والأرض ، فرجعت فقلت : زمِّلونِى ، زمِّلونى ، فدثّرونى ، فأنزل الله : ﴿ يا أيُّها المدثّر ﴾ . فقوله : « الملك الذى جاءنى بحراء » يدلّ على أنّ هذه القصة متأخّرة عن قصة حراء التى نزل فيها « اقرأ باسم ربك » .

ثانيها : أنّ مراد جابر بالأوّليّة أوّليّة مخصوصة بما بعد فترة الوحى ، لا أوّلية مطلقة .

ثالثها : أن المراد أوليّة مخصوصة بالأمر بالإنذار . وعبّر بعضهُم عن هذا بقوله : أول ما نزل للنبوّة « اقرَأْ باسْمِ رَبّكَ » وأوّل ما نزل للرسالة « يأيها المدّثر » .

رابعها : أنّ المراد أوّل ما نزل بسبب متقدّم ، وهو ما وقع من التدثّر الناشىء عن الرعب ، وأما « اقرأ » فنزلت ابتداء بغير سبب متقدّم . ذكره ابن حَجَر .

خامسها : أن جابرًا استخرج ذلك باجتهاده ، وليس هو من روايته ، فيقدّم عليه ما روته عائشة . قاله الكرمانى .

وأحسن هذه الأجوبة الأوّل والأخير .

* * *

القول الثالث : سورة الفاتحة ، قال فى الكشاف . ذهب ابن عباس ومجاهد إلى أنّ أول سورة نزلت « اقرأ » ، وأكثر المفسّرين إلى أنّ أول سورة نزلت فاتحة الكتاب .

قال ابنُ حجر : والّذى ذهب إليه أكثر الأئمّة هو الأوّل . وأما الذى نسبه إلى الأكثر فلم يقل به إلاّ عدد أقلّ من القليل بالنسبة إلى مَنْ قال بالأول ، وحجّته ما أخرجه البيهقىّ فى الدلائل والواحدىّ من طريق يونس بن بكير ، عن يونس بن عمرو ، عن أبيه ، عن أبى ميسرة عمرو بن شرحبيل ، أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لخديجة : « إنّى إذا خلوتُ وحدى سمعت نداءً ، فقد والله خشيت أن يكون هذا أمرا » ، فقالت : معاذ الله ، ما كان اللهُ ليفعل بك ، فوالله إنّك لتؤدّى الأمانة ، وتصِلُ

الرَّحم ، وتصدُق الحديث . فلما دخل أبو بكر ذكرت خديجة حديثَه له ، وقالت: اذهب مع محمد إلى وَرَقة .فانطلقافقصَّاعليه،فقال:« إذا خلوتُ وحدى سمعت نداء خلفى :يامحمد يامحمد فأنطلق هاربا فى الأفق » ، فقال: لا تفعل إذا أتاك ، فاثبت حتى تسمع مايقول، ثم ائتنِي فأخبرنى. فلما خلاناداه : يامحمد: قل: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم * الحمدُ لله ربّ العالمين﴾ حتى بلغ ﴿ ولا الضالين﴾ ...لحديث . هذا مرسَل رجاله ثقات .

وقال البيهقى : إن كان محفوظا فيحتمل أن يكون خبرا عن نزولها بعد ما نزلت عليه اقرأ والمدثر .

* * *

القول الرابع : ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ ، حكاه ابن النَّقِيب فى مقدمةتفسيره قولا زائدا .

وأخرج الواحدى بإسناد عن عِكرمة والحسن قالا : أوّل مانَزَل من القرآن« بسم الله الرحمن الرحيم » ، وأوّل سورة « اقرأ باسم ربّكَ » .

وأخرج ابنُ جرير وغيره من طريق الضحّاك ، عن ابن عباس قال: أوّل مانزل جبريل على النبىّ صلى الله عليه وسلم قال: يامحمّد استعذ ، ثم قل: بسم الله الرحمن الرحيم .

وعندى أنّ هذا لايعدّ قولا برأسه،فإنه من ضرورة نزول السورة نزول البسملة معها ، فهى أوّل آية نزلت على الإطلاق .

وورد فى أوّل مانزل حديث آخر:روى الشيخان عن عائشة، قالت :« إنّ أوّل مانزل سورة من المفصّل ، فيها ذكر الجنة والنار ، حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام ».

وقد استشكل هذا بأنّ أوّل مانزل « اقرأ »،وليس فيها ذكر الجنّة والنار. وأجيب بأنّ « مِنْ » مقدّرة، أىْ «مِن أول مانزل»، والمراد سورة المدّثر ، فإنّها أوّل مانزل قبل بعد فترة الوحى ، وفى آخرها ذكرالجنة والنار، فلعلّ آخرهانزل قبل نزول بقية « اقرأ ».

فرع

أخرج الواحدىّ من طريق الحسين بن واقد ، قال : سمعتُ علىّ بن الحسين يقول : أوّل سورة نزلت بمكة اقرأ باسم ربّك ، وآخر سورة نزلت بها « المؤمنون » ، ويقال : العنكبوت . وأوّل سورة نزلت بالمدينة « ويل للمطففين » ، وآخر سورة نزلت بها براءة ، وأوّل سورة أعلنها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بمكّة النّجم .

وفى شرح البخارىّ لابن حَجَر : اتّفقوا على أنّ سورة البقرة أوّل سورة أنزلت بالمدينة . وفى دعوى الاتفاق نظر لقول علىّ بن الحسين المذكور .

وفى تفسير النّسفىّ عن الواقدىّ : إن أوّل سورة نزلتْ بالمدينة سورة القدْر .

وقال : أبو بكر محمد بن الحارث بن أبيض فى جزئه المشهور : حدّثنا أبو العباس عبيد الله بن محمد بن أعين البغدادىّ ، حدثنا حسان ابن إبراهيم الكرْمانىّ ، حدثنا أميّة الأزدىّ ، عن جابر بن زيد ، قال : أوّل ما أنزل الله من القرآن بمكة : « اقرأ باسم ربّك ، ثم ن والقلم ، ثم يأيُّها المزمل ، ثم يأيُها المدّثر ، ثم الفاتحة ، ثم تبّت يدا أبى لَهَب ، ثم إذا الشمس كُوّرت ، ثم سبّح اسم ربك الأعلى ، ثم واللّيل إذا يغشى ، ثم والفجر ، ثم والضحى ، ثم ألم نشرح ، ثم والعصر ، ثم والعاديات ، ثم الكوثر ، ثم ألهاكم ، ثم أرأيت الّذى يكذّب ، ثم الكافرون ، ثم ألم تر كيف ، ثم قل أعوذ بربّ الفلق ، ثم قل أعوذ بربّ الناس ، ثم قل هو الله أحد ، ثم والنجم ، ثم عبس ، ثم إنا أنزلناه ، ثم والشمس وضحاها ، ثم البروج ، ثم والتين ؛ ثم لإيلاف ؛ ثم القارعة ، ثم القيامة ، ثم ويل لكل همزة ، ثم والمرسلات ، ثم ق ، ثم البلد ، ثم الطارق ، ثم اقتربت الساعة ، ثم ص ، ثم الأعراف ، ثم الجن ، ثم يس ، ثم الفرقان ، ثم الملائكة ، ثم كهيعص ، ثم طه ، ثم الواقعة ، ثم الشعراء ، ثم طس سليمان ، ثم طسم القصص ، ثم بنى إسرائيل ، ثم التاسعة — يعنى يونس — ثم هود ، ثم يوسف ، ثم الحجر ، ثم الأنعام ، ثم الصافّات ،

ثم لقمان ، ثم سبأ ، ثم الزمر، ثم حٰم المؤمن ، ثم حٰم السجدة ، ثم حٰم الزخرف ، ثم حٰم الدخان ، ثم حٰم الجاثية ، ثم حٰم الأحقاف ، ثم الذاريات ، ثم الغاشية ، ثم الكهف ، ثم حمعسق ، ثم تنزيل السجدة ، ثم الأنبياء ، ثم النحل أربعين وبقيتها بالمدينة ، ثم إنا أرسلنا نوحا ، ثم الطور ، ثم المؤمنون ، ثم تبارك ، ثم الحاقة ، ثم سأل ، ثم عم يتساءلون ، ثم والنازعات ، ثم إذا السماء انفطرت ، ثم إذا السماء انشقت ، ثم الروم ، ثم العنكبوت ، ثم ويل للمطففين ؛ فذاك ما أنزل بمكة .

وأنزل بالمدينة : سورة البقرة ؛ ثم آل عمران ، ثم الأنفال ، ثم الأحزاب ، ثم المائدة ، ثم الممتحنة ، ثم إذا جاء نصر الله ، ثم الحجّ ، ثم المنافقون ، ثم المجادلة ، ثم التحريم ، ثم الجمعة ، ثم التغابن ، ثم سبّح الحواريّين ، ثم الفتح ، ثم التوبة ، خاتمة القرآن .

قلت : هذا سياق غريب ، وفى هذا الترتيب نظر ، وجابر بن زيد من علماء التابعين بالقرآن وقد اعتمد البرهان الجعبرىّ على هذا الأثر فى قصيدته التى سمّاها: تقريب المأمول ، فى ترتيب النزول فقال :

مكيّها ستٌّ ثمانون اعتلت نُظِمَتْ على وَفْق النزول لِمَنْ تلاَ
اقرأونونُ مُزَمّلٌ مدثّرٌ والحمد تَبّتْ كُوِّرت الأعلى علاَ
ليلٌ وفجر والضّحى شرحٌ وعصْر العاديات وكوثر ألهاكُمْ تلاَ
أرأيت قلْ بالفيل مع فَلَق كذا ناسٌ وقلْ هو نجمُها عَبَسٌ جلاَ
قَدْر وشمس والبروج وتينُها لايلاف قارعة قيامة أقبلاَ
ويل لكلّ المرسلات وقافُ مع بلد وَطارقُها مَعَ اقتربت كَلاَ
صادٌ وأعراف وجنٌّ ثم يا سِينٌ وفُرْقان وفاطرُ اعْتَلَى
كافٌ وطه ثلّة الشّعرا ونمْل قصٌّ الاسرا يونسٌ هودٌ ولاَ
قل يُوسفٌ حِجرٌ وأنعام وذَبْح ثم لقمان سبأ زُمرٌ خلاَ

مع غافرٍ مع فُصّلتْ مَعْ زُخْرُفٍ	ودخانُ جاثيةٌ وأحقافٌ تَلا
ذَرْوٌ وغاشيةٌ وكهفٌ ثم شو	رَى والخليلُ والانبيا نحْلٌ حلاَ
ومضاجع نوحٌ وطُور والفلا	ح الملك واعيةٌ وسال وعمّ لا
غَرْقٌ مع انفطرتْ وكدح ثم رو	مُ العنكبوت وطفّفتْ فتكمّلا
وبطيبةٍ عشرون ثم ثمـان الطُّـــــولَى	وعمرانٌ وأنفالٌ جَلاَ
لاحزاب مائدة امتحانٌ والنّسا	مَعْ زُلْزِلتْ ثم الحديد تأمّلا
ومحمّد والرّعد والرّحمن الا	سان الطّلاق ولم يكن حشرٌ ملا
نَصْرٌ ونورٌ ثم حَجٌّ والمنا	فق مَعْ مجادلةٍ وحُجرات ولا
تحريمها مَعْ جُمعةٍ وتغَابُنٍ	صفٌ وفتح توبةٌ ختمت أولى
أمّا الذى قد جاءنا سَفريّه	عرَفِىُّ أكْمِلَتْ لكم قَدْ كَمُلا
لكن إذا قمتم لحبشىٌّ بَدَا	واسأل مَنَ ارسَلْنَا الشآمى أقبلا
إن الّذى فَرضَ انتمى جُحْفِيُّها	وهو الّذى كفّ الحديبىّ انجَلى

* * *

فرع فى أوائل مخصوصة

أول : مانزل فى القتال : روى الحاكم فى المستدرك عن ابن عباس ، قال :أوّل آية نزلت فى القتال: ﴿ أُذِنَ لِلّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا ﴾ [(١)].

وأخرج ابنُ جرير عن أبى العالية ، قال : أول آية نزلت فى القتال بالمدينة :﴿وقَاتِلُوا فِى سَبِيلِ اللهِ الّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ ﴾ [(٢)]. وفى الإكليل للحاكم :إنأوّل مانزل فى القتال: ﴿ إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ المُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ ﴾ [(٣)].

---

(١) سورة الحج ٣٩
(٢) سورة البقرة ١٩٠
(٣) سورة التوبة ١١١

أول مانزل فى شأن القتل : آية الإسراء : ﴿ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُوماً... ﴾ [١] الآية ، أخرجه ابنُ جرير عن الضحاك .

أول مانزلُ فى الخمر : روى الطيالسىّ فى مسنده عن ابن عمر ، قال : نزل فى الخمر ثلاث آيات؛ فأول شىء : ﴿ يسألونكَ عن الخمْرِ والميْسِرِ... ﴾ [٢] الآية ، فقيل : حُرِّمت الخمر ،فقالوا: يارسول الله ، دعنا ننتفع بها كما قال الله ؛ فسكت عنهم ، ثم نزلت هذه الآية : ﴿ لاتقربوا الصَّلاةَ وأنْتُمْ سُكَارَى ﴾ [٣] فقيل : حُرِّمت الخمر فقالوا : يارسول الله،لانشربْها قرب الصلاة ، فسكت عنهم، ثم نزلت: ﴿ يأيُّها الّذين آمنُوا إنما الخَمْرُ والمَيْسِرُ ﴾ [٤] فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : حُرِّمت الخمر .

أول آية نزلت فى الأطعمة بمكة آية الأنعام : ﴿ قُلْ لاَ أجِدُ فِيمَا أُوحِيَ إِلَىَّ مُحرَّماً ﴾ [٥] ثم آية النحل: ﴿ فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ حَلالاً طيِّباً... ﴾ [٦] إلى آخرها، وبالمدينة آيةُ البقرة : ﴿ إنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُم المَيْتَةَ ... ﴾ [٧] الآية ، ثم آية المائدة : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُم المَيْتَةُ ... ﴾ [٨] الآية . قاله ابن الحصار .

وروى البخارىّ عن ابن مسعود ، قال : أوّل سورة أنزلت فيها سجدة النجم .

وقال الفريابىّ : حدّثنا وَرْقاء عن ابن أبى نَجِيح ، عن مجاهد فى قوله : ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ﴾ [٩] قال : هى أوّل ما أنزل الله من سورة براءة .

وقال أيضا : حدّثنا إسرائيل، نبأنا سعيد ، عن مسروق ، عن أبى الضُّحى ، قال : أوّل مانزل من براءة: ﴿ انفِرُوا خِفَافاً وَثِقَالاً ﴾ [١٠]، ثم نزل أوّلها، ثم نزل آخرها .

---

(١) سورة الإسراء ٣٣
(٢) سورة البقرة ٢١٩
(٣) سورة النساء ٤٣
(٤) سورة المائدة ٩٠
(٥) سورة الأنعام ١٤٥
(٦) سورة النحل ١١٤
(٧) سورة البقرة ١٧٣
(٨) سورة المائدة ٣
(٩) سورة التوبة ٢٥
(١٠) سورة التوبة ٤١

وأخرج : ابن أَشْتَه فى كتاب المصاحف ، عن أبى مالك ، قال : كان أوّل براءة : ﴿ انفِرُوا خِفافًا وثِقالاً ﴾ سنوات ، ثم أنزلت براءة أوّل السورة فألِّفتْ بها أربعون آية .

وأخرج أيضاً من طريق داود ، عن عامر فى قوله : ﴿ انفِرُوا خِفافًا وَثِقَالاً ﴾ قال : هى أوّل آية نزلت فى براءة فى غزوة تبوك ، فلمّا رجع من تبوك نزلت براءة ، إلا ثمان وثلاثين آية من أولها .

وأخرج من طريق سفيان وغيره ، عن حبيب بن أبى عمرة ، عن سعيد بن جُبير ، قال : أوّل ما نزل من آل عمران : ﴿ هذا بيانٌ للنّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ .[1] ثم أُنزِلَتْ بقيتها يوم أُحُد .

---

(١) سورة آل عمران ١٣٨

النوع الثامن
معرفة آخر ما نزل

فيه اختلاف ، فروى الشيخان عن البراء بنَ عازب ، قال : آخر آية ، نزلت : ﴿ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ ﴾ [١] وآخر سورة نزلت براءة .

وأخرج البخاريّ عن ابن عباس ، قال : آخر آية نزلت آية الرّبا .

وروَى البيهقيّ عن عمر مثله ، والمراد بها قوله تعالى : ﴿ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنْ الرِّبا ﴾ [٢] .وعند أحمد وابن ماجه عن عمر : من آخر ما نزل آية الربا .

وعند ابن مردُويه عن أبي سعيد الخدرى ، قال : خطبَنَا عمر ، فقال : إن من آخر القرآن نزولا آية الربا .

/ وأخرج النسائيّ من طريق عكرمة ، عن ابن عباس قال : آخر شيء نزَل من القرآن : ﴿ واتَّقُوا يوْماً تُرْجَعُونَ فيه ... ﴾ [٣] ،الآية .

وأخرج ابن مردُويه نحوه من طريق سعيد بن جُبير عن ابن عباس بلفظ «آخر آية نزلت» .

وأخرجه ابن جرير من طريق العَوْفيّ والضّحاك ، عن ابن عباس .

وقال الفريابيّ في تفسيره : حدّثنا سفيان ، عن الكلبيّ عن ابن صالح ، عن ابن عباس ، قال : آخر آية نزلت : ﴿ وَاتَّقُوا يوْماً تُرْجَعُونَ فيه إلى اللهِ ... ﴾ ، الآية ، وكان بين نزولها وبين موت النبيّ صلى الله عليه وسلم أحَدٌ وثمانون يوماً .

---

(١) سورة النساء ١٧٦ — (٢) سورة البقرة ٢٧٨

(٣) سورة البقرة ٢٨١

وأخرج ابن أبى حاتم، عن سعيد بن جبير ، قال : آخر مانزل من القرآن كلّه: ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللهِ (١) ... ﴾ الآية، وعاش النبىّ صلى الله عليه بعد نزول وسلم هذه الآية تسع ليال ، ثم مات ليلة الاثنين لليلتين خلتا من ربيع الأول .

وأخرج ابن جرير مثله عن ابن جُريج .

وأخرج من طريق عطية عن أبى سعيد، قال: كان آخر آية ﴿ واتَّقُوا يوماً تُرجَعُون... ﴾ الآية.

وأخرج أبو عبيد فى الفضائل عن ابن شهاب ، قال : آخر القرآن عهداً بالعرش آية الربا وآية الدَّيْن .

وأخرج ابن جُريج من طريق ابن شهاب عن سعيد بن المسيّب ، أنه بلغه أنّ أحدث القرآن عهدًا بالعرش آية الدَّيْن . مرسل صحيح الاسناد .

قلت: ولا منافاةَ عندى بين هذه الرّوايات فى آية الربَا: ﴿ واتَّقُوا يَوْماً ﴾ وآية الدَّيْن، لأنّ الظاهر أنها نزلت دفعة واحدة كترتيبها فى المصحف ، ولأنّها فى قصة واحدة، فأخبر كلّ عن بعض مانزل بأنه آخر، وذلك صحيح، وقول البراء: آخر ما نزل: ﴿ يَسْتَفْتُونَكَ ﴾ ، أى فى شأن الفرائض .

وقال ابن حَجَر فى شرح البخارىّ : طريق الجمع بين القولين فى آية الربا : ﴿ وَاتَّقُوا يَوْماً ﴾ أنّ هذه آية هى ختام الآيات المنزلة فى الربا ، إذ هى معطوفة عليهنّ ، ويجمع بين ذلك وبين قول البراء بأنّ الآيتين نزلتا جميعاً، فيصدق أن كلا منهما آخرٌ بالنسبة لما عداها . ويحتمل أن تكون الآخرية فى آية النّساء مقيدة بما يتعلّق بالمواريث بخلاف آية البقرة. ويحتمل عكسه ، والأوّل أرجح لِمَا فِى آية البقرة من الإشارة إلى معنى الوفاة المستلزمة لخاتّمة النزول انتهى .

وفى المستدرك عن أبىّ بن كعب ، قال : آخر آية نزلت : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ ... ﴾ (٢) إلى آخر السورة .

---

(١) سورة البقرة ٢٨٢ (٢) سورة التوبة ١٢٨ ، ١٢٩

وروى عبدالله بن أحمد فى زوائد المسند وابن مردويه، عن أبىّ، أنهم جمعوا القرآن فى خلافه أبى بكر، وكان رجال يكتبون، فلما انتهوْا إلى هذه الآية من سورة براءة: ﴿ثُمَّ انْصَرَفُوا صَرَفَ اللهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهم قَوْمٌ لاَ يَفْقَهُونَ﴾ [1] ظنّوا أن هذا آخر ما نزل من القرآن، فقال لهم أبىّ بن كعب: إنّ رسول الله صل الله عليه وسلم اقرأنِى بعدها آيتين: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ...﴾ [2] إلى قوله: ﴿وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾، وقال: هذا آخر ما نزل من القرآن، قال: نختم بما فتح به، بالله الذى لا إله إلا هو وهو قوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ نُوحِى إليه أنّه لاَ إِلَهَ إِلاَّ أنا فَاعْبُدُونِ﴾ [3].

وأخرج ابن مردويه، عن أبىّ أيضا، قال: آخر القرآن عهدًا بالله هاتان الآيتان: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾، وأخرجه ابن الأنبارىّ بلفظ «أقرب القرآن بالسماء عهدا».

وأخرج أبو الشيخ فى تفسيره من طريق علىّ بن زيد، عن يوسف المكىّ، عن ابن عباس، قال: آخر آية نزلت: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾.

وأخرج مسلم عن ابن عباس، وقال: «آخر سورة نزلت إذا جاء نصر الله والفتح».

وأخرج الترمذىّ والحاكم عن عائشة، قالت: «آخر سورة نزلت المائدة، فما وجدتم فيها من حلالٍ فاستحلّوه ...» الحديث.

وأخرجا أيضا عن عبدالله بن عمرو، قال: آخر سورة نزلت سورة المائدة والفتح. قلت: يعنى إذا جاء نصر الله. وفى حديث عثمان المشهور: براءة من آخر القرآن نزولا. قال البيهقىّ. يجمع. بين هذه الاختلافات — إن صحت — . بأنّ كلّ واحد أجاب بما عنده.

---

(١) سورة التوبة ١٢٧
(٢) سورة التوبة ١٢٨، ١٢٩
(٣) سورة الأنبياء ٢٥

وقال القاضى أبو بكر فى الانتصار : هذه الأقوال ليس فيها شىء مرفوع إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم، وكل ماقاله بضربٍ من الاجتهاد وغلبة الظنّ ، ويحتمل أن كلا منهم أخبر عن آخر ماسمعه من النبىّ صلى الله عليه وسلم فى اليوم الذى مات فيه أو قبل مرضه بقليل ، وغيره سمع منه بعد ذلك ، وإن لم يسمعه هو . ويحتمل أيضا أن تنزل الآية التى هى آخر آية تلاها الرسول صلى الله عليه وسلم مع آيات نزلت معها فيؤمر برسم مانزل معها بعد رسم تلك فَيُظَنُّ أنه آخر مانزل فى الترتيب . انتهى .

ومن غريب ماورد فى ذلك ماأخرجه ابنُ جريرٍ عن معاوية بن أبى سفيان أنه تلا هذه الآية: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ ...﴾ [1] ، الآية ، وقال: إنّها آخر آية نزلت من القرآن . قال ابن كثير : هذا أثر مشكل ، ولعله أراد أنه لم ينزل بعدها آية تنسخها ، ولا تغيّر حكمها ، بل هى مثبتة محكمة .

قلت : ومثله ما أخرجه البخارىّ وغيره عن ابن عباس قال : نزلت هذه الآية: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ﴾ [2] هى آخر مانزل، ومانسخها شىء .

وعند أحمد والنَّسائىُّ عنه : لقد نزلت فى آخر مانزل، مانسخها شىء .

وأخرج ابن مردُويه ، من طريق مجاهد ، عن أمّ سلمة ،قالت: آخر آية نزلت هذه الآية :﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ ...﴾ [3] إلى آخرها .

قلت : وذلك أنها قالت : يارسولَ الله أرى، الله يذكر الرجالَ ولا يذكر النساء ! فنزلت: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ [4] ، ونزلت: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ﴾ [5] ، ونزلت هذه الآية ، فهى آخر الثلاثة نزولا، أو آخر مانزل بعد ما كان ينزل فى الرجال خاصّة .

---

(١) سورة الكهف ١١٠
(٢) سورة النساء ٩٣
(٣) سورة آل عمران ١٩٥
(٤) سورة النساء ٣٢
(٥) سورة الأحزاب ٣٥

وأخرج ابن جرير عن أنس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من فارق الدنيا على الإخلاص لله وحده وعبادته لاشريك له، وأقام الصلاة، وآتى الزكاة، فارقها والله عنه راض». قال أنس: وتصديق ذلك فى كتاب الله فى آخر مانزل: ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ ...﴾ (١) الآية.

قلت: يعنى فى آخر سورة نزلت.

وفى البرهان لإمام الحرمين: إنّ قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِيمَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا..﴾ (٢) الآية من آخر مانزل.

وتعقّبه ابن الحصّار بأن السورة مكية باتّفاق، ولم يرد نقل بتأخر هذه الآية عن نزول السورة، بل هى فى محاجّة المشركين ومخاصمتهم وهم بمكة. انتهى.

* * *

تنبيه

من المشكل على ماتقدم قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ (٣)، فإنها نزلت بعرفة عام حجّة الوداع، وظاهرها إكمال جميع الفرائض والأحكام قبلها، وقد صرّح بذلك جماعة منهم السُّدّىّ فقال: لم ينزل بعدها حلال ولاحرام، مع أنه وارد فى آية الربا والدَّيْن والكلالة أنها نزلت بعد ذلك. وقد استشكل ذلك ابن جرير وقال: الأولى أن يُتأوّل على أنه أكمل لهم دينهم بإفرادهم (٤) بالبلد الحرام وإجلاء المشركين عنه، حتى حجّهُ المسلمون لايخالطهم المشركون. ثم أيّده بما أخرجه من طريق ابن أبى طلحة عن ابن عباس، قال: كان المشركون والمسلمون يحجّون جميعا، فلما نزلت براءة نُفِيَ المشركون عن البيت، وحجّ المسلمون لا يشاركهم فى البيت الحرام أحد من المشركين؛ فكان ذلك من تمام النعمة: ﴿وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ (٣).

(١) سورة التوبة ٥ (٢) سورة الأنعام ١٤٥
(٣) سورة المائدة ٣ (٤) ط: «باقرارهم»

النوعُ التاسِع
معرفة سَببِ النزُول

أفرده بالتّصنيف جماعة أقدمُهم علىّ بن المدينىّ شيخ البخارىّ ، ومن أشهرها كتاب الواحدىّ على مافيهِ من إعواز ، وقد اختصره الجَعْبَرِىّ ، فحذف أسانيدَه ولم يزد عليه شيئا ، وألف فيه شيخ الإسلام أبو الفضل بن حجر كتاباً مات عنه مسوَّدة فلم نقف عليه كاملا ، وقد ألّفتُ فيه كتابا حافلاً موجزا محرّرا لم يؤلف مثلُه فى هذا النّوع ، سميتُه: «لباب النُّقول فى أسباب النزول»[1].

قال الجعبرىّ : نزول القرآن على قسمين : قسم نَزَل ابتداء ، وقسم نزل عقب واقعة أو سؤال ، وفى هذا النوع مسائل :

المسألة الأولى :

زعم زاعم أنّه لاطائلَ تحت هذا الفن ، لجريانه مجرى التاريخ ، وأخطأ فى ذلك ، بل له فوائد:

منها : معرفة وجه الحكمة الباعثة على تشريع الحكم .

ومنها : تخصيص الحكم به عند من يرى أن العبْرة بخصوص السبب .

ومنها : أن اللفظ قد يكون عاماً ، ويقوم الدليل على تخَصّصه ، فإذا عُرِف السبب قصر التخصيص على ماعدا صورته ، فإنّ دخول صورة السبب قطعىّ وإخراجها بالاجتهاد ممنوع ، كما حكى الإجماع عليه القاضى أبوبكر فى التقريب ، ولا التفات إلى من شذّ فجوّز ذلك .

ومنها : الوقوف على المعنى وإزالة الإشكال ، قال الواحدىّ . لايمكن تفسير الآية دون الوقوف على قصتّها وبيان نزولها .

---

(١) طبع بمصر مرارا .

وقال ابن دقيق العيد : بيان سبب النزول طريق قويّ فى فهم معانى القرآن .

وقال ابن تيميّة : معرفة سبب النزول يُعِين على فهم الآية، فإنّ العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب .

وقد أشكل على مرْوان بن الحكم معنى قوله تعالى : ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا ...﴾ (١) الآية، وقال : لئن كان كل امرئ فرح بما أُوتِى ، وأحبّ أن يُحْمَد بما لم يفعل معذّبا، لنعذبنّ أجمعون ، حتى بيّن له ابن عباس أن الآية نزلتْ فى أهل الكتاب حين سألهم النبىّ صلى الله عليه وسلم عن شىء ، فكتموه إيّاه، وأخبروه بغيره ، وأروْه أنّهم أخبروه بما سألهم عنه ، واستحمدوا بذلك إليه . أخرجه الشيخان .

وحُكِى عن عثمان بن مَظْعون وعمرو بن معدى كرب، أنّهما كانا يقولان : الخمر مباحة، ويحتجان بقوله تعالى : ﴿ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا ... ﴾ (٢) الآية. ولو علما سببَ نزولها لم يقولا ذلك ، وهو أنّ ناساً قالوا لمّا حُرِّمت الخمر : كيف بِمَنْ قُتلوا فى سبيل الله وماتوا وكانوا يشربون الخمر وهى رجس ؟ فنزلت. أخرجه أحمد والنسائىّ وغيرهما .

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ ... ﴾ (٣) فقد أشكل معنى هذا الشرط على بعض الأئمة حتى قال الظاهرية بأن الآيسة لا عِدّة عليها إذا لم ترْتبْ . وقد بين ذلك سبب النزول ، وهو أنه لما نزلت الآية التى فى سورة البقرة فى عدد النساء ، قالوا : قد بقى عدد من عدد النساء لم يذكَرْنَ : الصغار والكبار، فنزلت. أخرجه الحاكم عن أُبىّ . فعلم بذلك أنّ الآية خطاب لمن لم يعلم ما حكمهنّ فى العِدّة ، وارتاب : هل عليهنّ عِدّة أولا ؟ وهل عدّتهن كاللاتى فى سورة البقرة أولا ؟ فمعنى « إن ارتبتم » إن أشكل عليكم حكمهن

---

(١) سورة آل عمران ١٨٨ (٢) المائدة ٩٣

(٣) سورة الطلاق ٤

وجهلتم كيف يعتدِدْن ؛ فهذا حكمهنّ .

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ فأينما تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ ﴾ (١) فإنا لو تركنا ومدلول اللفظ لاقتضى أن المصلِّيَ لايجب عليه استقبال القبلة سَفَراً ولا حضرا ، وهو خِلاف الإجماع ، فلما عرف سبب نزولها علم أنها فى نافلة السفر ، أو فيمن صلّى بالاجتهاد وبان له الخطأ ، على اختلاف الروايات فى ذلك .

ومن ذلك : قوله : ﴿ إنّ الصّفَا والمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ الله ... ﴾ (٢) الآية ، فإن ظاهر لفظها لايقتضى أنّ السّعى فرْض ، وقد ذهب بعضهم إلى عدم فرضيّته تمسُّكا بذلك ، وقد ردّت عائشة على عروة فى فهمه ذلك بسبب نزولها ، وهو أنّ الصحابة تأثّموا من السّعى بينهما لأنّه من عمل الجاهليّة . فنزلت .

ومنها : دفع توهّم الحصْر ، قال الشافعىّ مامعناه فى قوله تعالى : ﴿ قُلْ لاَ أجِدُ فِيمَا أوحِيَ إلَيّ مُحَرّماً ... ﴾ (٣) الآية : إنّ الكفّار لما حرّموا ما أحلّ الله وأحلّوا ما حرّم الله ، وكانوا على المضادّة والمحادّة ، فجاءت الآية مناقضةً لغرضهم ، فكأنه قال : لاحلالَ إلا ماحرّمتموه ، ولاحرَام إلا ماأحللتموه نازلا منزلة من يقول: لاتأكل اليوم حلاوة فتقول: لاآكل اليوم إلا الحلاوة، والغرض المضادّة لا النفى والإثبات على الحقيقة ، فكأنه تعالى قال : لاحرَامَ إلاّ ماأحللتموه ؛ من الميتة والدم ولحم الخنزير وما أُهِلّ لغير الله به ، ولم يقصد حلّ ماوراءه ، إذ القصد إثبات التحريم لا إثبات الحلّ . قال إمام الحرمين : وهذا فى غاية الحسن ، ولولا سبق الشافعىّ إلى ذلك لمّا كنّا نستجيز مخالفة مالك فى حَصْر المحرّمات فيما ذكرته الآية .

ومنها : معرفة اسم النازل فيه الآية وتعيين المبهم فيها ، ولقد قال مرْوان فى

---

(١) سورة البقرة ١١٥ — (٢) سورة البقرة ١٥٨

(٣) سورة الأنعام ١٤٥

عبد الرحمن بن أبى بكر : إنه الذى أنزل فيه: ﴿ والّذى قال لِوَالِدَيْه أُفٍ لَكُمَا ﴾ [١] حتى ردّت عليه عائشة وبيّنت له سبب نزولها .

* * *

المسئلة الثانية :

اختلف أهلُ الأصول : هل العِبْرة بعموم اللفظ أو بخصوص السّبب ؟ والأصحّ عندنا الأوّل ، وقد نزلت آيات فى أسباب ، واتفقوا على تعديتها إلى غير أسبابها ، كنزول آية الظّهار فى سلَمة بن صخر ، وآية اللّعان فى شأن هلال بن أميّة ، وحدّ القذف فى رُماة عائشة ، ثم تعدّى إلى غيرهم . ومن يعتبر عموم اللفظ قال : خرجت هذه الآيات ونحوها لدليل آخر ، كما قُصرت آيات على أسبابها اتفاقاً لدليل قام على ذلك . قال الزمخشرىّ فى سورة الهمَزة : يجوز أن يكون السّبب خاصا والوعيد عاماً ليتناول كلّ من باشر ذلك القبيح ، وليكون ذلك جارياً مجرى التعريض .

قلت : ومن الأدلّة على اعتبار عموم اللفظ ، احتجاج الصحابة وغيرهم فى وقائع بعموم آيات نزلت على أسباب خاصة شائعا ذائعا بينهم ، قال ابن جرير : حدّثنى محمد ابن أبى معشر ، أخبرنا أبى أبو معشر نَجِيح ، سمعت سعيدا المقبُرىّ يذاكر محمد بن كعب القُرَظىّ ، فقال سعيد : إنّ فى بعض كتب الله : إن لله عباداً ألسنتهم أحْلَى من العسل ، وقلوبهم أمرّ من الصَّبِر ، لبسوا لباس مسوك الضأن من اللّين [٢] ، يجترُّون الدنيا بالدين . فقال محمد بن كعب : هذا فى كتاب الله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِى الْحَيَاةِ الدُّنْيا...﴾ [٣] الآية ، فقال سعيد: قد عرفت فيمن أُنزلت؟ فقال محمد بن كعب : إنّ الآية تنزل فى الرجل ثم تكون عامة بعد [٤] .

---

(١) سورة الأحقاف ١٧

(٢) المسوك : جمع مسك ، وهو جلد الغنم وغيرها .

(٣) سورة البقرة ٢٠٤

(٤) تفسير الطبرى ٤ : ٣١

فإن قلت : فهذا ابنُ عباس، لم يعتبر عمومَ ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ... ﴾ (١) الآية ، بل قصرها على ما أنزلت فيه من قصة أهل الكتاب .

قلت : أجيب عن ذلك بأنه لا يخفى عليه أنّ اللفظ أعمّ من السبب ، لكنه بيّن أنّ المراد باللفظ خاصّ ، ونظيره تفسير النبيّ صلى الله عليه وسلم الظّلم فى قوله تعالى: ﴿ وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ ﴾ (٢) بالشرك من قوله : ﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ (٣) مع فهم الصحابة العموم فى كلّ ظلم . وقد ورد عن ابن عباس ما يدلّ على اعتبار العموم، فإنه قال به فى آية السرقة مع أنها نزلت فى امرأة سرقت . قال ابن أبى حاتم: حدّثنا علىّ بن الحسين، حدثنا محمد بن أبى حمّاد ، حدثنا أبو تميلة بن عَبْد المؤمن ، عن نجْدَة الحنفىّ ،قال: سألتُ ابن عباس عن قوله : ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا ﴾ (٤) ، أخاصٌّ أم عام ؟ قال: بل عامّ.

وقال ابن تيميّة : قد يجىء كثيرا من هذا الباب قولهم : هذه الآية نزلت فى كذا، لاسيّما إن كان المذكور شخصا ، كقولهم : إنّ آية الظّهار نزلت فى امرأة ثابت بن قيس، وإن آية الكلالة نزلتْ فى جابر بن عبد الله ، وإن قوله : ﴿ وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ ﴾ (٥) نزلت فى بنى قُريظة والنَّضير ، ونظائر ذلك مما يذكرون أنه نزل فى قوم من المشركين بمكة، أو فى قوم من اليهود والنصارى ، أو فى قوم من المؤمنين. فالذين قالوا ذلك لم يقصدوا أنّ حكم الآية يختصّ بأولئك الأعيان دون غيرهم ، فإن هذا لا يقوله مسلم ولا عاقل على الإطلاق ، والناس وإن تنازعوا فى اللفظ العامّ الوارد على سبب : هل يختصّ بسببه ؟ فلم يقل أحد إن عمومات الكتاب والسنة تختص بالشخص المعيّن ، وإنما غاية ما يقال إنها تختصّ بنوع ذلك الشخص فيعمّ ما يشبهه ، ولا يكون العموم فيها بحسب اللفظ .

---

(١) سورة آل عمران ١٨٨
(٢) سورة الأنعام ٨٢
(٣) سورة لقمان ١٣
(٤) سورة المائدة ٣٨
(٥) سورة المائدة ٤٩

والآية التي لها سبب معيّن إن كانت أمرًا ونهيًا فهي متناولة لذلك الشخص ولغيره ممّن كان بمنزلته ، وإن كانت خبرًا بمدح أو ذم ، فهي متناولة لذلك الشخص ولمن كان بمنزلته . انتهى .

تنبيـــه

قد علمت مما ذكر أن فرض المسألة في لفظ له عموم ، إمّا آية نزلت في معيّن ولا عموم للفظها ، فإنها تقصر عليه قطعا ، كقوله تعالى : ﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا الأَتْقَى * الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى ﴾[1] فإنها نزلت في أبي بكر الصدّيق بالإجماع ، وقد استدلّ بها الإمام فخر الدين الرازي مع قوله : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ ﴾[2] على أنه أفضل النّاس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ووهِم مَنْ ظنّ أن الآية عامّة في كلّ مَنْ عمل عمله ، إجراء له[3] على القاعدة ؛ وهذا غلط ، فإنّ هذه الآية ليس فيها صيغة عموم إذ الألف واللام إنما تفيد العموم إذا كانت موصولة أو معرفة في جمع ؛ زاد قوم : أو مفرد ، بشرط ألاّ يكون هناك عهد ، واللام في « الأتقى » ليست موصولة لأنها لا توصل بأفعل التفضيل إجماعا ، والأتقى ليس جمعاً بل هو مفرد والعهد موجود ، خصوصاً مع ما يفيده صيغة « أفعل » من التمييز وقطع المشاركة ؛ فبطل القول بالعموم ، وتعيّن القطع بالخصوص والقصر على من نزلت فيه رضي الله عنه .

* * *

المسئلة الثالثة :

تقدّم أن صورة السبب قطعية الدخول في العامّ ، وقد تنزل الآيات على الأسباب

---

(١) سورة الليل ١٧ ، ١٨

(٢) سورة الحجرات ١٣

(٣) ط : « أحرا » تحريف.

الخاصة وتوضع مع ما يناسبها من الآى العامّة ، رعايةً لنظم القرآن وحسن السّياق ، فيكون ذلك الخاصّ قريبا من صورة السبب فى كونه قطعىّ الدخول فى العامّ ، كما اختار السبكى أنّه رتبة متوسطة دون السبب وفوق المجرّد ، مثاله قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ ... ﴾ (١) ، إلى آخره ، فإنَّها إشارة إلى كعب بن الأشرف ونحوه من علماء اليهود ، لمَّا قدموا مكّة وشاهدوا قَتْلَى بدْر ، حرّضوا المشركين على الأخذ بثأرهم ومحاربة النبىّ صلّى الله عليه وسلّم ، فسألوهم : مَنْ أهدى سبيلا ؟ محمد وأصحابه أم نحن ؟ فقالوا : أنتم ، مع علمهم بما فى كتابهم من نَعْت النبىّ صلى الله عليه وسلم المنطبق عليه ، وأخذ المواثيق عليهم ألاَّ يكتموه ؛ فكان ذلك أمانة لازمة لهم ، ولم يؤدُّوها حيث قالوا للكفار : أنتُم أهدى سبيلا ، حسداً للنبىّ صلى الله عليه وسلم . فقد تضمّنت هذه الآية مع هذا القول التوعّد عليه المفيد للأمر بمقابله المشتمل على اداء الأمانة التى هى بيان صفة النبى صلى الله عليه وسلم ، بإفادة أنّه الموصوف فى كتابهم ، وذلك مناسب لقوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا ﴾ (٢) ، فهذا عامّ فى كلّ أمانة ، وذلك خاص بأمانة ، هى صفة النبى صلى الله عليه وسلم بالطريق السابق ، والعامّ تالٍ للخاصّ فى الرسم متراخٍ عنه فى النزول ، والمناسبة تقتضى دخول ما دلّ عليه الخاصّ فى العام ، ولذا قال ابن العربى فى تفسيره : وجه النظم أنّه أخبر عن كتمان أهل الكتاب صفة محمد صلى الله عليه وسلم ، وقولهم : إنّ المشركين أهدى سبيلا ، فكان ذلك خيانةً منهم ، فانجرّ الكلام إلى ذكر جميع الأمانات . انتهى .

قال بعضهم : ولا يرد تأخّر نزول آية الأمانات التى قبلها بنحو ستّ سنين ، لأن الزمان إنما يشترط فى سبب النزول لا فى المناسبة ؛ لأنّ المقصود منها وضع آية فى موضع يناسبها ، والآيات كانت تنزل على أسبابها ، ويأمر النبى صلى الله عليه وسلم بوضعها فى المواضع التى علم من الله أنها مواضعها .

---

(١) سورة النساء ٥١

(٢) سورة النساء ٥٨

المسئلة الرابعة :

قال الواحديّ : لا يحلّ القول فى أسباب نزول الكتاب إلا بالرواية والسماع ممن شاهدوا التنزيل، ووقفوا على الأسباب، وبحثوا عن علمها، وقد قال محمد بن سيرين : سألت عَبيدة عن آية من القرآن، فقال : اتّق الله وقل سداداً ، ذهب الذين يعلمون فيمَ أنزل الله القرآن[١] !

وقال غيره : معرفة سبب النزول أمر يحصل للصحابة بقرائن تحتفّ بالقضايا، وربما لم يجزم بعضهم، فقال :أحسب هذه الآية نزلت فى كذا، كما أخرج الأئمة الستة عن عبدالله ابن الزبير، قال : خاصم الزبير رجلاً من الأنصار فى شراج الحرّة[٢] فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم : اسقِ يازبير، ثم أرسل الماء إلى جارك،فقال الأنصارىّ : يارسول الله،أنْ كانَ ابنَ عمتك! فتلوّن وجهه ...الحديث[٣] .قال الزبير : فما أحسب هذه الآيات إلا نزلت فى ذلك : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾[٤] .

قال : الحاكم فى علوم الحديث : إذا أخبر الصحابىّ الذى شهد الوحىَ والتنزيل عن آية من القرآن أنها نزلت فى كذا فإنّه حديث مسنَد . ومشى على هذا ابن الصلاح وغيره ،ومثّلوه بما أخرجه مسلم عن جابر، قال : كانت اليهود تقول : مَنْ أتى امرأته من دُبُرها فى قُبُلها جاء الولد أحول،فأنزل الله: ﴿ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ ﴾[٥] .

وقال ابن تيميّة : قولهم : نزلت هذه الآية فى كذا، يراد به تارة سبب النزول، ويراد

---

(١) أسباب النزول للواحدى ٤

(٢) الشراج ، بشين معجمة مكسورة : جمع شرجة ، بفتح فسكون ، وهى مسايل الماء بالحرة ، والحرة أرض ذات حجارة سود .

(٣) بقية الخبر : « ثم قال للزبير : اسق ثم احبس الماء حتى يرجع إلى الجدر ، فاستوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم للزبير حقه، وكان قبل ذلك أشار على الزبير برأى أراد فيه سعة للأنصارى وله ، فلما أحفظ الأنصارى رسول الله صلى الله عليه وسلم استوفى للزبير حقه فى صريح الحكم . وانظر أسباب النزول ١٢٢ ، وتفسير القرطبى ٥ : ٢٦٩

(٤) سورة النساء ٦٥

(٥) سورة البقرة ٢٣٢

به تارة أنّ ذلك داخل فى الآية وإنْ لم يكن السبب، كما تقول: عنى بهذه الآية كذا.
وقد تنازع العلماء فى قول الصحابىّ "نزلت هذه الآية فى كذا"، هل يجرى مجرَى المسنَد كما لو ذكر السبب الذى أنزِلَت لأجله، أو يجرى مجرى التفسير منه الذى ليس بمسند؟ فالبخارىّ يدخله فى المسنَد، وغيره لا يدخله فيه، وأكثر المسانيد على هذا الاصطلاح كمسند أحمد وغيره، بخلاف ما إذا ذكر سببا نزلت عقبه، فإنهم كلّهم يدخلون مثل هذا فى المسند. انتهى.

وقال الزركشىّ: فى البرهان: قد عرف من عادة الصحابة والتابعين أنّ أحدهم إذا قال: نزلت هذه الآية فى كذا، فإنّه يريد بذلك أنها تتضمن هذا الحكم، لا أنّ هذا كان السبب فى نزولها [١]، فهو من جنس الاستدلال على الحكم بالآية، لا من جنس النقل لما وقع [٢].

قلت: والّذى يُتحرّر فى سبب النزول أنّه ما نزلت الآية أيّام وقوعه، ليخرج ما ذكره الواحدىّ فى سورة الفيل من أن سبَبها قصّة قدوم الحبشة به، فإنّ ذلك ليس من أسباب النزول فى شىء، بل هو من باب الإخبار عن الوقائع الماضية، كذكر قصة قوم نوح وعاد وثمود وبناء البيت، ونحو ذلك. وكذلك ذكره فى قوله: ﴿وَاتَّخَذَ اللهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً﴾ [٣]، سبب اتخاذه خليلا ليس ذلك من أسباب نزول القرآن كما لا يخفى.

* * *

---

(١) بعدها فى البرهان: « وجماعة من المحدثين يجعلون هذا من المرفوع المسند، كما فى قول ابن عمر فى قوله تعالى: (نساؤكم حرث لكم)، وأما الإمام أحمد فلم يدخله فى المسند، وكذلك مسلم وغيره، وجعلوا هذا مما يقال بالاستدلال وبالتأويل ».

(٢) البرهان ١ : ٣٢ـ٣١.

(٣) سورة النساء ١٢٥

تنبيه

ماتقدّم أنه من قبيل المسند من الصحابيّ إذا وقع من تابعى فهو مرفوع أيضا ، لكنه مرسَل ، فقد يُقبَل إذا صح السّند إليه ، وكان من أئمة التفسير الآخذين عن الصحابة ، كمجاهد وعكرمة وسعيد بن جُبير ، أواعتضد بمرسل آخر ونحو ذلك .

* * *

المسئلة الخامسه :

كثيرا مايذكر المفسرون لنزول الآية إسبابا متعدّدة ، وطريق الاعتماد فى ذلك أن ينظر إلى العبارة الواقعة ، فإن عبّر أحدهم بقوله: نزلت فى كذا ، والآخر: نزلت فى كذا . وذكر أمراً آخر ، فقد تقدّم أن هذا يراد به التفسير لا ذكر سبب النزول ، فلا منافاة بين قولهما إذا كان اللفظ يتناولهما ، كما سيأتى تحقيقه فى النوع الثامن والسبعين ، وإن عبّر واحد بقوله : نزلت فى كذا ، وصرح الآخربذكرسبب خلافه فهو المعتمَد ، وذاك استنباط؛ مثاله ماأخرجه البخاريّ عن ابن عمر، قال أُنزلت: ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ﴾ [1] فى إتيان النساء فى أدبارهنّ . وتقدّم عن جابر التصريح بذكر سَبب خلافه ، فالمعتمد حديث جابر ، لأنه نقلٌ ، وقول ابن عمر استنباط منه ، وقدوهّمه فيه ابن عباس ، وذكر مثل حديث جابر ، كما أخرجه أبوداود والحاكم

وإن ذكر واحد سببا وآخر سببا غيره ، فإن كان إسناد أحدهما صحيحا دون الآخر فالصحيح المعتمد ، مثاله ماأخرجه الشيخان وغيرهما عن جُنْدَب : اشتكى النبىّ صلى الله عليه وسلم فلم يقم ليلة أو ليلتين ، فأتته امرأة، فقالت: يامحمد، ماأرى شيطانك إلا قد تركك، فأنزل الله: ﴿ والضّحى * والليلِ إذا سجى * ماودّعك ربُّك وما قلى ﴾ [2] .

---

(١) سورة البقرة ٢٢٣

(٢) سورة الضحى ١ — ٣ .

وأخرج الطّبرانىْ وابن أبى شيبة ، عن حفص بن ميسرة ،عن أمّه عن أمها — وكانت خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم — أن جرواً دخل بيت النبى صلى الله عليه وسلم، فدخل تحت السرير فمات، فمكث النبىّ صلى الله عليه وسلم أربعة أيام لا ينزل عليه الوحى، فقال: ياخوْلة ، ماحدث فى بيت رسول الله ؟ جبريل لا يأتينى ، فقلت فى نفسى : لو هيئتِ البيت وكنستِه ! فأهويت بالمكنسة تحت السرير ، فأخرجت الجرو فجاء النبىّ صلى الله عليه وسلم تُرعَدُ لحيته — وكان إذا نزل عليه الوحى أخذتْه الرِّعدة — فأنزل الله : ﴿ والضُّحَى ﴾ إلى قوله : ﴿ فترضى ﴾ .

وقال ابن حَجَر فى شرح البخارىّ : قصة إبطاء جبريل بسبب الجرو مشهورة، لكن كونها سبب نزول الآية غريب ، وفى إسناده من لا يُعرف ، فالمعتمَد مافى الصحيح .

ومن أمثلته أيضا ماأخرجه ابن جرير وابن أبى حاتم ، من طريق علىّ بن أبى طلحة ، عن ابن عباس،أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لمّا هاجر إلى المدينة ، أمره الله ان يستقبل بيت المقدس ، ففرحت اليهود ، فاستقبله بضعة عشر شهرا — وكان يحبّ قبلة إبراهيم — فكان يدعو الله وينظر إلى السماء فأنزل الله: ﴿ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَه ﴾ [١] فارتاب من ذلك اليهود، وقالوا: ماولاّهم عن قبلتهم التى كانوا عليها! فأنزل الله: ﴿ قُلْ لِلّٰهِ المشرقُ وَالْمَغْرِب ﴾ [٢] وقال : ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فثمَّ وَجْهُ اللهِ ﴾ [٢] .

وأخرج الحاكم وغيره عن ابن عمر ،قال نزلت :﴿ فأينما تولوا فثمّ وجهُ الله ﴾، أن تُصَلِّىَ حيثما توجهتْ بك راحلتُك فى التطوّع .

وأخرج التِّرمذىّ — وضعّفه — من حديث عامر بن ربيعة، قال: كنّا فى سفر فى ليلة مظلمة، فلم ندرِ أين القبلة ؟ فصلّى كلُّ رجل منّا على حياله ، فلمّا أصبحنا ذكرنا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ،فنزلت.

وأخرج الدّارقطنىّ نحوه من حديث جابر، بسند ضعيف أيضا .

---

(١) سورة البقرة ١٥٠

(٢) سورة البقرة ١١٥

وأخرج عن ابن جرير عن مجاهد، قال : لمَّا نزلت: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[1] قالوا : إلى أين؟ فنزلت .مرسَل .

وأخرج عن قتادة أنّ النبي صلى الله عليه وسلم ، قال: «إنّ أخاكم قدمات فصلّوا عليه» فقالوا: إنه كان لا يصلّي إلى القبلة ، فنزلت. معضل غريب جدّا .

فهذه خمسة أسباب مختلفة ، وأضعفها الأخير لإعضاله، ثم ماقبله لإرساله، ثم ماقبله لضعف رواته، والثاني صحيح لكنه قال : قدأنزلت فى كذا ، ولم يصرح بالسبب ، والأوّل صحيح الإسناد ،وصرح فيه بذكر السبب فهو المعتمَد .

ومن أمثلته أيضا ماأخرجه ابن مُرْدُويه وابن أبي حاتم من طريق ابن إسحاق عن محمد بن أبي محمد، عن عكرمة —أو سعيد— عن ابن عباس قال :خرج أميّة بن خلَف وأبو جهل بن هشام ورجالٌ من قريش، فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : يامحمد ،تعال فتمسّح بآلهتنا، وندخل معك فى دينك —وكان يحب إسلام قومه— فرقّ لهم ،فأنزل الله :﴿وَإِنْ كَادُوا لِيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ...﴾ الآيات.

وأخرج ابن مردويه ، من طريق العوْفىّ ، عن ابن عباس أن ثقِيفا قالوا للنبيّ صلى الله عليه وسلم : أجِّلْنا سنة حتى يُهدى لآلهتنا . فإذا قبضنا الذى يُهدَى لها أحرزناه ثم أسلمنا. فهمّ أن يؤجّلهم فنزلت . هذا يقتضى نزولَها بالمدينة .وإسناده ضعيف ، والأوّل يقتضى نزولها بمكة وإسناده حسن،وله شاهد عند أبِي الشيخ عن سعيد بن جبَير ،يرتقى إلى درجة الصحيح ،فهو المعتمد .

الحال الرابع[2] : أن يستوى الإسنادان فى الصحّة ، فيرجّح أحدهما بكون راويه حاضر القصة ، أو نحو ذلك من وجوه الترجيحات ، مثاله ما أخرجه البخارىّ عن ابن مسعود ، قال : كنت أمشى مع النبىّ صلى الله عليه وسلم بالمدينه ،وهو يتوكّأ على عَسِيب، فمرّ بنفَرٍ من اليهود ، فقال بعضهم : لوسألتموه !فقالوا: حَدِّثْنا عن الرُّوح، فقام ساعة ورفع

---

(١) سورة غافر ٦٠

(٢) انظر الأحوال الثلاثة قبله فى صفحة ٩١

رأسه فعرفت أنه يوحَى إليه ، حتى صعد الوحى ، ثم قال : ﴿ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [١]

وأخرج الترمذىّ — وصححه عن ابن عباس — قال : قالت قريش لليهود: اعطونا شيئا نسأل هذا الرجل ، فقالوا : اسألوه عن الرُّوح ، فسألوه ، فأنزل الله : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ... ﴾ [١] الآية ، فهذا يقتضى أنها نزلت بمكة . والأوّل خلافه ، وقد رُجِّح بأنّ مارواه البخارىّ أصح من غيره ، وبأنّ ابن مسعود كان حاضر القصة .

الحال الخامس :[٢] أن يمكن نزولها عقيب السببين والأسباب المذكورة ، بألاّ تكون معلومة التباعد ، كما فى الآيات السابقة ، فيحمل على ذلك ؛ ومثاله ما أخرجه البخارىّ من طريق عِكْرِمة عن ابن عبّاس ، أنّ هلال بن أميّة قذف امرأتَه عند النبىّ صلى الله عليه وسلم بشريك بن سَحْمَاء ، فقال النبىّ صلى الله عليه وسلم : « البينة أوحدٌّ فى ظهرك » ، فقال : يارسولَ الله ، إذا رأى أحدُنا مع امرأته رجلا ينطلق يلتمس البيّنة [٣] ! فأنزل عليه : ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ ... ﴾ [٤] حتى بلغ : ﴿ إِن كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ [٥] .

وأخرج الشيخان عن سهل بن سعد قال : جاء عويمر إلى عاصم بن عدىّ فقال : اسأل رسول صلى الله عليه وسلم : أرأيت رجلا وَجَد مع امرأته رجلا ، فقتله ، أيُقتَلُ به ، أم كيف يصنع ؟ فسأل عاصم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فعاب السائل ، فأخبر عاصمٌ عويمرا

---

(١) سورة الإسراء ٨٥

(٢) انظر ما سبق فى صفحة ٩١ و ٩٣

(٣) بعد فيما نقله القرطبى : « فجعل النبى صلى الله عليه وسلم يقول : « البينة أوحد فى ظهرك » ، فقال هلال : والذى بعثك بالحق إنى لصادق ، ولينزلن الله فى أمرى مايبرئ ظهرى من الحدن »

(٤) سورة النور ٦

(٥) تفسير القرطبى ١٢ : ١٨٣ ، أسباب النزول للواحدى ٢٣٦ — ٢٣٨ وانظر صفحة ٩١ أيضاً

فقال : والله لآتينّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلأسألنّه ،فأتاه ،فقال : إنه قد أنزل فيك وفى صاحبتك قرآنا ... الحديث[1] .جُمع بينهما بأنّ أوّل ماوقع له ذلك هلال ، وصادف مجىء عويمر أيضاً ، فنزلت فى شأنهما معًا. وإلى هذا جنح النووىّ وسبقه الخطيب،فقال : لعلّهما اتفق لهما ذلك فى وقت واحد.

وأخرج البزار ، عن حذيفة ، قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لأبى بكر : لو رأيتَ مع أمّ رُومان رجلاً ما كنت فاعلابه ؟ قال : شرّاً،قال : فأنت ياعمر ؟ قال : كنت أقول : لعن الله الأعجز فإنّه لخبيث . فنزلت

قال ابن حجر : لامانع من تعدّد الأسباب .

الحال السادس[2] ألّا يمكن ذلك ، فيحمل على تعدّد النزول وتكرره ، مثاله ما أخرجه الشيخان عن المسيّب ،قال : لما حضر أبا طالب الوفاةُ ، دخل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده أبو جهل وعبد الله بن أبى أميّة ، فقال : أى عمّ ، قل : لا إله إلا الله ، أحاجّ لك بها عند الله ، فقال أبو جهل : وعبدالله ياأبا طالب ! أترغب عن ملّة عبدالمطلب ! فلم يزالا يكلّمانه حتى قال : هو على ملّة عبد المطلب ، فقال النبىّ صلى الله عليه وسلم « لأستغفرنّ لك مالم أُنْهَ عنه » ، فنزلت : ﴿ مَا كَانَ للنّبى والّذِين آمَنُوا أن يَسْتَغْفِرُوا للمشركين... ﴾[3] الآية .

وأخرج الترمذىّ — وحسّنه — عن علىّ ، قال : سمعت رجلاً يستغفر لأبويه وهما مشركان ،فقلت : تستغفر لأبويك وهما مشركان !فقال : استغفر إبراهيمُ لأبيه وهو مشرك ، فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت .

وأخرج الحاكم وغيره عن ابن مسعود ، قال : خرج النبىّ صل الله عليه وسلم يوما

---

(١) نقله ابن كثير فى التفسير ٣ : ٢٦٧

(٢) أنظر ماسبق فى ص ٩١ ، ٩٣ ، ٩٤

(٣) سورة التوبة ١١٣ ، وانظر أسباب النزول للواحدى ١٩٧ — ١٩٩

إلى المقابر ، فجلس إلى قبر منها ، فناجاه طويلاً ، ثم بكى ، فقال : إن القبر الذى جلستُ عنده قبر أمّى ، وإنّى استأذنتُ رَبّى فى الدعاء لها فلم يأذن لى ، فأنزل علىّ : ﴿ مَا كَانَ للنبىّ والَّذِينَ آمَنُوا أنْ يَسْتَغفروا للمشركين﴾، فنجمع بين هذه الأحاديث بتعدّد النزول.

ومن أمثلته أيضا ما أخرجه البيهقى والبزار ، عن أبى هريرة أن النبىّ صلى الله عليه وسلم وقف على حمزة حين استُشهِد ، وقد مُثِّل به ، فقال: « لأمثّلن بسبعين منهم مكانك » . فنزل جبريل والنبى صلى الله عليه وسلم واقف بخواتيم سورة النحل: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ به ...﴾ [1] إلى آخر السورة .

وأخرج الترمذيّ والحاكم عن أبىّ بن كعب ، قال : لما كان يوم أُحُد أُصِيبَ من الأنصار أربعة وستون، ومن المهاجرين ستّة ، منهم حمزة ، فمثّلوا بهم ، فقالت الأنصار : لئن أصبنا منهم يوما مثل هذا لنربينّ عليهم . فلمّا كان يوم فتح مكة أنزل الله :﴿وإنْ عَاقَبْتُمْ ... ﴾ الآية،فظاهره تأخير نزولها إلى الفتح ، وفى الحديث الذى قبله نزولها بأحد . قال ابن الحصار: ويجمع بأنّها نزلت أوّلا بمكة قبل الهجرة مع السورة لأنّها مكية ، ثم ثانيا بأحُد ، ثم ثالثا يوم الفتح ، التذكير من الله لعباده . وجعل ابن كثير من هذا القسم آية الروح . .

* * *

تنبيــه

قد يكون فى إحدى القصّتين « فتلا » فيَهِم الراوى فيقول « فنزل » مثاله ما أخرجه الترمذىّ ، — وصححه عن ابن عباس — ، قال : مرّ يهودىّ بالنبىّ صلى الله عليه وسلم ، فقال : كيف تقول يا أبا القاسم ، إذا وضع الله السموات على ذهْ ، والأرضينَ على ذهْ ، والماء على ذهْ ، والجبال على ذهْ ، وسائرا الخلق على ذهْ ؟ فأنزل الله : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللهَ

---

[1] (١) سورة النحل ١٢٦ ، وانظر تفسير القرطبى ١٠ : ٢٠١

حَقَّ قَدْرِهِ ...﴾[1] الآية، والحديث في الصحيح بلفظ «فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم» وهو الصواب ، فإنّ الآية مكيّة .

ومن أمثلته أيضا ما أخرجه البخاريّ عن أنسَ، قال: سمع عبد الله بن سلاَم بمقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأتاه فقال : إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبيّ: ماأول أشراط الساعة؟ وماأول طعام أهل الجنة ؟ ومايَنزع الولد؟ إلى أبيه أو إلى أمه ؟ قال : أخبرني بهنّ جبريل آنفا ، قال : جبريل ؟ قال : نعم ، قال : ذاك عدوّ اليهود من الملائكة فقرأ هذه الآية: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِجِبرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلبِكَ﴾[2] قال ابنُ حَجَر في شرح البخاريّ : ظاهر السياق أن النبيّ صلى الله عليه وسلم قرأ الآية ردًّا على قول اليهود ، ولا يستلزم ذلك نزولها حينئذ. قال : وهذا هو المعتمد، فقد صحّ في سبب نزول الآية قصة غير قصة ابن سلام .

* * *

تنبيه

عكسُ ماتقدم أن يُذكر سبب واحد في نزول آيات[3] متفرّقة، ولا إشكال في ذلك، فقد ينزل في الواقعة الواحدة آيات عديدة في سور شتى ، مثاله ماأخرجه التِّرمذيّ والحاكم عن أم سلمة أنها قالت : يارسول الله ، لاأسمع الله ذكر النساء في الهجرة بشيء! فأنزل الله: ﴿فَاستَجَابَ لَهُم رَبُّهُم أَنِّي لا أُضِيعُ ...﴾[4] إلى آخر الآية .

وأخرج الحاكم عنها أيضا، قالت: قلت : يارسول الله تذكر الرجال ولا تذكر النساء! فأنزلت: ﴿إِنَّ المُسلِمِينَ وَالمُسلِمَاتِ﴾[5] وأنزلت: ﴿أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنكُم مِن ذَكَرٍ أَو أُنثَى﴾ .

---

(١) سورة الأنعام ٩١

(٢) سورة البقرة ٩٧

(٣) ط : « الآيات »

(٤) سورة آل عمران ١٩٥

(٥) سورة الأحزاب ٣٥

وأخرج أيضا عنها أنها قالت : يَغزُو الرجال ولا تغزو النساء، وإنما لنا نصف الميراث، فأنزل الله : ﴿ وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بعضٍ ﴾ ، أنزل : ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ ﴾ .

ومن أمثلته أيضا ما أخرجه البخاريّ من حديث زيد بن ثابت، أنّ رسول الله صلي الله عليه وسلم أملى عليه : ﴿ لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ... وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سبيل الله ﴾ [1] ، فجاء ابن أمّ مكتوم ، وقال : يارسول الله ، لو استطيع الجهاد لجاهدت — وكان أعمى — فأنزل الله : ﴿ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ ﴾ .

وأخرج ابن أبي حاتم عن زيد بن ثابت أيضا ، قال : كنت أكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإنى لواضع القلم على أذنى ، إذ أمرَ بالقتال ، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر ماينزل عليه إذ جاء أعمى ، فقال : كيف لى يارسول الله وأنا أعمى ! فأنزلت : ﴿ لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ ... ﴾ [2] .

ومن أمثلته ما أخرجه ابن جرير عن ابن عباس ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالساً فى ظلّ حُجرة ، فقال : إنه سيأتيكم إنسان ينظر بعينى شيطان ، فطلع رجل أزرق ، فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : علامَ تشتمنى أنت وأصحابك ؟ فانطلق الرّجل ، فجاء بأصحابه ، فحلفوا بالله ماقالوا ، حتى تجاوز عنهم ، فأنزل الله : ﴿ يَحْلِفُونَ بِاللهِ مَاقالوا ... ﴾ [3] الآية . وأخرجه الحاكم وأحمد بهذا اللفظ وآخره : فأنزل الله : ﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُم اللهُ جَمِيعاً فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُم .. ﴾ [4] الآية .

* * *

تنبيه

تأمّل ماذكرته لك فى هذه المسألة ، واشدد به يديك ، فإنى حرّرته واستخرجته بفكرى من استقراء صنيع الأئمة ومتفرّقات كلامهم ، ولم أُسْبَق إليه .

---

(١) سورة النساء ٩٥
(٢) سورة التوبة ٩١
(٣) سورة التوبة ٧٤
(٤) سورة المجادلة ١٨

النوع العاشر
فيما أنزل من القرآن على لسان بعض الصحابة

هو فى الحقيقة نوع من أسباب النزول والأصل فيه مُوافقات عمر ، وقد أفردها بالتصنيف جماعة .

وأخرج التِّرمذىّ ، عن ابن عمر ، أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إنّ الله جعل الحقّ على لسان عمروقلبه . قال ابنُ عمر : وما نزل بالنّاس أمرٌ قطّ فقالوا وقال ، إلا نزل القرآنُ على نحو ماقال عمر .

وأخرج ابنُ مَرْدُويه ، عن مجاهد ، قال : كان عمر يرى الرأى ، فينزل به القرآن .

وأخرج البخارىُّ وغيره ، عن أنس ، قال : قال عمر: وافقتُ ربّى فى ثلاث ، قلت : يارسولَ الله لو اتّخذنا من مقام إبراهيم مُصلًّى؟ فنزلت : ﴿ واتّخذُوا من مَقَامِ إبراهيمَ مُصَلًّى ﴾ [1] ،وقلت :يارسولَ الله، إنّ نساءكَ يَدخل عليهنّ البرّ والفاجر ، فلوأمرتَهنّ أن يحتجبن ؟ فنزلت آية الحجاب ، واجتمع على رسول الله صلى الله عليه وسلم نساؤه فى الغيرة ، فقلت لهنّ: ﴿عَسَى رَبُّهُ إنْ طَلّقكنّ أن يُبدلَهُ أزواجاً خيراً منكُنّ﴾ [2] ،فنزلت كذلك .

وأخرج مسلم عن ابن عمر ، عن عمر ، قال ، وافقت ربى فى ثلاث: فى الحجاب، وفى أسارى [3] بدر، وفى مقام إبراهيم .

وأخرج ابن أبى حاتم عن أنس، قال: قال عمر : وافقتُ ربيّ — أو وافقنى ربيّ — فى أربع ؛ نزلت هذه الآية : ﴿ ولَقدْ خلقنَا الإنسانَ من سُلالَةٍ من طين ... ﴾ [4] الآية ،

---

(١) سورة البقرة ١٢٥

(٢) سورة التحريم ٥

(٣) ط : « أسرى ».

(٤) سورة المؤمنين ١٢

فلما نزلت قلت أنا : ﴿ فتبارك اللهُ أحسنُ الخالِقين ﴾، فنزلت : ﴿فتبارك الله أحسنُ الخالقين ﴾ (١) .

وأخرج عن عبد الرحمن بن أبى ليلى أنّ يهوديًّا لقى عمر بن الخطاب ، فقال : إنّ جبريل الذى يذكر صاحبكم عدوٌّ لنا ، فقال عمر : ﴿ مَنْ كَانَ عَدوًّا لِلهِ وملائكتِه ورسُلِه وجِبْرِيلَ وميكَالَ فإنّ الله عدوٌّ للكافرين ﴾ (٢) قال : فنزلت على لسان عمر .

وأخرج سُنَيْد فى تفسيره ، عن سعيد بن جبير ، أنّ سعد بن مُعاذ لمّا سمع ماقيل فى أمر عائشة قال : ﴿ سُبْحانَكَ هٰذَا بهتانٌ عَظِيمٌ ﴾ (٣) ، فنزلت كذلك .

وأخرج ابن أخى ميمى فى فوائده ، عَن سعيد بن المسيِّب ، قال : كان رجلان من أصحاب النبىّ صلّى الله عليه وسلم إذا سمعا شيئا من ذلك ، قالا: ﴿سُبْحانَكَ هذَا بهتانٌ عَظِيمٌ ﴾ : زيد بن حارثة وأبو أيوب ، فنزلت كذلك .

وأخرج ابنُ أبى حاتم ، عن عكرمة ، قال : لمّا أبطأ على النساء الخبر فى أحُد خرجْنَ يستخبرن ، فإذا رجلان مقبِلان على بعَيرٍ ، فقالت امرأة : مافعلَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : حىّ ، قالت : فلا أبالى، يتّخذ الله من عباده الشهداء ، فنزل القرآن على ماقالت : ﴿ و يتخِذ منكُمْ شهداء ﴾ (٤) .

وقال ابن سعد فى الطبقات : أخبرنَا الواقدىّ ، حدثنى إبراهيم بن محمد بن شُرحبيل العبدرىّ،عن أبيه ، قال : حمل مُصعب بن عُمير اللواء يومَ أحُد ، فقطِعت يدُه اليمنى ، فأخذ اللواء بيده اليسرى ، وهو يقول : ﴿وَمَا محمّد إلا رسولٌ قد خلتْ مِن قبلِه الرّسل أفإن ماتَ أو قُتِلَ انقلبتم عَلَى أعقابكم ﴾ (٥) ،ثم قطعت يده اليسرى ، فحنا على اللواء وضمّه بعَضُديه إلى صدره ، وهو يقول : ﴿وَمَا محمّد إلا رسول...﴾ الآية ، ثم قتِل ، فسقط اللواء .

---

(١) سورة المؤمنين ١٢ — ١٤
(٢) سورة البقرة ٩٨
(٣) سورة النور ١٦
(٤) سورة آل عمران ١٤٠
(٥) سورة آل عمران ١٤٤

قال محمد بن شرحبيل : ومانزلت هذه الآية :﴿ وَمَا مُحَمَّد إلا رسولٌ ﴾ يومئذ حتى نزلت بعد ذلك .

* * *

تذنيب

يقرُب من هذا ماورد فى القرآن على لسان غير الله، كالنبىّ عليه السلام وجبريل والملائكة غيرمصرّح بإضافته إليهم ولامحكىّ بالقول ، كقوله : ﴿ قَدْ جاءَكُمْ بَصائِرُ مِنْ ربكم ...﴾ ، الآية ، فإنْ هذا ورد على لسانه صلى الله عليه وسلم لقوله آخرها : ﴿ وَمَا أنا عَلَيكُمْ بحفيظ ﴾ [1] .

وقوله: ﴿ أَفَغَيْرَ اللهِ أَبْتَغِى حَكَما... ﴾ ، [2] الآية ، فإنهأوردها أيضاً على لسانه .

وقوله : ﴿ وما نتنزّلُ إلا بأمرِ ربّك ...﴾ : [3] الآية وارد على لسان جبريل .

وقوله : ﴿ ومامنّا إلاله مقامٌ معلومٌ *وإنا لنحنُ الصّافون*وإنالنحنُ المسبِّحون﴾، [4] وارد على لسان الملائكة .

وكذا :﴿ إيّاكَ نَعبُد وإيّاكَ نَستَعِينُ ﴾ ، وارد على ألسِنةالعباد ، إلا أنه يمكن هنا تقدير القول أى قولوا ، وكذا الآيتان الأوليَان يصحّ أن يقدّرفيهما« قل »بخلاف الثالثة والرابعة .

(١) سورة الأنعام ١٠٤

(٢) سورة الأنعام ١١٤

(٣) سورة مريم ٦٤

(٤) سورة الصافات ١٦٤ — ١٦٦

النوعُ الحادِى عَشَر
ماتكرّر نزوله

صرّح جماعة من المُتقدمين والمتأخّرين ، بأنّ من القرآن ماتكرّر نزوله ، قال ابنُ الحصّار: قد يتكرر نزولُ الآية تذكيرًا وموعظة ، وذكر من ذلك خواتيم سورة النحل ، وأوّل سورة الروم .

وذكر ابنُ كثير منه آية الروح . وذكر قوم منه الفاتحة . وذكر بعضهم منه قوله: ﴿ ما كان للنبيّ والّذين آمنوا ... ﴾[1] الآية .

وقال الزركشيّ فى البرهان : قد ينزل الشىء مرتين تعظيماً لشأنه ، وتذكيرًا عند حدوث سببه خوف نسيانه . ثم ذكر منه آية الروح ، وقوله: ﴿ وأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النّهار ... ﴾[2] الآية .

قال : فإنّ سورة الإسراء وهود مكّيتان ، وسبب نزولهما يدلّ على أنّهما نزلتا بالمدينة ، ولهذا أشكل ذلك على بعضهم .

ولا إشكال ، لأنها نزلت مرّة بعد مرّة . قال: وكذلك ماورد فى سورة الإخلاص من أنّها جواب للمشركين بمكة ، وجواب لأهل الكتاب بالمدينة ، وكذلك قوله : ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمنوا ... ﴾[3] الآية . قال : والحكمة فى هذا كله أنه قد يحدث سبب من سؤال أو حادثة تقتضى نزول آية ، وقد نزل قبل ذلك مايتضمنها فيوحَى إلى النّبيّ صلى الله عليه وسلم تلك الآية بعينها؛ تذكيرًا لهم بها وبأنها تتضمّن هذه .[4]

---

(١) سورة التوبة ١١٣ (٢) سورة هود ١١٤

(٣) سورة التوبة ١١٣ » . وأوردها بعدها فى البرهان » : وأنزل الله فى أبى طالب : (إنك لاتهدى من أحببت) ، وهذه الآية نزلت فى آخر الأمر بالاتفاق ، وموت أبى طالب كان بمكه ، فيمكن أنها نزلت مرة بعد أخرى ، وجعلت فى براءة » .

(٤) البرهان ١ : ٢٩ ، ٣٠ مع تصرف

تنبيـــه

قد يُجعل من ذلك الأحرف التى تُقرأ على وجهين فأكثر ، ويدلّ له ماأخرجه مسلم من حديث أبيّ : « أنّ ربّي أرسل إلىّ أن أقرأ القرآن على حَرْف ، فرددت إليه: أن هَوّن على أمتى ، فأرسل إلىّ أن اقرَأه على حرفين ، فرددت إليه: أن هوّن على أمتى ، فأرسل إلىّ أن اقرأه على سبعة أحرف» ، فهذا الحديث يدلّ على أن القرآن لم ينزل من أوّل وَهْلة ، بل مرّة بعد أخرى .

وفى جمال القرّاء للسخاويّ بعد أن حكى القول بنزول الفاتحة مرتين: إن قيل : فما فائدة نزولها مرة ثانية؟ قلت: يجوز أن يكون نزلت أوّل مرّة على حرف واحد، ونزلت فى الثانية ببقيّة وجوهها ، نحو مَلِك ومَالِك والسّراط والصّراط ، ونحو ذلك .انتهى .

* * *

تنبيـــه

أنكر بعضهم كون شىء من القرآن يتكرّر نزوله، كذا رأيته فى كتاب «الكفيل بمعانى التنزيل» ، وعلّله بأن تحصيل ماهو حاصل لافائدة فيه . وهو مردود بما تقدّم من فوائده ، وبأنه يلزم منه أن يكون كلّ مانزل بمكة نزل بالمدينة مرة أخرى، فإن جبريل كان يعارِضه القرآن كلّ سنة . ورُدّ بمنع الملازمة ، وبأنه لامعنى للإنزال إلا أنّ جبريل كان ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم بقرآن لم يكن نزل به من قبل ، فيقرئه إياه .ورُدّ بمنع اشتراط قوله :« لم يكن نزل به من قبل». ثم قال : ولعلهم يعنُون بنزولها مرّتين، أنّ جبريل نزل حين حُوّلت القبلة ، فأخبَر الرسول صلى الله عليه وسلم أنّ الفاتحة ركن فى الصلاة كما كانت بمكة ، فظن ذلك نزولا لها مرّة أخرى ، أوأقرأه فيها قراءة أخرى لم يقرئها له بمكة، فظنّ ذلك إنزالاً .انتهى.

النوع الثانى عشر
ما تأخر حكمه عن نزوله
وما تأخر نزوله عن حكمه

قال الزركشىّ فى البرهان : قد يكون النزول سابقا على الحكم ، كقوله : ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى * وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾ (١) ، فقد روى البيهقىّ وغيره عن ابن عمر أنّها نزلت فى زكاة الفطر . وأخرج البزار نحوه مرفوعا .

وقال بعضهم : لا أدرى ما وجهُ هذا التأويل ؟ لأن السورة مكيّة ، ولم يكن بمكة عيد ولا زكاة ولا صوم ! وأجاب البغوىّ بأنّه يجوز أن يكون النزول سابقاً على الحكم، كما قال : ﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ * وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ فالسورة مكية ، وقد ظهر أثر الحلّ يوم فتح مكة ، حتى قال عليه السلام : « أُحِلَّتْ لى ساعه من نهار » ، وكذلك نزل بمكة : ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾ (٢) قال عمر بن الخطاب : فقلت : أىّ جمع ؟ فلما كان يوم بدر ، وانهزمت قريش نظرت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى آثارهم مصلِتاً بالسيف ، ويقول : ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾ ، فكانت ليوم بدر . أخرجه الطبرانى فى الأوسط . (٣)

وكذلك قوله : ﴿جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ﴾ (٤) ، قال قتادة : وعده الله وهو يومئذ بمكة أنه سيهزم جنداً من المشركين، فجاء تأويلها يوم بدر . أخرجه ابنُ أبى حاتم .

---

(١) سورة الأعلى ١٤ ، ١٥

(٢) سورة القمر ٤٥

(٣) البرهان ١ : ٣٢ بتصرف .

(٤) سورة ص ١١

ومثله أيضاً قوله تعالى: ﴿ قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴾ (١)

أخرج ابن أبى حاتم عن ابن مسعود فى قوله: ﴿ قُلْ جاء الْحَقُّ ﴾ قال: السيف، والآية مكية متقدّمة على فرض القتال، ويؤيد تفسير ابن مسعود ماأخرجه الشيخان من حديثه أيضاً، قال: دخل النبىّ صلى الله عليه وسلم مكّة يوم الفتح وحولَ الكعبة ثلاثمائة وستونَ نُصُبًا، فجعل يطعنها بعودٍ كان فى يده، ويقول: ﴿ جاء الحقُّ وَزَهَقَ الباطلُ إنّ الباطلَ كانَ زهوقاً ﴾ (٢)، ﴿ جاء الحقّ ومايبدِئُ الباطل ومايعيد ﴾.

وقال ابن الحصّار: ذكر الله الزّكاة فى السور المكيات كثيرا، تصريحاً وتعريضا، بأن الله سيُنجز وعدَه لرسوله، ويقيم دينَه ويظهره؛ حتى تُفرض الصلاة والزكاة وسائر الشرائع، ولم تؤخذ الزكاة إلاّ بالمدينة بلاخلاف، وأورد من ذلك قوله تعالى: ﴿ وَآتُوا حَقَّهُ يومَ حصادِهِ ﴾ (٣) وقوله فى سورة المزمل: ﴿ وأقيمُوا الصّلاة وآتوا الزّكاة ﴾ (٤). ومن ذلك قوله فيها: ﴿ وآخرون يُقاتِلون فى سبيل الله ﴾ (٥).

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قولاً مِمّن دعاَ إلى الله وعمل صالحا ﴾ (٦) فقد قالت عائشة وابن عمر وعكرمة وجماعة: إنها نزلت فى المؤذّنين، والآية مكية ولم يُشرع الأذان إلابالمدينة.

ومن أمثله ماتأخر نزوله عن حكمه آية الوضوء، ففِى صحيح البخارىّ عن عائشة قالت: « سقطت قلادة لى بالبيداء، ونحن داخلون المدينة، فأناخ رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزل فثنَى رأسه فى حِجْرى راقدا، وأقبل أبو بكر، فلكزنى لَكْزة شديدة وقال: حبستِ الناس فى قلادة! ثم إن النبى صلى الله عليه وسلم استيقظ، وحضرت الصبح فالتمس الماء فلم يوجد، فنزلت: ﴿ يأَيّها الّذين آمنوا إذا قمتم إلى الصّلاة ﴾ إلى قوله:

---

(١) سورة سبأ ٤٩
(٢) سورة الإسراء ٨١
(٣) سورة الأنعام ١٤١
(٤) سورة المزمل
(٥) سورة المزمل ٢٠
(٦) سورة فصلت ٣٣

﴿لعلكم تشكرون﴾ [1] ، فالآية مدنيّة إجماعا ، وفرض الوضوء كان بمكة مع فرض الصلاة .

قال ابن عبد البرّ معلوم : عند جميع أهل المغازى أنه صلى الله عليه وسلم لم يصلّ منذ فرضت عليه الصلاة إلا بوضوء ولا يدفع ذلك إلا جاهل أو معاند . قال : والحكمة فى نزول آية الوضوء مع تقدّم العمل به ، ليكون فرضه متلوًّا بالتنزيل .

وقال غيره : يحتمل أن يكون أوّل الآية نزل مقدّما مع فرض الوضوء ، ثم نزل بقيتها وهو ذكر التيمم فى هذه القصة .

قلت : يردّه الإجماع على أنّ الآية مدنيّة .

ومن أمثلته أيضا آية الجمعة ، فإنها مدنية والجمعة فرضت بمكة ، وقول ابن الغَرْس : إن إقامة الجمعة لم تكن بمكة قطّ يردّه ما أخرجه ابن ماجه عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك ، قال : كنت قائد أبى حين ذهب بصرُه ، فكنت إذا خرجت به إلى الجمعة ، فسمع الأذان ، يستغفر لأبى أمامة أسعد بن زرارة ، فقلت : ياأبتاه ، أرأيت صلاتك على أسعد بن زرارة كلّما سمعت النداء بالجمعة ، لم هذا ؟ قال : أىْ بنىّ ، كان أوّل مَنْ صلّى بنا الجمعة قبْل مقدَم رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة .

ومن أمثلته قوله تعالى : ﴿ إنّما الصّدقاتُ للفقراء... ﴾ [2] الآية ، فإنّها نزلت سنة تسع ، وقد فرِضت الزكاة قبلها فى أوائل الهجرة .

قال ابنُ الحصّار : فقد يكون مصرفُها قبل ذلك معلوماً ، ولم يكن فيه قرآن متلوّ ، كما كان الوضوء معلوما قبل نزول الآية ، ثم نزلت تلاوة القرآن تأكيدا به .

* * *

(١) سوره المائده ٦

(٢) سوره التوبة ٦٠

النوع الثالث عشر
ما نزل مفرقا وما نزل جمعا

الأول غالب القرآن ، ومن أمثلته فى السور القصار «اقرأ» أولّ مانزل منها ، إلى قوله: ﴿ مالم يعلم ﴾ ، والضحى أوّل مانزل منها إلى قوله: ﴿ فترضى ﴾ كما فى حديث الطّبرانىّ .

ومن أمثلة الثانى سورة الفاتحة ، والإخلاص ، والكوثر ، وتبّت ، ولم يكن ، والنصر ، والمعوذتان ، نزلتا معا .

ومنه فى السّور الطوال المرسلات ، ففى المستدرك عن ابن مسعود ،قال: كنّا مع النبيّ صلى الله عليه وسلم فى غار ، فنزلت عليه : ﴿والمرسلات عرفا ﴾، فأخذتها من فيه وإنّ فاه رطب بها فلاأدرى بأيها ختم: ﴿ فبأىّ حديث بعده يؤمنون ﴾[1]، أو ﴿ إذا قيل لهم اركعوا لايركعون ﴾[2] .

ومنه سورة الصفّ لحديثها السابق فى النوع الأوّل .

ومنه سورة الأنعام ، فقد أخرج أبوعُبيد والطّبرانىّ عن ابن عباس ، قال : نزلت سورة الأنعام بمكة ليلا جملة، حولها سبعون ألف ملَك .

وأخرج الطبرانىّ من طريق يوسف بن عطيّة الصفّار — وهو متروك — عن ابن عون عن نافع عن ابن عمر ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « نزلت علىّ سورة الأنعام جملة واحدة يشيّعها سبعون ألف ملك » .

وأخرج البيهقىّ فى الشعب بسندٍ فيه من لايُعرف عن علىّ قال : أُنزل القرآن خمساً خمساً إلاسورة الأنعام، فإنها نزلت جملة ،فى ألفٍ يشيّعها من كلّ سماء سبعون

---

(١) سورة المرسلات ٥٠ (٢) سورة المرسلات ٤٨

ملكاً حتى أدوْها إلى النبى صلى الله عليه وسلم ».

وأخرج أبو الشيخ [1] عن أُبىّ بن كعب مرفوعا : « أنزِلت علىّ سورة الأنعام جملةً واحدة ، يشيعها سبعون ألف ملك » .

وأخرج عن مجاهد قال : « نزلت الأنعام كلها جملة واحدة معها خمسمائة ملك ».

وأخرج عن عطاء قال : « أنزِلت الأنعام جميعا ومعها سبعون ألف ملك » .

فهذه شواهد يُقَوّى بعضُها بعضًا .

وقال ابن الصلاح فى فتاويه : الحديث الوارد فى أنها نزلت جملةً ، رويناه من طريق أُبىّ بن كعب . وفى إسناده ضَعْف ، ولم نر له إسنادًا صحيحا ، وقدرُوِىَ مايخالفه ،فرُوِىَ أنها لم تنزل جملةً واحدة ، بل نزلت آيات منها بالمدينة ، اختلفوا فى عددها، فقيل : ثلاث ، وقيل غير ذلك.انتهى والله أعلم .

* * *

(١) هو أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان ، المعروف بأبى الشيخ . قال أبو نعيم: صنف الأحكام والتفسير .توفى سنة ٣٦٩ .أخبار أصبهان ٢ : ٩٠

النوع الرابع عشر
ما نزل مشيعا وما نزل مفردا

قال ابن حبيب ، وتبعه ابن النّقيب : من القرآن ما نزل مشيّعاً وهو سورة الأنعام شيّعها سبعون ألف مَلَك ، وفاتحة الكتاب نزلت ومعها ثمانون ألف ملك ، وآية الكرسيّ نزلت ومعها ثلاثون ألف ملَك ، وسورة يس نزلت ومعَها ثلاثون ألف مَلَك ، ﴿ واسْأَلَ مَنْ أَرْسَلْنا مِنْ قبلِكَ مِنْ رُسلِنا ﴾ [١] نزلت ومعها عشرون ألف ملك ، وسائر القرآن نزل به جبريل مفردا بلا تشييع .

قلت : أما سورة الأنعام فقد تقدّم حديثها بطرقه ، ومن طرقه أيضا ما أخرجه البيهقيّ في الشُّعب والطّبرانيّ بسند ضعيف ، عن أنس مرفوعا : « نزلت سورة الأنعام ومعها مَوْكِب من الملائكة يسدّ ما بين الخافقين ، لهم زَجَل بالتقديس والتسبيح والأرض ترتجّ » . وأخرج الحاكم والبيهقيّ من حديث جابر ، قال : لمّا نزلت سورة الأنعام سبّح رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال : « شيَّع هذه السورة من الملائكة ما سدّ الأفق » . قال الحاكم : صحيح على شرط مُسلم ، لكن قال الذهبيّ : فيه انقطاع ، وأظنّه موضوعا .

وأما الفاتحة وسورة يس ، و ﴿ وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا ﴾ ، فلم أقف على حديث فيها بذلك ولا أثر .

وأما آية الكرسيّ فقد ورد فيها وفي جميع آيات البقرة حديث ؛ أخرج أحمد في مسنَده ، عن مَعقل بن يسار ، أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « البقرة سِنام القرآن وذِرْوته ، نزل مع كلّ آية منها ثمانونَ مَلَكا ، واستخرجت : الله لا إله إلا هو الحيّ القيوم من تحت العرش فوُصلت بها » .

---

(١) سورة الزخرف ٤٥

وأخرج سعيد بن منصور فى سننه ، عن الضحاك بن مزاحم ، قال : « خواتيم سورة البقرة جاء بها جبريل ، ومعه من الملائكة ماشاء الله » .

وبقى سُوَر أخرى منها سورة الكهف ، قال ابنُ الضُّريس فى فضائله . أخبرنا يزيد ابن عبد العزيز الطيالسيّ حدثنا إسماعيل بن عيّاش ، عن إسماعيل بن رافع ، قال : بلغنا أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ألَا أخبِركم بسورة ملء عظمتها مابين السماء والأرض شيّعها سبعون ألف ملَك ؟ سورة الكهف » .

* * *

تنبيـــــه

لينظر فى التوفيق بين مامضى وبين ماأخرجه ابنُ ابى حاتم بسند صحيح عن سعيد ابن جُبير ، قال : ماجاء جبريل بالقرآن إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم إلا ومعه أربعة من الملائكة حَفَظة .

وأخرج ابن جرير عن الضحاك ، قال : كان النبىّ صلى الله عليه وسلم إذا بُعِث إليه الملك ، بعث ملائكة يحرُسونه من بين يديه ومِنْ خلفِه، أن يتشبه الشيطان على صورة الملك .

* * *

فائدة

قال ابنُ الضُّرَيس: أخبرنا محمود بن غيلان عن يزيد بن هارون ، أخبرنى الوليد — يعنى ابن جميل — عن القاسم عن أبى أمامة،قال : أربع آيات نزلت من كنز العرش ، لم ينزل منه شىءغيرهنّ :أمّ الكتاب ، وآية الكرسىّ ، وخاتمة سورة البقرة،والكوثر .

قلت : أما الفاتحة فأخرج البيهقى فى الشُّعب ، من حديثُ أنس مرفوعاً : إنّ الله أعطانى فيما مَنّ به على : إنّى أعطيتك فاتحة الكتاب وهى من كنوز عرشى .

وأخرج الحاكم عن معقِل بن يسار مرفوعاً : « أعطِيت فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة من تحت العرش » .

وأخرج ابن راهويه فى مسنَدِه عن علىّ ، أنه سئل عن فاتحة الكتاب فقال : حدّثنا نبىّ الله صلى الله عليه وسلم أنها نزلت من كنز تحت العرش .

وأما آخر البقرة فأخرج الدرامىّ فى مسنده ، عن أيفع الكَلاعىّ ، قال : قال رجل : يارسول الله ، أىّ آيةٍ تحبّ أن تصيبك وأمتك ؟ قال : « آخر سورة البقرة ، فإنها من كنز الرحمة من تحت عرش الله » .

وأخرج أحمد وغيره من حديث عُقْبة بن عامر مرفوعا : « اقرءوا هاتين الآيتين فإن ربى أعطانيهما من تحت العرش » .

وأخرج من حديث حذيفَة : « أعطِيت هذه الآيات من آخر سورة البقرة من كنز تحت العرش لم يُعطَها نبى قبلى » .

وأخرج من حديث أبى ذَرٍ : « أعطِيت خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش لم يعطهنّ نبى قبلى » .

وله طرق كثيرة عن عمر وعلىّ وابن مسعود وغيرهم .

وأما آية الكرسى فتقدمت فى حديث معقِل بن يسار السابق .

وأخرج ابن مردُويه عن ابن عباس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قرأ آية الكرسىّ ضحك ، وقال : « إنها من كنز الرّحمن تحت العرش » .

وأخرج أبو عبيد ، عن علىّ قال : « آية الكرسىّ أعطيّها نبيُّكم من كنز تحت العرش ، ولم يعطها أحد قبل نبيّكم » .

وأما سورة كوثر فلم أقف فيها على حديث ، وقول أبى أمامة فى ذلك يجرى مجرى المرفوع ، وقد أخرجه أبو الشيخ بن حَيّان والديلمىّ وغيرهما من طريق محمد بن عبد الملك الدقيقىّ عن يزيد بن هارون ، بإسناده السابق عن أبى أمامة مرفوعا .

النوعُ الخامسُ عشر
ما أُنزل منه على بعض الأنبيـاء
وما لم يُنـزل منه على أحد قبل النبي صلى الله عليه وسلم

من الثانى الفاتحة وآية الـكرسىّ وخاتمة البقرة ، كما تقدّم فى الأحاديث قريباً

وروى مسلم عن ابن عباس: أتى النبىّ صلى الله عليه وسلم مَلَك، فقال: «أبشِرْ بنورينْ قد أوتيتَهما لم يؤتَهما نبىّ قبلك: فاتحة الـكتاب وخواتيم سورة البقرة» .

وأخرج الطَّبرانىّ عن عُقْبة بن عامر ، قال : ترددّوا فى الآيتين من آخر سورة البقرة : ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ ... ﴾ (١) إلى خاتمتها ؛ فإنّ الله اصطفى بها محمداً .

وأخرج أبو عبيد فى فضائله عن كعب قال : إنّ محمداً صلى الله عليه وسلم أُعطِىَ أربع آيات لم يُعطَهنَّ موسَى ، وإنّ موسى أعطِى آية لم يعطَها محمد . قال : والآيات التى أعطيهنّ محمد : ﴿ لِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ... ﴾ (٢) حتى ختم البقرة ؛ فتلك ثلاث آيات ، وآية الـكرسى. والآية التى أعطيها موسى : « اللهم لا تولج الشيطان فى قلوبنا وخلّصنا منه ، من أجل أن لك الملـكوت والأيد والسلطان والملك والحمد والأرض والسماء ، الدّهرَ الدّاهر ، أبداً أبداً آمين آمين » .

وأخرج البيهقى فى الشُّعَبِ عن ابن عباس ، قال : السبع الطوال لم يعطَهنّ أحد إلا النبىّ صلى الله عليه وسلم ، وأُعطِىَ موسى منها اثنتين .

وأخرج الطَّبرانىّ عن ابن عباس مرفوعاً : « أعطِيتْ أمتى شيئا لم يعطه أحدٌ من الأمم » عند المصيبة ﴿ إنَّا لله وإنَّا إليه رَاجِعُون ﴾ (٣) .

---

(١) سورة البقرة ٢٨٤ — ٢٨٥
(٢) سورة البقرة ٢٨٤
(٣) سورة البقرة ١٥٦

ومن أمثلة الأول، ماأخرجه الحاكم عن ابن عباس، قال: لما نزلت سبّح اسم ربك الأعلى، قال صلى الله عليه وسلم: «كلّها فى صحف إبراهيم وموسى»، فلما نزلت: ﴿والنجم إذا هوى﴾ فبلغ ﴿وإبْرَاهِيمَ ٱلَّذِى وفَّى﴾ قال: ﴿وفَّى أن لا تزرُ وازِرةٌ وزْرَ أُخرى﴾ إلى قوله: ﴿هذَا نذير مِنَ النّذُر الأولى﴾[1].

وقال سعيد بن منصور: حدثنا خالد بن عبد الله، عن عطاء بن السائب، عن عِكْرمة، عن ابن عباس، قال: هذه السورة فى صحف إبراهيم وموسى.

وأخرجه ابن أبى حاتم بلفظ: «نسخ من صحف إبراهيم وموسى».

وأخرج عن السُّديّ قال: إن هذه السورة فى صحف إبراهيم وموسى مثل ما نزلت على النبىّ صلى الله عليه وسلم.

وقال الفريابى: نبأنا سفيان، عن أبيه، عن عكرمة: ﴿إنَّ هذا لَفِي الصُّحُف الأولى﴾ قال: هؤلاء الآيات.

وأخرج الحاكم، من طريق القاسم، عن أبى أمامة، قال: أنزل الله على إبراهيم مما أنزل على محمد: ﴿التّائبون العابدون﴾ إلى قوله: ﴿وبشِّر المؤمنين﴾[2] و ﴿قَدْ أفلح المؤمنون﴾ إلى قوله: ﴿فيها خالدون﴾[3] و ﴿إنّ المُسْلِمين والمسلمات...﴾[4] الآية، والتى فى سأل: ﴿الذين هُمْ عَلَى صلاتهم دائمون﴾ إلى قوله: ﴿قائمون﴾[5] فلم يف بهذه السهام إلا إبراهيم ومحمد صلى الله عليه وسلم.

وأخرج البخارىّ عن عبد الله بن عمرو بن العاص، قال إنه – يعنى – النبىّ صلى الله عليه وسلم الموصوف فى التوراة ببعض صفته فى القرآن: ﴿يأيُّهَا النّبيّ إنا أرسلنَاكَ شاهداً ومبشِّراً ونذيراً﴾[6]، وحرزاً للأمّيين ... الحديث.

---

(١) سورة النجم ١ — ٥٦
(٢) سورة التوبة ١١٢
(٣) سورة المؤمن ١ — ١١
(٤) سورة الأحزاب ٣٥
(٥) سورة المعارج ٢٢–٣٣
(٦) سورة الأحزاب ٤٥

وأخرج ابن الضُّريس وغيره ،عن كعب ، قال: فتحت التوراة بـ ﴿الحمدُ لله الذى خَلَق السموات والأرضَ وجعَل الظّلمات والنور ثم الّذين كفروا بربّهم يعدلون ، ﴾ (١) وختمت بـ ﴿ الحَمْدُ لله الّذى لم يتخذْ ولدا ﴾ إلى قوله : ﴿ وكبره تَكْبيرا ﴾ (٢) .

وأخرج أيضا عنه ، قال : فاتحة التوراة فاتحة الأنعام : ﴿الحمدُ لله الّذى خلَق السّموات والأرضَ وَجَعَلَ الظّلُمات والنّورَ ﴾ (٣) ، وخاتمة التوراة خاتمة هود : ﴿ فاعْبُدْه وتوكَّلْ عليه ومَا ربُّك بغافِلٍ عمّا تعملون ﴾ . (٤)

وأخرج من وجه آخر عنه قال : أوّل ما أنزل فى التوراة عشر آيات من سورة الأنعام : ﴿ قُلْ تعالَوْا أَتلُ ماحرّم ربُّكم عليكم ... ﴾ (٥) إلى آخرها .

وأخرج أبو عبيد عنه ، قال : أوّل ما أنزل الله فى التوراة عشر آيات من سورة الأنعام : ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم * قُلْ تعالَوْا أتلُ ... ﴾ الآيات . قال بعضهم : يعنى أنّ هذه الآيات اشتملتْ على الآيات العشر التى كتبها الله لموسى فى التوراة أوّل ما كتب ، وهى : توحيد الله ، والنهى عن الشرك ، واليمين الكاذبة ، والعقوق ، والقتل ، والزنا ، والسرقة ، والزور ، ومدّ العين إلى ما فى يد الغير ، والأمر بتعظيم السبت

وأخرج الدّارقطنىّ من حديث بُريدة ، أنّ النبىّ صلى الله عليه وسلم قال : « لأعلّمنّك آيةً لم تنزل على نبىّ بعد سليمان غيرى : بسم الله الرحمن الرحيم » .

وروى البيهقىّ عن ابن عباس ، قال : أغفل النّاس آيةً من كتاب الله لم تنزل على أحدٍ قبل النبىّ صلى الله عليه وسلم إلاّ أن يكونَ سليمان بن داود : « بسم الله الرحمن الرحيم » .

وأخرج الحاكم عن ابن ميسرة ، أنّ هذه الآية مكتوبة فى التوراة بسبعمائة

---

(١) سورة الأنعام ١
(٢) سورة الإسراء ١١١
(٣) سورة الأنعام ١
(٤) سورة هود ١٢٣
(٥) سورة الأنعام ١٥١

آية : ﴿ يسبِّح لله ما فى السّمواتِ وما فى الأرضِ الملكُ القدّوسُ العزيز الحكيم ﴾ أوّل سورة الجمعة .

* * *

فائدة

يدخل فى هذا النوع ما أخرجه ابن أبى حاتم ، عن محمد بن كعب القُرظىّ ، قال : البرهان الذى أُرِىَ يوسف ثلاثُ آياتٍ من كتاب الله : ﴿ وإنّ عليكم الحافِظين * كراماً كاتبين * يعلمون ما تَفْعلون ﴾[1] وقوله : ﴿ ومَا تكونُ فى شَأنٍ وما تتلُو منه من قرآن ... ﴾[2] الآية ، وقوله : ﴿ أفمنْ هو قائمٌ على كلِّ نفسٍ بما كسبتْ ... ﴾[3] زاد غيره آية أخرى : ﴿ ولا تقربوا الزنى ﴾[4] .

وأخرج ابن أبى حاتم أيضا ، عن ابن عباس فى قوله : ﴿ لَوْلَا أنْ رأى برهان ربّه ﴾[5] قال : رأى آية من كتاب الله نهته ، مُثِّلتْ له فى جدار الحائط .

---

(١) سورة الانفطار ١٠ — ١٢
(٢) سورة يونس ٦١
(٣) سورة الرعد ٣٣
(٤) سورة الإسراء ٣٢ .
(٥) سورة يوسف ٢٤

النوع السادس عشر
فى كيفية إنزاله

فيه مسائل :

الأولى :

قال تعالى : ﴿ شَهْرُ رمضَان الَّذِى أُنزِل فيه القرآن ﴾[١]، وقال: ﴿ إنا أنزلناه فى لَيْلَةَ القدر ﴾[٢].

اختلف فى كيفية إنزاله من اللوح المحفوظ على ثلاثة أقوال :

أحَدُها ، وهو الأصح الأشهر : أنّه نزل إلى سماء الدنيا ليلة البدر جملةً واحدة، ثم نزل بعد ذلك منجّماً فى عشرين سنة ، وثلاثة وعشرين ، أو خمسة وعشرين، على حَسَب الخلاف فى مدّة إقامته صلى الله عليه وسلم بمكة بعد البعثة .

وأخرج الحاكم والبيهقىّ وغيرهما من طريق منصور عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس قال : أنزِل القرآن فى ليلة القدْر جملةً واحدة إلى سماء الدنيا ، وكان بمواقع النجوم ، وكان الله يُنزله على رسوله صلى الله عليه وسلم بعضه فى أثر بعض .

وأخرج الحاكم والبيهقىّ أيضا والنَّسائىّ من طريق داود بن أبى هند، عن عِكرمة عن ابن عباس قال: أنزل القرآن فى ليلة واحدة إلى السماء الدنيا ليلة القدْر ، ثم أنزل بعد ذلك بعشرين سنة ، ثم قرأ: ﴿ ولاَ يأتُونَكَ بِمثَلٍ إلا جئناك بالحقّ وأحْسَنَ تفسيرا ﴾[٣] ﴿ وقرآناً فرقناهُ لتقرأه للنّاسِ على مُكث ونزلناه تنزيلا ﴾[٤].

(١) سورة البقرة ١٨٥
(٢) سورة القدر
(٣) سورة الفرقان ٣٣
(٤) سورة الإسرا ١٠٦

وأخرجه ابن أبى حاتم من هذا الوجه وفى آخره : فكان المشركون إذا أحدثوا شيئا أحدث الله لهم جوابا .

وأخرج الحاكم وابن أبى شيبة من طريق حسّان بن حُريث ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس قال : فُصِل القرآن من الذّكر ، فوضع فى بيت العزّة من السماء الدنيا ، فجعل جبريل ينزل به على النبىّ صلى الله عليه وسلم . أسانيدها كلّها صحيحة .

وأخرج الطّبرانىّ من وجهٍ آخر عن ابن عبّاس ، قال أنزِل القرآن فى ليلة القدْر فى شهر رمضان إلى سماء الدّنيا جملة واحدة ، ثم أنزِل نجوماً [1] . إسناده لا بأس به .

وأخرج الطّبرانىّ والبزّار من وجهٍ آخر عنه ، قال : أنزِل القرآن جملةً واحدة حتى وضع فى بيت العزّة فى السماء الدنيا ، ونزّله جبريل على محمد صلى الله عليه وسلم بجواب كلام العباد وأعمالهم .

وأخرج ابن أبى شيبة فى فضائل القرآن من وجه آخر عنه : دفع إلى جبريل فى ليلة القدر جملة واحدة ، فوضعه فى بيت العزّة ، ثم جعل ينزّله تنزيلا .

وأخرج ابن مردُويه والبيهقىّ فى الأسماء والصفات من طريق السّدّىّ ، عن محمد ، عن ابن أبى المجالد ، عن مقسم ، عن ابن عباس أنّه سأل عطية بن الأسود فقال : أوقعَ فى قلبى الشكَّ قوله تعالى : ﴿شَهْرُ رمضانَ الّذِى أُنزِلَ فيه القرآن﴾ وقوله : ﴿إنّا أنزلناه فى ليلة القَدْر﴾ ، وهذا نزل فى شوال وفى ذى القعدة وفى ذى الحجة وفى المحرّم وصفرٍ وشهر ربيع ، فقال ابن عباس : إنه أنزِل فى رمضان ليلة القَدْر جملة واحدة ، ثم أنزِل على مواقع النجوم رَسَلاً فى الشهور والأيام .

قال أبو شامة: قوله : « رَسَلاً » أى رِفقاً ، وعلى موقع النجوم ، أى على مثل مساقطها ،

---

(١) ط : « ثم أنزل القرآن نجوما »

يريد : أنزل مفرّقا يتلو بعضُه بعضا ، على تُؤَدة ورفق [1] .

القول الثانى : أنّه نزل إلى السماء الدنيا فى عشرين ليلة قدْر أو ثلاث وعشرين أو خمس وعشرين ، فى كلّ ليلة مايقدّر الله إنزاله فى كلّ السنة ، ثم نزل بعد ذلك منجّماً فى جميع السنة . وهذا القول ذكره الإمام فخر الدين الرازى بحثاً ، فقال : يحتمل أنه كان ينزل فى كلّ ليلة قدْر مايحتاج النّاس إلى إنزاله إلى مثلها من اللوح إلى السماء الدنيا . ثم توقّف ، هل هذا أولى أو الأول !.

قال ابنُ كثير : وهذا الّذى جعله احتمالًا نقله القرطبىّ عن مقاتل بن حيان ، وحكى الإجماع على أنه نزل جملة واحدة من اللّوح المحفوظ إلى بيت العزّة فى السماء الدنيا .

قلت : وممّن قال بقول مقاتل الحليمى والماوردىّ ويوافقه قول ابن شهاب : آخرُ القرآن عهداً بالعرش آية الدَّيْن .

القول الثالث : أنّه ابتدىء إنزاله فى ليلة القدر ، ثم نزل بعد ذلك منجّما فى أوقات مختلفة ، من سائر الأوقات ، وبه قال الشّعْبيّ .

قال ابنُ حجَر فى شرح البخارىّ : والأول هو الصحيح المعتمد . قال : وقد حكى الماوردىّ قولا رابعاً ، إنه نزل من اللوح المحفوظ جملة واحدة ، وأنّ الحفظة نجّمته على جبريل فى عشرين ليلة ، وأن جبريل نجّمه على النبىّ صلى الله عليه وسلم فى عشرين سنة . وهذا أيضا غريب ، والمعتمَد أنّ جبريل كان يعارضه فى رمضان بما ينزل به عليه فى طول السنة .

وقال أبو شامة : كأنّ صاحب هذا القول أراد الجمع بين القولين : الأول والثانى .

قلت : هذا الذى حكاه الماوردىّ أخرجه ابن أبى حاتم من طريق الضّحاك عن ابن عباس ، قال : نزل القرآن جملةً واحدة من عند الله من اللّوح المحفوظ إلى السَّفَرَة

(١ — ١) كذا فى الأصل ، وفى ط : « أنزل فى رمضان فى ليلة القدر جملة واحدة ، ثم أنزل على مواقع مفرقا يتلو بعضه بعضاً ، على تؤدة ورفق »

الكرام الكاتبين فى السماء الدنيا ، فنجّمته السَّفَرة على جبريل عشرين ليلة ، ونجّمه جبريل على النبى صلى الله عليه وسلم عشرين سنة .

تنبيهات

الأول : قيل السرّ فى إنزاله جملة إلى السماء، تفخيم أمره وأمرِ مَنْ نزل عليه ، وذلك بإعلام سكان السموات السبع أنّ هذا آخر الكتب المنزلة على خاتم الرّسل لأشرف الأمم، قد قرّبناه إليهم لننزله عليهم ، ولولا أنّ الحكمة الإلهيّة اقتضت وصوله إليهم مُنجّما بحسَب الوقائع لهبط به إلى الأرض جملة، كسائر الكتب المنزّلة قبله ، ولكن الله بايَنَ بينه وبينها ، فجعل له الأمرين : إنزاله جملة ، ثم إنزاله مفرّقا ؛ تشريفاً للمنزَل عليه. ذكر ذلك أبو شامة فى المرشد الوجيز .

وقال الحكيم التِّرمذىّ : أنزل القرآن جملةً واحدة إلى سماء الدنيا تسليماً منه للأمة ما كان أبرز لهم من الحظّ بمبعث محمّد صلى الله عليه وسلم ، وذلك أنّ بعثته[1] كانت رحمةً ، فلمّا خرجت الرحمة بفتح الباب جاءت بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالقرآن ، فوضع القرآن ببيت العزّة فى السماء الدنيا ليدخلَ فى حدّ الدنيا ، ووضعت النبوّة فى قلب محمد ، وجاء جبريل بالرسالة ثم الوحى، كأنّه أراد تعالى ان يسلّم هذه الرحمة التى كانت حظّ هذه الأمّة من الله إلى الأمّة .

وقال السَّخاوىّ فى جمال القراء : فى نزوله إلى السماء جملةً ، تكريم بنى آدم وتعظيم شأنهم عند الملائكة،وتعريفهم عناية الله بهم ورحمته لهم ؛ ولهذا المعنى أمر سبعين ألفا من الملائكة أن تشيِّع سورة الأنعام ، وزاد سبحانه فى هذا المعنى بأنْ أمر جبريل بإملائه على السَّفَرة الكرام وإنساخهم إيّاه وتلاوتهم له . قال : وفيه أيضا التّسوية بين نبينا صلى الله عليه وسلم وبين موسى عليه السلام فى إنزاله كتابه جُملة ، والتفضيل لمحمد فى إنزاله عليه منجّماً ليحفظه .

---

(١) ط : « بعثة محمد صلى الله عليه وسلم »

قال أبو شامة : فإن قلت فقوله تعالى : ﴿ إنّا أنزلناه فى ليلة القدْر ﴾ من جملة القرآن الّذى نزل جملة أم لا ؟ فإن لم يكن منه ، فما نزل جملة ؟ وإن كان منه فما وجه صحة هذه العبارة ؟ .

قلت : له وجهان : أحدهما أن يكون معنى الكلام إنّا حكمنا بإنزاله فى ليلة القدْر ، وقضيناه، وقدرناه فى الأزَل ، والثانى أنّ لفظه لفظ الماضى ومعناه الاستقبال ، أى ننزله جملة فى ليلة القدر. انتهى .

الثانى: قال أبو شامة أيضا : الظّاهر أن نزوله جملة إلى السماء الدّنيا قبل ظهور نبوّته صلى الله عليه وسلم ، قال : ويحتمل أنْ يكون بعدها .

قلت : الظاهر هو الثانى ، وسياق الآثار السابقة عن ابن عباس صريح فيه .

وقال ابن حجَر فى شرح البخارىّ: قد أخرج أحمد والبيهقىّ فى الشُّعب عن واثلة بن الأسقع ، أنّ النبىّ صلى الله عليه وسلم قال : «أنزلت التوراة لستّ مضيْن من رمضان ، والإنجيل لثلاث عشرة خلتْ منه ، والزّبور لثمانَ عشرة خلتْ منه ، والقرآن لأربع وعشرين خلتْ منه» . وفى رواية : «وصحف إبراهيم لأوّل ليلة» قال : وهذا الحديث مطابق لقوله تعالى : ﴿شَهْر رمضان الّذِى أنزِل فيه القرآن﴾ ولقوله : ﴿إنّا أنزلْنَاهُ فى ليلةِ القدْرِ﴾. فيحتمل أن يكون ليلة القدر فى تلك السنة كانت تلك الليلة، فأنزل فيها جملة إلى سماء الدنيا ، ثم أنزل فى اليوم الرابع والعشرين إلى الأرض أوّل «اقرأ بسم ربك» .

قلت : لكن يُشكِل على هذا ما اشتهر من أنه صلى الله عليه وسلم بُعث فى شهر ربيع : ويجاب عن هذا بما ذكروه أنه نُبِّىء أوّلاً بالرؤيا فى شهر مولدِه ، ثم كانت مدّتها ستة أشهر ، ثم أوحى إليه فى اليقظة . ذكره البيهقىّ وغيره .

نعم يُشكل على الحديث السابق ما أخرجه ابن أبى شيبة فى فضائل القرآن عن أبى قلابة ، قال . أنزِلت الكتب كاملة ليلة أربع وعشرين من رمضان .

الثالث : قال أبو شامة أيضا : فإن قيل ماالسرّ فى نزوله منجّماً ؟ وهلاّ نزل كسائر الكتب جملة !

قلنا:هذا سؤال قد تولّى الله جوابه فقال تعالى : ﴿وقال الَّذِين كَفَرُوا لَوْلاَ نُزِّلَ عليهِ القرآنُ جُمْلَةً واحدةً﴾ ، يعنون كما أنزل على من قبله من الرسل ، فأجابهم تعالى بقوله: ﴿كَذَلِكَ - أى أنزلناه كذلك مفرّقا - لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ﴾[1] ، أى لنقوى به قلبك، فإنّ الوحى إذا كان يتجدّد فى كلّ حادثة كان أقوى بالقلب، وأشدّ عناية بالمرسَل إليه ، ويستلزم ذلك كثرة نزول الملك إليه وتجدّد العهد به وبما معه من الرِّسالة الواردة من ذلك الجناب العزيز ، فيحدث له من السرّور ماتقصر عنه العبارة ، ولهذا كان أجود مايكون فى رمضان لكثرة لقائه جبريل .

وقيل : معنى «لنثبّت به فؤادك» أى لنحفظه ، فإنه عليه السلام كان أميًّا لايقرأ ولا يكتب ، ففرِّق عليه ليثبت عنده حفظه بخلاف غيره من الأنبياء ، فإنه كان كاتباً قارئاً ، فيمكنه حفظ الجميع .

وقال ابنُ فُورك : قيل : أنزلت التوراة جملة ، لأنّها نزلت على نبىٍّ يكتب ويقرأ ، وهو موسى ، وأنزل الله القرآن مفرّقًا لأنّه أنزل غير مكتوب على نبى أمىٍّ .

وقال غيره : إنما لم ينزل جملة واحدة لأنّ منه الناسخ والمنسوخ ، ولا يتأتّى ذلك إلاّ فيما أنزل مفرّقًا ؛ ومنه ماهو جواب لسؤالٍ وما هو إنكار على قولٍ قيل ، أو فعلٍ فُعل ؛ وقد تَقَدّم ذلك فى قول ابن عباس : ونزّله جبريل بجواب كلام العباد وأعمالهم ، وفسّر به قوله : ﴿ولا يأتونَك بمثَلٍ إلاّ جئناكَ بِالحق﴾[2] ، أخرجه عنه ابن أبى حاتم .

فالحاصل أنّ الآية تضمنت حكمتين لإنزاله مفرقا .

---

(١) سورة الفرقان ٣٢ (٢) سورة الفرقان ٣٣

تذنيب

ماتقدم فى كلام هؤلاء من أن سائر الكتب أنزلت جملة ، هو مشهور فى كلام العلماء وعلى ألسنتهم ، حتى كاد يكون إجماعا ، وقد رأيت بعض فضلاء العصر أنكر ذلك ، وقال : إنه لادليلَ عليه ، بل الصواب أنّها نزلت مفرّقة كالقرآن .

وأقول : الصواب الأوّل ، ومن الأدلّة على ذلك آية الفرقان السابقة .

أخرج ابن أبى حاتم ، من طريق سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس ، قال : قالت اليهود : ياأبا القاسم ، لولا أُنزِل هذا القرآن جملة واحدة كما أنزلت التوراة على موسى ، فنزلت. وأخرجه من وجه آخر عنه بلفظ : «قال المشركون» ، وأخرج نحوه عن قتادة والسدِّىّ .

فإن قلت : ليس فى القرآن التصريح بذلك ، وإنما هو على تقدير ثبوته ، قولُ الكفار !

قلت : سكوتُه تعالى عن الردّ عليهم فى ذلك وعدولُه إلى بيان حكمته دليلٌ على صحّتِه ، ولو كانت الكتب كلّها نزلت مفرّقة لكان يكفى فى الردّ عليهم أن يقول : إنّ ذلك سنة الله فى الكتب التى أنزلها على الرسل السابقة ، كما أجاب بمثل ذلك قولهم : ﴿وَقَالُوا مَا لِهَذَا الرَّسولِ يأكلُ الطَّعامَ ويَمْشى فى الأسواقِ﴾ (١) وقولهم : ﴿أبعثَ الله بشراً رسولاً﴾ (٢) ، فقال : ﴿وما أَرسَلْنا قَبلَكَ إلاَّ رِجَالاً نوحى إليهم﴾ (٣) وقولهم : كيف يكون رسولا ولا همّ له إلا النساء ! فقال : ﴿وَلَقَدْ أرسَلْنا رُسُلاً مِنْ قبلِكَ وجعلْنَا لهم أزواجاً وذُرِّيةً...﴾ (٤) إلى غير ذلك.

ومن الأدلة على ذلك أيضا قوله تعالى فى إنزال التوراة على موسى يوم الصعقة : ﴿فَخُذْ ما آتيتك وَكُنْ مِنْ الشَّاكِرين * وَكَتَبْنا لَهُ فى الألواح من كلِّ شَىْء موعظة

---

(١) سورة الفرقان ٧
(٢) سورة الاسراء ٩٤
(٣) سورة يوسف ١٠٩
(٤) سورة الرعد ٣٨

وتفصيلا لكلّ شىء فخذها بقوّة ﴾[1] ، ﴿ وألقى الألواح ﴾[2] ، ﴿ ولمّا سكت عن موسى الغضبُ أخذ الألواحَ وفى نسختها هدى ورحمةٌ ﴾[3] ﴿ وإذ نتقنا الجَبَل فوقهمْ كأنّه ظُلّة وظنّوا أنّه واقعٌ بهم خُذُوا ماآتيناكُمْ بقوةٍ ﴾[4] ؛ فهذه الآيات كلّها دالّة على إتيانه التوراة جملة .

وأخرج ابن أبى حاتم من طريق سعيد بن جُبير عن ابن عباس قال : أعطىَ موسى التّوراة فى سبعة ألواح من زَبَرْجد ، فيها تبيان لكلِّ شىء وموعظة ، فلمّا جاء بها فرأى بنى إسرائيل عُكوفاً على عبادة العجل رمى بالتوراة من يده فتحطّمت ، فرفع الله منها ستة أسباع وبقى منها سُبع .

وأخرج من طريق جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن جدّه ، رفعه ، قال : الألواح الّتى أنزِلت على موسى كانت من سِدْرِ الجنّة ، كان طول اللوح اثنى عشر ذراعا .

وأخرج النّسائىّ وغيره عن ابن عباس ، فى حديث الفُتون ، قال : أخذ موسى الألواح بعد ماسكتَ عنه الغضب ، فأمرهم بالّذى أمر الله أن يبلّغهم من الوظائف ، فثقلت عليهم ، وأبوا أن يُقرّوابها حتى نَتق الله عليهم الجبل كأنه ظُلّة ، ودنا منهم حتى خافوا أن يقع عليهم ، فأقرّوابها .

وأخرج ابن أبى حاتم ، عن ثابت بن الحجاج ، قال: جاءتهم التوراة جملة واحدة ، فكبُر عليهم، فأبوا أن يأخذوه حتى ظلّل الله عليهم الجبَل ، فأخذوه عند ذلك .

فهذه آثار صحيحة صريحة فى إنزال التوراة جملة . ويؤخذ من الأثر الأخير منها حكمة أخرى لإنزال القرآن مفرّقاً ، فإنه أدعى إلى قبوله إذا نزل على التدريج ؛ بخلاف مالونزل جملة واحدة ، فإنه كان ينفر من قبوله كثير من النّاس ، لكثرة مافيه من الفرائض والمناهى .

---

(١) سورة الأعراف ١٤٤ ، ١٤٥

(٢) سورة الأعراف ١٥٠

(٣) سورة الأعراف ١٥٤

(٤) سورة الأعراف ١٧١

ويوضح ذلك ماأخرجه البخاريّ عن عائشة ، قالت : إنّما نزل أوّل ما نزل منه سورة من المفصّل فيها ذكر الجنة والنّار، حتى إذا ثاب النّاس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام ، ولو نزل أوّل شيء : « لاتشربوا الخمر »لقالوا: لاندَع الخمر أبدًا ، ولو نزل : « لاتزنوا » لقالوا: لاندّع الزّنا أبدا . ثم رأيت هذه الحكمة مصرّحًا بها فى الناسخ والمنسوخ لمكّى .

فرع

الّذى استُقرِئ من الأحاديث الصحيحة وغيرها أنّ القرآن كان ينزل بحسب الحاجة خمس آيات وعشرا وأكثر وأقلّ ؛ وقد صحّ نزولُ العشر آيات فى قصّة الإفْك جملة، وصحّ نزول عشرآيات من أوّل المؤمنين جملة، وصحّ نزول:﴿ غَيْرُ أولِى الضَّرَرِ ﴾ (١) وحدها ؛ وهى بعض آية ،وكذاقوله: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً... ﴾ (٢) إلى آخر الآية ،نزلت بعد نزول أوّل الآية كماحرّرناه فى أسباب النزول وذلك بعض آية .

وأخرج ابن أشته فى كتاب المصاحف عن عِكْرمة فى قوله:﴿ بِمَوَاقِعِ ﴾ (٣) قال : أنزل الله القرآن نجوماً ثلاث آيات ، وأربع آيات ، وخمس آيات .

وقال النكزاوىّ فى كتاب الوقف : كان القرآن ينزِل مفرّقًا الآية والآيتين والثلاث والأربع ، وأكثر من ذلك .

وأخرجه ابن عساكر من طريق أبى نُضْرة قال : كان أبوسعيدٍ الخُدرىّ يعلمنا القرآن خمس آيات بالغداة وخمس آيات بالعشى ، ويخبرانّ جبريل نزل بالقرآن خمس آيات ، وخمس آيات .

وأمّاماأخرجه البيهقىّ فى الشُّعب من طريق أبى خَلْدة ، عن عمر ، قال: تعلّموا القرآن

---

(١) سورة النساء ٩٥
(٢) سورة التوبة ٢٨
(٣) سورة الواقعة ٧٥

خمس آياتٍ خمس آيات ، فإنّ جبريل ، كان ينزل بالقرآن على النبىّ صلى الله عليه وسلم خمساً خمساً. ومن طريق ضعيف عن علىّ قال: أنزل القرآن خمساً خمساً إلا سورة الأنعام، ومن حفظ خمسا خمسا لم ينسه.

فالجواب ، أنّ معناه - إن صح - إلقاؤه إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم هذا القدر حتى يحفظه ، ثم يلقى إليه الباقى لا إنزاله بهذا القدر خاصّة، ويوضح ذلك ما أخرجه البيهقىّ أيضا ، عن خالد بن دينار ، قال: قال لنا أبو العالية: تعلّموا القرآن خمس آيات ، خمس آيات ، فإن النبىّ صلى الله عليه وسلم كان يأخذه من جبريل خمساً خمساً.

* * *

المسئلة الثانية : فى كيفية الإنزال والوحى :

قال الأصفهانىّ فى أوائل تفسيره : اتّفق أهلُ السنّة والجماعة على أن كلام الله منزّل. واختلفوا فى معنى الإنزال ، فمنهم من قال: إظهار القراءة، ومنهم من قال: إن الله تعالى ألهم كلامه جبريل وهو فى السّماء وهو عالٍ من المكان وعلّمه قراءته ، ثم جبريل أدّاه فى الأرض وهو يهبط فى المكان. وفى التنزيل طريقان: أحدهما أنّ النبىّ صلى الله عليه وسلم انخلع من صورة البشرية إلى صورة الملكيّة ، وأخذه من جبريل . والثانى أنّ الملك انخلع إلى البشرية حتى يأخذه الرسول منه ، والأوّل أصعب الحالين . انتهى .

وقال الطّيبىّ : لعلّ نزول القرآن على النبىّ صلى الله عليه وسلم أن يتلقفه الملك من الله تعالى تلقّفاً روحانياً ، أو يحفظه من اللّوح المحفوظ ، فينزل به إلى الرّسول ويلقيه عليه.

وقال القطب الرازىّ فى حواشى الكشاف : الإنزال لغةً بمعنى الإيواء ، وبمعنى تحريك الشىء من عُلوّ إلى أسفل ، وكلاهما لا يتحققان فى الكلام ، فهو مستعمَلٌ فيه

فى معنى مجازىّ ، فمن قال: القرآن معنى قائم بذات الله تعالى ، فإنزاله أن يوجِد الكلمات والحروف الدالّة على ذلك المعنى ويثبتها فى اللوح المحفوظ . ومَن قال : القرآن هو الألفاظ ، فإنزاله مجرّد إثباته فى اللوح ، وهذا المعنى مناسب لكونه منقولًا عن المعنيين اللّغويين . ويمكن أن يكون المراد بإنزاله إثباته فى السماء الدنيا بعد الإثبات فى اللّوح المحفوظ ، وهذا مناسب المعنى الثانى ، والمراد بإنزال الكتب على الرّسل أن يتلقّفها المَلَك من الله تلقّفًا روحيًّا أو يحفظها من اللوح المحفوظ ، وينزل بها فيلقيها انتهى .

وقال غيره : فى المنزل على النبىّ صلى الله عليه وسلم ثلاثة أقوال :

أحدها : أنه اللفظ والمعنى ، وأن جبريل حفظ القرآن من اللوح المحفوظ ونزل به . وذكر بعضهم أنّ أحرف القرآن فى اللوح المحفوظ ؛ كلّ حرف منها بقدر جبل قاف ، وأنّ تحت كلّ حرف منها معانٍ لا يحيط بها الا الله .

والثانى: أن جبريل إنما نزل بالمعانى خاصّة ، وأنه صلى الله عليه وسلم علم تلك المعانى وعبّر عنها بلغة العرب ، وتمسّك قائل هذا بظاهر قوله تعالى: ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ ﴾ (١) .

والثالث : أن جبريل ألقى إليه المعنى ، وأنه عبر بهذه الألفاظ بلغة العرب ، وأن أهل السماء يقرءونه بالعربيّة ، ثم إنه نزل به كذلك بعد ذلك .

وقال البيهقىّ فى معنى قوله تعالى: ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِى لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾ : يريد ـ والله أعلم: إنا أسمعنا الملك وأفهمناه إيّاه وأنزلناه بما سمع ، فيكون الملك منتقلا به من عُلوّ إلى أسفل .

قال أبو شامة: هذا المعنى مطّرد فى جميع ألفاظ الإنزال المضافة إلى القرآن أو إلى شىء منه يحتاج إليه أهل السنّة المعتقدون قِدَم القرآن وأنه صفة قائمة بذات الله تعالى .

قلت: ويؤيد أنّ جبريل تلقّفه سماعا من الله تعالى ما أخرجه الطّبرانىّ من حديث النّوّاس ابن سَمعان مرفوعا : إذا تكلّم الله بالوحى أخذت السماء رَجْفة شديدة من خوف الله ، فإذا

---

(١) سورة الشعراء : ١٩٤

سمع بذلك أهل السماء صعقوا وخرُّوا سجَّدًا، فيكون أوّلهم يرفع رأسَه جبريل فيكلِّمه الله من وحيه بما أراد، فينتهى به على الملائكة، فكلّما مرّ بسماء سأله أهلها: ماذا قال ربّنا؟ قال: الحقّ، فينتهى به حيث أُمِر».

وأخرج ابن مردويه من حديث ابن مسعود رفعه: «إذا تكلّم الله بالوحي سمع أهلُ السموات صلصلة كصلصلة السلسلة على الصَّفْوان، فيفزعون ويرَوْن أنه من أمر الساعة». وأصل الحديث فى الصحيح.

وفى تفسير علىّ بن سهل النيسابورىّ: قال جماعة من العلماء: نزل القرآن جملةً فى ليلة القَدْر من اللوح المحفوظ إلى بيتٍ يقال له بيت العزّة، فحفظه جبريل، وغُشى على أهلِ السموات من هيبة كلام الله، فمرّ بهم جبريل، وقد أفاقوا، فقالوا: ماذا قال ربّكم؟ قالوا: الحق — يعنى القرآن — وهو معنى قوله: ﴿حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ﴾(١) فأتى به جبريل إلى بيت العزّة، فأملاه على السَّفَرة الكتبة — يعنى الملائكة — وهو معنى قوله تعالى: ﴿بِأَيْدِى سَفَرَةٍ * كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾(٢).

وقال الجُوينىّ: كلام الله المنزّل قسمان: قسم قال لجبريل: قل للنبىّ الذى أنت مرسل إليه: إنّ الله يقول: افعل كذا وكذا، ففهِم جبريل ماقاله ربُّه، ثم نزل على ذلك النبىّ وقال له ماقاله ربُّه، ولم تكن العبارة تلك العبارة كما يقول المَلِك لمن يثق به: قل لفلان: يقول لك الملك: اجتهد فى الخِدْمة، واجمع جندك للقتال، فإن قال الرسول: يقول الملك لاتتهاون فى خدمتى ولا تترك الجند تتفرّق، وحثّهم على المقاتلة، لا ينسب إلى كذب ولا تقصيرٍ فى أداء الرسالة. وقسم آخر قال الله لجبريل: اقرأ على النبىّ هذا الكتاب، فنزل جبريل بكلمةٍ من الله من غير تغيير، كما يكتب الملك كتابا ويسلمه إلى أمين، ويقول: اقرأه على فلان، فهو لا يغيّر منه كلمة ولا حرفا. انتهى.

---

(١) سورة سبأ ٢٣

(٢) سورة عبس ١٥، ١٦

قلت: القرآن هو القسم الثانى، والقسم الأوّل هو السنّة، كما ورد أنّ جبريل كان ينزل بالسنّة كما ينزل بالقرآن. ومن هنا جاز رواية السنّة بالمعنى، لأنّ جبريل أدّاه بالمعنى، ولم تجز القراءة بالمعنى؛ لأنّ جبريل أدّاه باللفظ، ولم يبح له إيحاءه بالمعنى، والسرّ فى ذلك أنّ المقصود منه التعبّد بلفظه والإعجاز به، فلا يقدر أحد أنْ يأتىَ بلفظ يقوم مقامه، وإنّ تحت كل حرف منه معانِىَ لا يُحاط بها كثرة، فلا يقدِر أحدٌ يأتىَ بدلَه بما يشتمل عليه، والتخفيف على الأمّة حيث جُعل المنزّل إليهم على قسمين: قسم يروُونه بلفظه الموحَى به، وقسم يروونه بالمعنى؛ ولو جعل كله ممّا يروَى باللفظ لشقّ، أو بالمعنى لم يؤمَن التبديل والتحريف، فتأمّل.

وقد رأيت عن السَّلَف مايعضّد كلام الجُوينىّ.

وأخرج ابن أبى حاتم، من طريق عُقَيل عن الزّهرىّ، أنه سُئِل عن الوحى فقال: الوحى مايوحى الله إلى نبىّ من الأنبياء فيثبته فى قلبه، فيتكلّم به ويكتبه، وهو كلام الله، ومنه مالا يتكلّم به ولا يكتبه لأحدٍ، ولا يأمر بكتابته؛ ولكنه يحدّث به الناس حديثاً، ويبين لهم أنّ الله أمره أنْ يبيِّنه للناس ويبلِّغهم إياه.

* * *

فصلٌ

وقد ذكر العلماء للوحى كيفيات:

إحداها أن يأتيَه الملك فى مثل صلصلة الجرس كما فى الصحيح. وفى مسنَد أحمد عن عبدالله بن عمرو، سألت النبىّ صلى الله عليه وسلم: هل تحسّ بالوحى؟ فقال «أسمع صلاصل ثم أسكت عند ذلك، فما من مرّة يوحَى إلىّ إلا ظننتُ أنّ نفسى تقبض». قال الخطابىّ: والمراد أنه صوت متدارك يسمعه ولا يبيّن له أول مايسمعه حتى يفهمه بعد. وقيل: هو صوت خَفْق أجنحه الملك، والحكمة فى تقدمه أنّ يقرع سمعَه الوحى، فلا يُبقى فيه مكانا لغيره. وفى الصحيح أن هذه الحالة أشدّ حالات الوحى عليه، وقيل: إنه إنما كان ينزل هكذا إذ نزلت آية وعيد وتهديد.

(١) ط: «أن يفرغ سمعه للوحى».

الثانية : أن ينفث فى رُوعه الكلام نفثًا ، كما قال صلى الله عليه وسلم : « إن رُوح القدس نفث فى رُوعى » . أخرجه الحاكم . وهذا قد يرجع إلى الحالة الأولى أو التى بعدها ، بأن يأتيه فى إحدى الكيفيتين وينفث فى رُوعه .

الثالثة : أن يأتيه فى صورة الرّجل فيكلمه ، كما فى الصحيح : « وأحيانا يتمثّل لى الملَك رجُلاً فيكلّمنى فأعِى ما يقول » ، زاد أبو عوانة فى صحيحه : « وهو أهونه علىّ » .

الرابعة : أن يأتيه الملَك فى النَّوم ، وعَدّ من هذا قوم سورة الكوثر ، وقد تقدم ما فيه .

الخامسة : أنْ يكلّمه الله إمّا فى اليقظة كما فى ليلة الإسراء ، أو فى النوم ، كما فى حديث مُعاذ : « أتانى ربّى فقال : فيمَ يختصم الملأُ الأعلى ... » الحديث . وليس فى القرآن من هذا النوع شىء فيما أعلم ؛ نعم يمكن أن يُعدّ منه آخر سورة البقرة لما تقدّم ، وبعض سورة الضحى ، وألم نشرح ؛ فقد أخرج ابنُ أبى حاتم من حديث عدىّ بن ثابت ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « سألت ربى مسألة ، وددت أنى لم أكن سألته ؛ قلت : أىْ ربّ ، اتخذتَ إبراهيمَ خليلاً ، وكلّمتَ موسى تكليما ، فقال : يا محمد ، ألم أجدْكَ يتيماً فآويتُ ، وضالاًّ فهديتُ ، وعائلاً فأغنيتُ ، وشرحتُ لك صدْرَك ، وحططتُ عنك وِزْرك ، ورفعتُ لك ذكرك ، فلا أُذكَر إلا ذُكِرت معى ! » .

فائدة

أخرج الإمام أحمد فى تاريخه من طريق داود بن أبى هند ، عن الشعبىّ ، قال : أنزل على النبىّ صلى الله عليه وسلم النبوّة وهو ابن أربعين سنة ، فقرن بنبوته إسرافيل ثلاث سنين ، فكان يعلّمه الكلمة والشىء ، ولم ينزل عليه القرآن على لسانه ، فلما مضت ثلاث سنين قرن بنبوّته جبريل ، فنزل عليه القرآن على لسانه عشرين سنة

قال ابن عسكر : والحكمة فى توكيل إسرافيل أنّه الموكّل بالصُّور الذى فيه هلاك الخلق وقيام الساعة ، ونبوّته صلى الله عليه وسلم مؤذِنة بقرب الساعة وانقطاع الوحى ،

كما وكّل بذى القرنين رَيافيل الذى يطوى الأرض بخالد بن سنان مالك خازن النار .

وأخرج ابن أبى حاتم ، عن ابن سابط ،قال : «فى أمّ الكتاب كلّ شىء هو كائن إلى يوم القيامة فوكّل ثلاثة بحفظه [١] من الملائكة ، فوكّل جبريل بالكتب والوحى إلى الأنبياء وبالنّصر عند الحروب وبالمهلكات إذا أراد الله أن يهلك قوماً ، ووكّل ميكائيل بالقطر والنّبات ، ووكّل ملَك الموت بقبض الأنفس ، فإذا كان يوم القيامة عارضوا بين حفظهم وبين ما كان فى أمّ الكتاب فيجدونه سواءً » .

وأخرج أيضا عن عطاء بن السائب ، قال : أوّل ما يحاسَب جبريل ، لأنه كان أمين الله على رسله .

فائدة ثانية

أخرج الحاكم والبيهقىّ عن زيد بن ثابت ، أنّ النبىّ صلّى الله عليه وسلم قال : أنزل القرآن بالتفخيم كهيئته ﴿عُذْرًا أَوْ نُذْرًا﴾ [٢] ، و﴿الصَّدَفَيْنِ﴾ [٣] ، و﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [٤] ، وأشباه هذا . قلت : أخرجه ابنُ الأنبارى فى كتاب الوقف والابتداء ؛ فبيّن أن المرفوع منه أنزل القرآن بالتفخيم فقط ، وأن الباقىَ مدرَجٌ من كلام عمار بن عبد الملك أحد رواة الحديث [٥] .

فائدة أخرى

أخرج ابن أبى حاتم ، عن سفيان الثورىّ ، قال : لم ينزل وحى إلا بالعربية ، ثم ترجم كلُّ نبىّ لقومه .

فائدة أخرى

أخرج ابن سعد عن عائشة ، قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نزل

---

(١) بعدها فى ط : « إلى يوم القيامة » .
(٢) سورة المرسلات ٦
(٣) سورة الكهف ٩٦
(٤) سورة الأعراف ٥٤
(٥) عمار بن عبد الملك ، ذكره ابن حجر فى لسان الميزان ٤ : ٢٧٢ ، وقال : « عن بقية ، أتى بالعجائب ، وقال الأزدى : « متروك الحديث » .

عليه الوحي يغطّ في رأسه ، ويتربّد وجهه ، ويجد بَرْداً في ثناياه ، ويعرق حتى يتحدّر منه مثل الجمان.

* * *

المسئلة الثالثة : في الأحرف السبعة التي نزل القرآن عليها .

قلت: ورد حديث « نزل القرآن على سبعة أحرف » من رواية جَمْع من الصحابة : أُبَيّ بن كعب، وأنس، وحُذيفة بن اليمان ، وزيد بن أرقم ، وسَمُرة بن جُندَب ، وسليمان ابن صُرَد ، وابن عباس ، وابن مسعود ، وعبد الرحمن بن عوف ، وعثمان بن عفان ، وعمر بن الخطاب ، وعمرو بن أبي سلمة ؛ وعمرو بن العاص ؛ ومُعاذ بن جبل ؛ وهشام ابن حكيم ، وأبي بَكْرة ، وأبي جهم ، وأبي سعيد الخُدْريّ ، وأبي طلحة الأنصاريّ ، وأبي هريرة، وأم أيوب . فهؤلاء أحدٌ وعشرون صحابيا، وقد نص أبو عبيد على تواتره .

وأخرج أبو يعلَى في مسنده ، أنّ عثمان قال على المنبر : أذكّر الله رجلاً سمع النبي صلى الله عليه وسلم قال: « إن القرآن أنزل على سبعة أحرف كلّها شافٍ كافٍ » لَمَا قام، فقاموا حتى لم يُحْصَوْا ، فشهدوا بذلك ، فقال: وأنا أشهد معهم .

* * *

[اختلاف الأقوال في نزول القرآن على سبعة أحرف]

وسأسوق من رواتهم ما يحتاج إليه فأقول : اختُلف في معنى هذا الحديث على نحو أربعين قولاً :

أحدها : أنّه من المشكل الذي لا يُدرَى معناه، لأنّ الحرف يصدُق لغةً على حرف الهجاء ، وعلى الكلمة ، وعلى المعنى ، وعلى الجهة . قاله ابن سعدان النحويّ .

الثاني : أنه ليس المراد بالسبعة حقيقة العدد ، بل المراد التيسير والتسهيل والسَّعة ولفظ « السبعة » يطلق على إرادة الكثرة في الآحاد ، كما يطلق السبعون في العشرات والسبعمائة في المئين ، ولا يراد العدد المعيّن . وإلى هذا جنح عياض ومَنْ تبعه. ويردُّه ما في حديث ابن عباس في الصحيحين، أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال : « أقرأني جبريل على

حرف، فراجعته فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف»، وفي حديث أُبيّ عند مسلم: «إنّ ربي أرسل إليّ أن أقرأ القرآن على حرفٍ فرددتُ إليه: أن هوِّنْ على أمتي، فأرسل إليّ: أن اقرأ على حرفين، فرددت إليه: أن هوِّن على أمتي، فأرسل إليّ أن اقرأه على سبعة أحرف».

وفي لفظ عنه عند النّسائيّ: «إن جبريل وميكائيل أتياني، فقعد جبريل عن يميني وميكائيل عن يساري، فقال جبريل: اقرأ القرآن على حرف، فقال ميكائيل: استزده ... حتى بلغ سبعة أحرف»، وفي حديث أبي بَكْرة عنه: «فنظرت إلى ميكائيل فسكت، فعلمت أنه قد انتهت العدّة». فهذا يدلّ عن إرادة حقيقة العدد وانحصاره.

- الثالث: أن المراد بها سبع قراءات، وتُعقِّب بأنه لا يوجد في القرآن كلمة تقرأ على سبعة أوجه إلا القليل، مثل ﴿عَبَدَ الطاغوت﴾[1]، و﴿فلا تقل لهما أفٍّ﴾[2].

- [الرابع]. وأجيب بأنّ المراد أنّ كلّ كلمة تقرأ بوجه أو وجهين أو ثلاثة أو أكثر إلى سبعة، ويشكل على هذا أن في الكلمات ما قرئ على أكثر، وهذا يصلح أن يكون قولاً رابعاً.

- الخامس: أن المراد بها الأوجه التي يقع بها التغاير؛ ذكره ابن قُتيبة قال: فأوّلها ما يتغير حركته ولا يزول معناه ولا صورته مثل: ﴿ولا يضارّ كاتبٌ﴾[3] بالفتح والرفع، وثانيها ما يتغيّر بالفعل مثل ﴿بَاعَدَ﴾ و﴿بَاعِدْ﴾[4] بلفظ الماضي والطلب، وثالثها ما يتغير بالنقط مثل ﴿نُنْشِزُهَا﴾[5] و﴿نَنْشُرُها﴾، ورابعها ما يتغيّر بإبدال حرف قريب المخرج مثل ﴿طَلْحٍ مَنْضُودٍ﴾ و﴿طَلْعٍ﴾[6]، وخامسها ما يتغيّر بالتقديم والتأخير، مثل: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ﴾[7] و﴿سكرة الحقّ بالموت﴾، وسادسها ما يتغيّر بزيادة أو نقصان مثل: ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالأنثى﴾[8]، و﴿الذَّكَرِ والأنثى﴾، وسابعها ما يتغيّر بإبدال كلمة بأخرى، مثل ﴿كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ﴾ و﴿كالصوف المنفوش﴾[9].

وتعقّب هذا قاسم بن ثابت، بأنّ الرّخصة وقعت، وأكثرهم يومئذٍ لا يكتب ولا يعرف

(١) سورة المائدة ٦٠، وانظر تفسير القرطبي ٦: ٢٣٥ (٢) سورة الإسراء ٢٣، وانظر تفسير القرطبي ١٠: ٢٤٣

(٣) سورة البقرة ٢٨٢ وانظر تفسير القرطبي ٣: ٤٠٥

(٤) سورة سبأ ١٩، وانظر تفسير القرطبي ١٤: ٢٩١ (٥) سورة البقرة ٢٥٩، وانظر تفسير القرطبي ٣: ٢٩٥

(٦) سورة الواقعة ٢٩، وانظر تفسير القرطبي ١٧: ٢٠٨ (٧) سورة ق ١٩، وانظر تفسير القرطبي ١٧: ١٢

(٧) سورة الليل ٣، وانظر تفسير القرطبي ٢٠: ٨٠ (٩) سورة القارعة ٥

الرّسم ، وإنما كانوا يعرفون الحروف ومخارجها : ، وأجيب بأنه لايلزم من ذلك توهين ماقاله ابن قُتيبة ، لاحتمال أن يكون الانحصار المذكور فى ذلك وقع اتّفاقاً ، وإنما اطُّلع عليه بالاستقراء .

[السادس] : وقال أبو الفضل الرازىّ فى اللوائح : الكلام لايخرج عن سبعة أوجه فى الاختلاف : الأوّل : اختلاف الأسماء من إفراد وتثنية وجمع ، وتذكير وتأنيث . الثانى : اختلاف تصريف الأفعال من ماض ومضارع وأمر . الثالث : وجوه الأعراب . الرابع : النقص والزيادة . الخامس : التقديم والتأخير . السادس : الإبدال . السابع : اختلاف اللغات كالفتح والإمالة ، والترقيق والتفخيم ، والإدغام والإظهار ونحو ذلك ، وهذا هو القول السادس .

[السابع] : وقال بعضهم : المراد بها كيفيّة النطق بالتلاوة من إدغام وإظهار وتفخيم وترقيق ، وإمالة وإشباع ، ومدّ ، وقصر وتشديد وتخفيف وتليين وتحقيق ، وهذا هو القول السابع .

[الثامن] : وقال ابن الجزرىّ : قد تتبعتُ صحيح القراءة وشاذّها وضعيفها ومنكَرَها فإذا هى يرجع اختلافها إلى سبعة أوجه ، لايخرج عنها ، وذلك إما فى الحركات بلا تغيّر فى المعنى والصورة نحو ﴿ بِالْبُخْلِ ﴾ [1] بأربعة ويحسب بوجهين ، أو متغيّر فى المعنى فقط ، نحو : ﴿ فتلقى آدمُ من ربه كَلِمَاتٍ ﴾ [2] ، وإمّا فى الحروف بتغيّر المعنى لا الصورة ، نحو ﴿ تَبْلُو ﴾ [3] و﴿ تتلو ﴾ ، أو عكس ذلك نحو ، ﴿ الصراط ﴾ و﴿ السراط ﴾ [4] أو بتغيّرهما نحو ﴿ وامْضُوا ﴾ [5] ﴿ واسْعَوْا ﴾ ، وإما فى التقديم والتأخير ، نحو ﴿ فَيَقْتُلُون ويُقْتَلُونَ ﴾ [6] ، أو فى الزيادة والنقصان ، نحو ﴿ ووَصّى ﴾ [7] و﴿ أَوْصَى ﴾ ، فهذه سبعة لايخرج الاختلاف عنها . قال : وأمّا نحو اختلاف الإظهار والإدغام والرّوم والإشمام والتّحقيق والتسهيل والنّقل والإبدال فهذا ليس من الاختلاف الذى يتنوّع فيه اللفظ أو المعنى ، لأن هذه الصفات المتنوعة فى أدائه لاتخرجه عن أن يكون لفظا واحدا

---

(١) سورة النساء ٣٧ (٢) سورة البقرة ٣٧ (٣) سورة يونس ٣٠
(٤) سورة الفاتحة ٦ (٥) سورة الحجر ٦٥
(٦) سورة التوبة ١١١ ، وفى تفسير القرطبى ٨ : ٢٦٨ : « قرأ النخعى والأعمش وحمزة والكسائى وخلف بتقديم المفعول على الفاعل » . (٧) سورة البقرة ١٣٢ وانظر تفسير القرطبى ٢ : ١٣٥

انتهى. وهذا هو القول الثامن. ومن أمثلة التقديم والتأخير قراءة الجمهور ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ (١) ، وقرأ ابن مسعود: ﴿على قلبِ كلّ متكبر﴾ (٢).

التاسع : أنّ المراد سبعة أوجه من المعانى المتفقة بألفاظ مختلفة، نحو أقبلْ ، وتعالَ، وهلمّ وعجّلّ ، وأسرع، وإلى هذا ذهب سفيان بن عُيينة وابن جَرير وابن وهب وخلائق . ونسبه ابن عبد البرّ لأكثر العلماء، ويدلّ له ماأخرجه أحمد والطّبرانىّ من حديث أبى بكْرة «أن جبريل قال: يامحمد اقرأ القرآن على حرف ، قال ميكائيل : استزده ... حتى بلغ سبعة أحرف ، قال : كلٌّ شافٍ كافٍ ، مالم تختم آية عذاب برحمة أو رحمة بعذاب ، نحو قولك: تعالَ، وأقبل وهلمّ واذهب وأسرع وعجّل». هذا اللفظ رواية أحمد، وإسناده جيد . وأخرج أحمد والطّبرانىّ أيضا عن ابن مسعود نحوه . وعند أبى داود عن أُبَىٍّ : «قلت : سميعا عليما عزيزا حكيما، مالم تخلط آية عذاب برحمة أو آية رحمة بعذاب ».

وعند أحمد من حديث أبى هريرة: «أنزِل القرآن على سبعة أحرف. عليما حكيما غفورا رحيما» وعنده أيضا من حديث عمر: «أنّ القرآن كلّه صواب، مالم تجعل مغفرة عذابا أو عذابا مغفرة » أسانيدها جياد .

قال ابن عبد البرّ : إنّما أراد بهذا ضرب المثل للحروف الّتى نزل القرآن عليها، إنها معانٍ متّفق مفهومها ، مختلف مسموعها ، لايكون فى شىء منها معنى وضدّه ، ولا وجه يخالف معنى وجه ، خلافا ينفيه ويضاده ، كالرحمة التى هى خلاف العذاب وضدّه . ثم أسند عن أبىّ بن كعب أنه كان يقرأ: ﴿كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُم مَّشَوْا فِيهِ﴾ (٣) «مرّوا فيه ، «سعوا فيه» ، وكان ابن مسعود يقرأ: ﴿للّذين آمنوا انظرونا﴾ (٤) ، أمهلونا أخّرونا .

قال الطحاوىّ : وإنّما كان ذلك رُخصة ، لمّا كان يتعسر على كثير منهم التلاوة

---

(١) سورة غافر ٣٥
(٢) انظر النشر ١ : ٢٦
(٣) سورة البقرة ٢٠
(٤) سورة الحديد ١٣

بلفظ واحد لعدم علمهم بالكتابة والضبط وإتقان الحفظ ، ثم نُسِخ بزوال العذر وتيسّر الكتابة والحفظ . وكذا قال ابن عبد البرّ والباقلاني وآخرون .

وفى فضائل أبى عبيد من طريق عَوْن بن عبد الله، أنّ ابن مسعود أقرأ رجلاً: ﴿ إنّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ * طَعَامُ الأثِيمِ ﴾ (١) فقال الرجل : « طَعَامُ الْيَتِيم » فردّها فلم يستقم بها لسانه، فقال : أتستطيع أن تقول : طعام الفاجر؟ قال: نعم ، قال : فافعل .

القول العاشر : إنّ المراد سبع لغات، وإلى هذا ذهب أبو عبيد وثعلب الأزهرىّ وآخرون، واختاره ابن عطيّة ، وصححه البيهقىّ فى الشُّعب. وتُعُقِّبَ بأن لغات العرب أكثر من سَبْعة ، وأجيب بأنّ المراد أفصحُها ، فجاء عن أبى صالح ، عن ابن عباس ، قال: نزل القرآن على سبع لغات ؛ منها خمس بلغة العجز من هوازِن. قال: والعجُز: سعد بن بكر وجُشَم بن بكر ونصر بن معاوية وثَقيف، وهؤلاء كلّهم من هوازِن. ويقال لهم: عِليا هوازن ولهذا قال أبو عمرو بن العلاء : أفصح العرب عُلْيا هَوازن وسُفْلَى تميم — يعنى بنى دارم .

وأخرج أبو عُبيد من وجه آخر، عن ابن عباس ، قال : نزل القرآن بلغة الكعبيّن : كعب قريش وكعب خُزَاعة، قيل، وكيف ذاك؟ قال : لأنّ الدار واحدة — يعنى أنّ خُزاعة كانوا جيران قريش فسُهلَتْ عليهم لغتهم .

وقال أبو حاتم السجستانىّ: نزل بلغة قريش وهُذيل وتميم والأزْد وَربيعة وهوازن وسعد بن بكر ؛ واستنكر ذلك ابن قتيبة وقال : لم ينزل القرآن إلاّ بلغة قريش ، واحتج بقوله تعالى: ﴿ وَمَاأَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إلاّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ ﴾، (٢) فعلى هذا تكون اللغات السبع فى بطون قريش ؛ وبذلك جزم أبو علىّ الأهوازىّ .

وقال أبو عبيد :ليس المراد أنّ كلّ كلمة تقرأ على سبع لغات، بل اللغات السبع مفرّقة

---

(١) سورة الدخان ٤٣ ، ٤٤ (٢) سورة إبراهيم ٤

فيه ؛ فبعضه بلغة قريش، وبعضه بلغة هُذيل ، وبعضه بلغة هوازن، وبعضه بلغة اليمن وغيرهم. قال : وبعض اللغات أسعد بها من بعض ، وأكثر نصيبا .

وقيل: نزل بلغة مضر خاصّة ، لقوله عمر : نزل القرآن بلغة مُضر . وعيّن بعضُهم. فيما حكاه — ابن عبد البرّ السبع من مُضر أنّهم هُذيل وكنانة وقيس وضبّة وتيم الرِّباب وأسد ابن خزيمة وقريش ؛ فهذه قبائل مُضر، تستوعب سبع لغات .

ونقل أبو شامة عن بعض الشيوخ ، أنه قال: أُنزل القرآن أوّلاً بلسان قريش ومَنْ جاورهم من العرب الفصحاء ، ثم أبيح للعرب أن يقرءوه بلغاتهم التى جرت عادتهم باستعمالها على اختلافهم فى الألفاظ والإعراب، ولم يكلّف أحد منهم الانتقال عن لغته إلى لغة أخرى للمشقّة، ولَما كان فيهم من الحميّة ، ولطلب تسهيل فهم المراد .

وزاد غيره، أنّ الإباحة المذكورة لم تقع بالتشهّى، بأنْ يغيِّر كلٌّ أحد الكلمة بمرادفها فى لغته بل المرعىّ فى ذلك السماع من النبىّ صلّى الله عليه وسلّم .

واستشكل بعضهم هذا بأنه يلزم عليه أنّ جبريل كان يلفظ باللفظ الواحد سبع مرات!

وأجيب بأنّه إنّما يلزم هذا لو اجتمعت الأحرف السبعة فى لفظ واحد ، ونحن قلنا: كان جبريل يأتى فى كل عَرْضةٍ بحرف، إلى أن تمّتْ سبعة . وبعد هذا كله رُدَّ هذا القول بأنّ عمر بن الخطاب وهشام بن حكيم، كلاهما قرشىّ من لغةٍ واحدة وقبيلة واحدة ،وقد اختلف قراءتهما، ومحال أن ينكر عليه عمرُ لغتَه ، فدلّ على أنّ المراد بالأحرف السبعة غير اللّغات .

القول الحادى عشر : أنّ المراد سبعة أصناف، والأحاديثُ السابقة تردّه ، والقائلون به اختلفوا فى تعيين السّبعة: فقيل: أمر ونهى، وحلال وحرام ، ومحكم ومتشابه ، وأمثال . واحتجّوا بما أخرجه الحاكم والبيهقىّ عن ابن مسعود عن النبىّ صلّى الله عليه وسلم، قال: «كان الكتاب الأوّل ينزل من باب واحدٍ على حرف واحد، ونزل القرآن من سبعة أبوابٍ على سبعة أحرف : زاجر وآمر ، وحلال وحرام ، ومُحكَم ومتشابه ،وأمثال ...» الحديث.

وقد أجاب عنه قوم ؛ بأنه ليس المراد بالأحرف السبعة التى تقدم ذكرها فى الأحاديث

الأخرى ؛ لأنّ سياق تلك الأحاديث يأبى حملها على هذا ، بل هى ظاهرة فى أنّ المراد أن الكلمة تقرأ وعلى جهين وثلاثة إلى سبعة؛ تيسيرا وتهوينًا ، والشيء الواحد لا يكون حلالاً حراما فى آية واحدة .

قال البيهقىّ : المراد بالسبعة الأحرف هنا الأنواع التى نزل عليها ، والمراد بها فى تلك الأحاديث اللغات التى يُقرأ بها. وقال غيره: مَن أوّل الأحرف السبعة بهذا ، فهو فاسد؛ لأنّه محال أنْ يكون الحرف منها حراماً لا ماسواه،أو حلالا لا ماسواه،ولأنه لايجوز أن يكون القرآن يُقرأ على أنّه حلال كله ، أوحرام كله ، أو أمثال كله.

وقال ابن عطية :هذا القول ضعيف ؛لأن الإجماع على أنّ التوسعة لم تقع فى تحريم حلال ولا تحليل حرام ، ولا فى تغيير شيء من المعانى المذكورة .

وقال الماوردىّ: هذا القول خطأ،لأنّه صلى الله عليه وسلم أشار إلى جواز القراءة بكلٍّ واحد من الحروف وإبدال حرف بحرف ؛ وقد أجمع المسلمون على تحريم إبدال آية أمثالٍ بآية أحكام .

وقال أبو علىّ الأهوازىّ وأبو العلاء الهمدانىّ : قوله فى الحديث: «زاجر وآمر» الخ استئناف كلام آخر ، أى هو زاجر ، أى القرآن ، ولم يرد به تفسير الأحرُف السبعة، وإنما توهم ذلك من جهة الاتفاق فى العدد ؛ ويؤيده أن فى بعض طرقه زجراً وأمرا ؛ بالنصب ، أى نزل على هذه الصفة فى الأبواب السبعة .

وقال أبو شامة : يحتمل أن يكون التفسير المذكور للأبواب ، لا للأحرف ، أى هى سبعة أبواب من أبواب الكلام وأقسامه ، أى أنزله الله على هذه الأصناف ، لم يقتصره منها على صنف واحد كغيره من الكتب .

[الثانى عشر] :وقيل:المراد بها المطلَق والمقيّد ، والعامّ والخاصّ ، والنصّ والمؤوّل، والناسخ والمنسوخ ، والمجمل والمفسّر ، والاستثناء وأقسامه . حكاه شيذلة عن الفقهاء، وهذا هو القول الثانى عشر .

[الثالث عشر] : وقيل المراد بها : الحذف والصّلة، والتقديم والتأخير، والاستعارة ،

والتكرار، والكناية والحقيقة و المجاز ، والمجمَل والمفسّر ، والظاهر والغريب . حكاه عن أهل اللغة ؛ وهذا هو الثالث عشر .

[الرابع عشر]: وقيل : المراد بها التذكير والتأنيث ،والشّرط والجزاء، والتصريف والإعراب، والأقسام وجوابها، والجمع والإفراد، والتصغير والتعظيم ، واختلاف الأدوات. حكاه عن النحاه ،وهذا هو الرابع عشر .

[الخامس عشر] : وقيل المراد بها سبعة أنواع من المعاملات : الزهد والقناعة مع اليقين والجزم ، والخدمة مع الحياء والكرم ، والفتوّة مع الفقر والمجاهدة والمراقبة مع الخوف والرجاء ، والتضرّع والاستغفار مع الرضا والشكر ، والصبر مع المحاسبة والمحبّة ، والشوق مع المشاهدة ؛ حكاه عن الصوفيّة وهذا هو الخامس عشر .

القول السادس عشر : إنّ المراد بها سبعة علوم: علم الإنشاء والإيجاد ، وعلم التوحيد والتنزيه ، وعلم صفات الذّات ، وعلم صفات الفعل ، وعلم العفو والعذاب ، وعلم الحشر والحساب ، وعلم النبوّات [١] .

* * *

وقال ابن حجر : ذكر القُرطبي عن ابن حبّان [١] ، أنه بلغ الاختلاف فى الأحرف السبعة إلى خمسة وثلاثين قولا ، ولم يذكر القرطبيّ منها سوى خمسة، ولم أقف على كلام ابن حبّان [٢] فى هذا بعد تتبّعى مظانه .

قلت : قد حكاه ابنُ النَّقيب فى مقدّمة تفسيره عنه بواسطة الشرف المُزنيّ المرسىّ . فقال : قال ابن حبّان. اختلف أهل العلم فى معنى الأحرف السبعة على خمسة وثلاثين قولا :

فمنهم من قال : هى زجر وأمر ، وحلال وحرام ، ومحكم ومتشابه، وأمثال .

الثانى : حلال وحرام ، وأمر ونهى وزجر ، وخبر ماهو كائن بَعْدُ ،وأمثال.

---

(١) لم يذكر المؤلف سوى هذه الأقوال ، وذكر فى ص ١٣١ أنها بلغت أربعين ...

(٢) هو أبو حاتم محمد بن حبان البستى ، كما فى تفسير القرطبي ١ : ٤٢

. الثالث : وعد ووعيد ، وحلال وحرام ، ومواعظ وأمثال ، واحتجاج .

الرابع : أمر ونهى ،وبشارة ونذارة ،وأخبار، وأمثال .

الخامس : محكم ومتشابه ، وناسخ ومنسوخ ، وخصوص وعموم ، وقصص .

السادس : أمر وزجْر، وترغيب وترهيب ، وجَدَل وقَصَص ، ومثل .

السابع : أمر ونهى ،وحدّ وعلم ، وسرّ ، وظهر وبطن .

الثامن : ناسخ ومنسوخ ، ووعد ووعيد ، ورغم وتأديب ، وإنذار .

التاسع : حلال وحرام ، وافتتاح وأخبار ، وفضائل،وعقوبات.

العاشر : أوامر وزواجر وأمثال وأنباء ، وعتب ووعظ وقصص .

الحادى عشر : حلال وحرام وأمثال ، ومنصوص ،وقصص وإباحات .

الثانى عشر : ظهر وبطن ، وفرض وندب ، وخصوص وعموم وأمثال .

الثالث عشر : أمر ونهى ، ووعد ووعيد ،وإباحة ، وإرشاد، واعتبار .

الرابع عشر : مقدّم ومؤخّر، وفرائض وحدود ، ومواعظ ،ومتشابه ، وأمثال .

الخامس عشر : مفسَّر ومجمَل ، ومقضىّ ونَدْب وحتم ، وأمثال .

السادس عشر : أمر حتم وأمر ندب ، ونهى حتْم ونهى ندب ،وأخبار وإباحات .

السابع عشر : أمر فرض ونهى حتم وأمر ندب ونهى مرشد،ووعد ووعيد،وقصص.

الثامن عشر : سبع جهات لا يتعدّاها الكلام: لفظ خاصّ أريد به الخاصّ، ولفظ عام أريد به العامّ ، ولفظ عامّ أريد به الخاصّ ، ولفظ خاصّ أريد به العامّ ، ولفظ يستغنَى بتنزيله عن تأويله ، ولفظ لا يعلَم فقهه إلاّ العلماء ،ولفظ لا يعلم معناه إلا الراسخون .

التاسع عشر : إظهار الربوبيّة، وإثبات الوحدانية ، وتعظيم الألوهيّة،والتعبدلله ، ومجانبة الإشراك ، والترغيب فى الثواب ، والترهيب من العقاب .

العشرون : سبع لغات ، منها خمس من هوازن ، واثنتان لسائر العرب .

الحادى والعشرون : سبع لغات متفرّقة لجميع العرب ، كلّ حرفٍ منها لقبيلة مشهورة .

الثانى والعشرون : سبع لغات، أربع لعجز هوازن : سعد بن بكر وجُشَم بن بكر ونصْر بن معاوية ، وثلاث لقريش .

الثالث والعشرون : سبع لغات: لغة قريش ، ولغة لليمن ، ولغة لجُرْهُم ، ولغة لهوازن ، ولغة لقُضَاعة ، ولغة لتميم ، ولغة لطيّئ .

الرابع والعشرون : لغة الكعبْيين: كعب بن عمرو ، كعب بن لؤىّ ، ولهما سبع لغات.

الخامس والعشرون: اللغات المختلفة لأحياء العرب فى معنًى واحد، مثل هلمّ وهات وتعال وأقبل.

السادس والعشرون : سبع قراءات لسبعة من الصحابة : أبى بكر ، وعمر وعثمان وعلىّ ، وابن مسعود ، وابن عباس ، وأُبىّ بن كعب ، رضى الله تعالى عنهم .

السابع والعشرون : همز، وإمالة، وفتح وكسر ، وتفخيم، ومدّ ، وقصر.

الثامن والعشرون : تصريف ومصادر ، وعروض غريب وسجْع ، ولغات مختلفة كلّها فى شىء واحد .

التاسع والعشرون : كلمة واحدة تُعْرَب بسبعة أوجه ، حتى يكون المعنى واحدًا، وإن اختلف اللفظ فيه .

الثلاثون: أمّهات الهجاء :والألف ، والباء ، الجيم، الدال ، والراء ، والسين ، والعين. لأن عليها تدور جوامع كلام العرب .

الحادى والثلاثون : أنها فى أسماء الربّ ، مثل : الغفور الرحيم ، السميع البصير ، العليم الحكيم .

الثانى والثلاثون : هى آية فى صفاتِ الذات ، آية تفسيرُها فى آية أخرى ، وآية بيانها

فى السنة الصحيحة ، وآية فى قصّة الأنبياء والرّسل ، وآية فى خلْق الأشياء ، وآ ية فى وصف الجنّة وآية فى وصف النار .

الثالث والثلاثون : آية فى وصف الصانع ، وآية فى إثبات الوحدانيّة له ، وآية فى إثبات صفاته ، وآية فى إثبات رسله ، وآية فى إثبات كتبه ، وآية فى إثبات الإسلام ، وآية فى نفى الكفر .

الرابع والثلاثون : سبع جهات من صفات الذات لله التى لا يقع عليها التكييف .

الخامس والثلاثون : الإيمان بالله ، ومباينة الشِّرْك ، وإثبات الأوامر ، ومجانبة الزّواجر ، والثبات على الإيمان ، وتحريم ما حرم الله ، وطاعة رسوله .

قال ابن حِبّان : فهذه خمسة وثلاثون قولا لأهل العلم واللغة فى معنى إنزال القرآن على سبعةِ أحرف ، وهى أقاويل يشبه بعضُها بعضا وكلها محتمله وتحتمل غيرها .

وقال المرسى: هذه الوجوه أكثرها متداخلة ولا أدرى مستنده ولا عمّن نُقلت ، ولا أدرى لم خصّ كل واحد منهم هذه الأحرف السبعة بما ذكر؛ مع أنّ كلها موجودة فى القرآن، فلا أدرى معنى التخصيص ! وفيها أشياء لا أفهم معناها على الحقيقة وأكثرها يعارضُه حديث عمر مع هشام بن حكيم الّذى فى الصحيح، فإنّهما لم يختلفا فى تفسيره ولا أحكامه ، إنما اختلفا فى قراءة حروفه ، وقد ظنّ كثير من العوام أن المراد بها القراءات السبعة، وهو جهل قبيح .

* * *

تنبيه

اختُلف: هل المصاحف العثمانية مشتملة على جميع الأحرف السبعة ؟ فذهب جماعات من الفقهاء والقراء والمتكلمين إلى ذلك ، وبنوْا عليه أنّه لا يجوز على الأمّة أن تهمل نقلَ شئ منها ، وقد أجمع الصحابه على نقل المصاحف العثمانية من الصحف الّتى كتبها أبو بكر ، وأجمعوا على ترك ما سوى ذلك .

وذهب جماهير العلماء من السلف والخلف وأئمة المسلمين، إلى أنها مشتملة على ما يحتمل

رسمها من الأحرف السبعة فقط ، جامعة للعرْضة الأخيرة التى عَرضَها النبىّ صلى الله عليه وسلم على جبريل ، متضمّنة لها لم تترك حرفاً منها .

قال ابن الجزرىّ : وهذا هو الذى يظهر صوابه .

، ويجاب عن الأول بما ذكره ابن جرير، أن القراءة على الأحرف السبعة لم تكن واجبة على الأمّة،وإنما كان جائزاً لهم ومرخّصا لهم فيه، فلما رأى الصحابة أنّ الأمة تفترق وتختلف إذا لم يجتمعوا على حرف واحد ، اجتمعوا على ذلك اجتماعا شائعاً ، وهم معصومون من الضلالة ، ولم يكن فى ذلك ترك واجب ولافعل حرام ، ولاشك أنّ القرآن نسخ منه فى العَرْضة الأخيرة وغُيِّر ، فاتفق الصحابة على أن كتبوا ماتحقّقوا أنه قرآن مستقرّ فى العَرْضة الأخيرة ، وتركوا ماسوى ذلك .

أخرج ابن أشتة فى المصاحف وابن أبى شيبة فى فضائله ، من طريق ابن سِيرين عن عبيدة السَّلْمانّى ، قال : القراءة التى عُرضت على النّبىّ صلى الله عليه وسلم فى العام الذى قبِض فيه، هى القراءةالتى يقرؤها النّاس اليوم .

وأخرج ابن أشتة ، عن ابن سِيرين ، قال : كان جبريل يعارِض النبىّ صَلّى الله عليه وسلم كلّ سنة فى شهر رمضان [مرة][1]، فلمّا كان العام الذى قبِض فيه عارضه مرتين ، فيروْن أن تكون قراءتنا هذه على العَرْضة الأخيرة .

وقال البغوىّ فى شرح السنة: يقال إنّ زيدبن ثابت شهد العَرْضة الأخيرة التى بيّن فيها ما نُسِخ وما بَقِىَ، وكتبها لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقرأها عليه،وكان يقرىء الناس بها حتى مات ،ولذلك اعتمده أبو بكر وعمر فى جَمْعه ، وولّاه عثمان كَتْب المصاحف.

---

(١) من ط

النوع السابع عشر
في معرفة أسمائه وأسماء سوره

قال الجاحظ: سمّى الله كتابه اسما مخالفا لما سمّى العربُ كلامَهم على الجُمَل التفصيل · سمّى جملته قرآنا ، كما سمّوا ديوانا ، وبعضه سورة كقصيدة ، وبعضها آية كالبيت ، وآخرها فاصلة كقافية .

وقال أبو المعالي عُزيزي بن عبد الملك المعروف بشَيْذَلَة [١] في كتاب البُرْهان : اعلم أن الله سمى القرآن بخمسة وخمسين اسما :

سماه كتابا ومُبينا في قوله : ﴿ حم * والكتابِ المبين ﴾ [٢] .

وقرآنا وكريما : ﴿ إنّهُ لقرآنٌ كريمٌ ﴾ [٣] .

وكلاما : ﴿ حتّى يسمعَ كلامَ اللهِ ﴾ [٤] .

ونورا : ﴿ وأنزلنا إليكمْ نورا مبينا ﴾ [٥] .

وهدًى ورحمةً : ﴿ هدًى ورحمةٌ للمؤمنين ﴾ [٦] .

وفرقانا : ﴿ نزّلَ الفُرْقانَ عَلَى عبدِهِ ﴾ [٧] .

وشفاء : ﴿ ونُنزِّلُ من القُرْآنِ ماهو شفاءٌ ﴾ [٨] .

وموعظة : ﴿ قدجاءتْكُمْ موعِظَةٌ من ربِّكُمْ وشفَاءٌ لِمَا في الصُّدور ﴾ [٩] .

---

(١) ط : « سيدلة » بالسين ، تصحيف ، وشيذلة ، ضبطها ضبط ابن خلكان « بفتح الشين والذال واللام » . وقال : « وهو لقب عليه ، ولا أعرف معناه مع كشفي عنه » . وعزيزي ، ضبطاً أيضاً بفتح العين وزاءين ، وهو ابن عبد الله أحد فقهاء الشافعية وصاحب كتاب البرهان في مشكلات القرآن. توفى سنة ٤٩٤ . وانظر ابن خلكان ١ : ٣١٨ ، وشذرات الذهب ٣ : ٤٠١ وكشف الظنون ٢٤١.

(٢) سورة الدخان ١ ، ٢

(٣) سورة الواقعة ٧٧

(٤) سورة التوبة ٦

(٥) سورة النساء ١٧٤

(٦) سورة يونس ٥٧

(٧) سورة الفرقان ١

(٨) سورة الإسراء ٨٢

(٩) سورة يونس ٥٧

وذكرا ومباركا : ﴿ وهَذَا ذِكْرٌ مبارَكٌ أنزَلْناه ﴾ [١]

وعليًّا : ﴿ وإنَّه فى أمِّ الكتاب لدَيْنَا لَعَلِىٌّ ﴾ [٢] .

وحكمة : ﴿ حِكْمَةٌ بالغةٌ ﴾ [٣] .

وحكيماً : ﴿ تِلْكَ آياتُ الكتاب الحكيم ﴾ [٤] .

ومهيمنا : ﴿ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يديه من الكتاب ومهيمناً عليه ﴾ [٥] .

وحبلا : ﴿ واعتصموا بحبْل الله ﴾ [٦] .

وصراطا مستقيما : ﴿ وأَنَّ هَذا صراطى مُسْتَقِيمًا ﴾ [٧] .

وقيّما : ﴿ قيّماً لِيُنْذِرَ به ﴾ [٨] .

وقولا وفصلاً : ﴿ إنه لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴾ [٩] .

ونبأ عظيما : ﴿ عَمَّ يَتَسَاءلون * عن النَّبأ العظيم ﴾ [١٠] .

وأحسن الحديث ، ومثانى ، ومتشابها : ﴿ الله نَزَّل أحْسَنَ الحديثِ كتاباً متشابِهاً مثانِىَ ﴾ [١١] .

وتنزيلا : ﴿ وإنهُ لتنزيلُ رَبِّ العالمين ﴾ [١٢] .

ورُوحا : ﴿ أوْحَيْنَا إليكَ روحاً من أمْرنا ﴾ [١٣] .

ووحيا : ﴿ إنَّمَا أُنْذِرُكُمْ بالوحىِ ﴾ [١٤] .

وعربيًّا : ﴿ قرآنا عربيًّا ﴾ [١٥] .

وبصائر : ﴿ هَذَا بصائرُ ﴾ [١٦] .

---

(١) سورة الأنبياء ٥٠
(٢) سورة الزخرف ٤
(٣) سورة القمر ٥
(٤) سوة يونس ٢
(٥) سورة المائدة ٤٨
(٦) سورة آل عمران ١٠٣
(٧) سورة الأنعام ١٥٣
(٨) سورة الكهف ٣
(٩) سورة الطارق ١٣
(١٠) سورة النبأ ١، ٢
(١١) سورة الزمر ٢٣
(١٢) سورة الشعراء ١٩٢
(١٣) سورة الشورى ٥٢
(١٤) سورة الأنبياء ٤٥
(١٥) سورة يوسف ٢
(١٦) سورة الأعراف ٢٠٣

وبيانا: ﴿ هَذَا بيَانٌ للنّاس ﴾ [١]

وعلما: ﴿ مِنْ بعْدِ ماجاءَكَ من الْعِلْمِ ﴾ [٢] .

وحقّا: ﴿ إنَّ هَذَا لَهُوَ القصصُ الحقّ ﴾ [٣] .

وهديا: ﴿ إنَّ هَذَا القرآنَ يهدِى ﴾ [٤] .

وعجبا: ﴿ قرآناً عَجبا ﴾ [٥] .

وتذكرة: ﴿ وإنَّهُ لتذكرةٌ ﴾ [٦] .

والعرْوة الوثقى: ﴿ استمْسك بالعُرْوة الوُثْقي ﴾ [٧] .

وصدقا: ﴿ والَّذى جاء بالصِّدْقِ ﴾ [٨] .

وعدلا : ﴿ وتمّتْ كلماتُ ربِّك صدْقاً وعَدْلاً ﴾ .[٩]

وأمراً: ﴿ذلك أَمْرُ اللهِ أنزله إليكم ﴾ [١٠] .

ومناديا: ﴿ سَمِعْنَا مناديًا يُنادى للإيمان ﴾ [١١]

وبشرى: ﴿ هدًى وبُشْرى ﴾ [١٢] .

ومجيداً: ﴿ بلْ هُوَ قرآنٌ مجيدٌ ﴾ [١٣] .

وزبورا: ﴿ وَلَقَدْ كتبنا فى الزَّبُورِ ﴾ [١٤] .

وبشيرا ونذيرا: ﴿ كتابٌ فُصِّلَتْ آياته قرآنا عربيًّا لقومٍ يعلمون * بشيراً ونذيرا ﴾ [١٥] .

وعزيزا: ﴿وإنَّهُ لكتابٌ عزيزٌ ﴾ [١٦] .

---

(١) سورة آل عمران ١٣٨

(٢) سورة البقرة ١٤٥

(٣) سورة آل عمران ٦٢

(٤) سورة الاسراء ٩

(٥) سورة الجن ٢١

(٦) سورة الحاقة ٤٨

(٧) سورة البقرة ٢٥٦

(٨) سورة الزمر ٣٣

(٩) سورة الأنعام ١١٥

(١٠) سورة الطلاق ٥

(١١) سورة آل عمران ١٩٣

(١٢) سورة البقرة ٩٧

(١٣) سورة البروج ٢١

(١٤) سورة الأنبياء ١٠٥

(١٥) سورة فصلت ٣ ، ٤

(١٦) سورة فصلت ٤١

وبلاغا : ﴿ هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ ﴾ [١] .

وقصصا : ﴿ أَحْسَنَ الْقَصَصِ ﴾ [٢] .

وسماه أربعة أسماء فى آية واحدة : ﴿ فِى صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ * مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ ﴾ [٣] . انتهى .

* * *

فأما تسميته كتابا فلجمعه أنواع العلوم والقصص والأخبار على أبلغ وجه ، والكتاب لغةً الجمع .

والمبين ؛ لأنه أبان ، أى أظهر الحقّ من الباطل .

وأما القرآن فاختُلف فيه ، فقال جماعة : هو اسم عَلَم غير مشتقّ ، خاصّ بكلام الله ، فهو غير مهموز ، وبه قرأ ابن كثير ، وهو مرويٌّ عن الشافعىّ ، أخرج البيهقىّ والخطيب وغيرُهما عنه أنه كان يهمز قرأت ، ولا يهمز القران ، ويقول : القران اسم وليس بمهموز ولم يُؤخذ من قرأت ، ولكنه اسم لكتاب الله ، مثل التوراة والإنجيل .

وقال قوم ، منهم الأشعرىّ : هو مشتقّ من قرنت الشىء بالشىء ، إذا ضممت أحدهما إلى الآخر ، وسمىّ به ؛ لقران السور والآيات والحروف فيه .

وقال الفرّاء : هو مشتقّ من القرائن ، لأن الآيات منه يصدّق بعضها بعضا ، ويشابه بعضها بعضا وهى قرائن . وعلى القولين هو بلا همز أيضا ونونه أصلية

وقال الزجّاج : هذا القول سهو ، والصحيح أن ترك الهمزة فيه من باب التخفيف ونقْل حركة الهمزة إلى الساكنين قبلها .

واختلف القائلون بأنه مهموز ، فقال قوم منهم اللِّحيانىّ : هو مصدر لقرأت ، كالرجحان

---

(١) سورة إبراهيم ٥٢

(٢) سورة يوسف ٣

(٣) سورة عبس ١٣ ، ١٤

والغُفران ؛ سُمّى به الكتاب المقروء ، من باب تسمية المفعول بالمصدر .

وقال آخرون منهم الزّجاج : هو وصْف على فُعْلان ؛ مشتقّ من القَرْء بمعنى الجمع ، ومنه : قرأتُ الماء فى الحوض ، أى جمعته .

قال أبو عبيدة : وسمّى بذلك ؛ لأنه جمعَ السور بعضَها إلى بعض .

وقال الراغب : لا يقال لكلّ جمع قرآن ، ولا لجمع كلّ كلام قرآن . قال : وإنّما سمى قرآنا ؛ لكونه جَمعَ ثمرات الكتب السالفة المنزّلة . وقيل: لأنه جمع أنواع العلوم كلها .

وحكى قطرب قولا : إنّهَ إنّمَا سُمّى قرآنا لأن القارئ يُظهره ويبيّنه من فيه ، أخْذاً من قول العرب: ماقرأتِ النّاقة سلاً قطّ ، أى مارمتْ بولدٍ ، أى ماأسقطت ولدا ؛ أى ماحملتْ قطّ ؛ والقرآن يَلفِظُه القارئ من فيه ويلقيه فسمّى قرآنا .

قلت : والمختار عندى فى هذه المسألة مانصّ عليه الشافعى .

وأما الكلام : فمشتق من الكَلْم بمعنى التأثير؛ لأنه يؤثّر فى ذهن السامع فائدةً لم تكن عنده .

وأمّا النور : فلأنّه يدرَكُ به غوامض الحلال والحرام .

وأما الهدى ، فلأنّ فيه الدلالة على الحقّ ؛ وهو من باب إطلاق المصدر على الفاعل مبالغة

وأمّا الفرقان ؛ فلأنّه فرقَ بين الحق والباطل؛ وجّهه بذلك مجاهد، كما أخرجه ابنُ أبى حاتم .

وأمّا الشّفاء، فلأنه يشفى من الأمراض القلبيّة، كالكفر والجهل والغلّ ، والبدنية أيضا

وأمّا الذّكْر فلمَا فيه من المواعظ وأخبار الأمم الماضية . والذّكر أيضا الشرف، قال

تعالى : ﴿ وإنه لَذِكْرٌ لك ولقومِك ﴾ [١] ، أى شرفٌ لأنه بلغتهم .

وأمّا الحكمة، فلأنّه نزل على قانون المعتبر من وضع كلّ شىء فى محله، أو لأنّه مشتمل على الحكمة

وأما الحكيم ، فلأنَّه أحكِمت آياته بعجيب النظم وبديع المعانى ، وأحكِمت عن تطرّق التبديل والتحريف والاختلاف والتباين .

وأمّا المهيمن، فلأنَّه شاهدٌ على جميع الكتب والأمم السالفة .

وأمّا الحبْل، فلأنه مَنْ تمسّك به وصل إلى الجنّة أو الهُدى. والحبْل: السبب .

وأما الصراط المستقيم، فلأنه طريق إلى الجنَّة، قويم لا عِوَج فيه .

وأما المثانى، فلأنَّ فيه بيان قصص الأمم الماضية، فهوَ ثانٍ لما تقدمه . وقيل : لتكرر القصص والمواعظ فيه . وقيل : لأنه نزل مرّةً بالمعنى ومرّةً باللفظ والمعنى ، كقوله: ﴿ إنَّ هَذا لفِي الصُّحُفِ الأولى ﴾ [٢] ، حكاه الكرْمانىّ فى عجائبه .

وأما المتشابه ، فلأنه يشبه بعضُه بعضا فى الحسن والصدق .

وأمّا الرُّوح ، فلأنه تحيا به القلوب والأنفس .

وأمَا المجيد، فلشرفِهِ .

وأمّا العزيز ، فلأنه يعزّ على منْ يروم معارضته .

وأما البلاغ ، فلأنّه أبلغ به الناس ما أمِروا به ونهُوا عنه . أو لأنّ فيه بلاغة وكفاية عن غيره .

قال السِّلَفِىّ فى بعض أجزائه : سمعت أبا الكرم النحوىّ يقول : سمعت أبا القاسم التنوخىّ يقول: سمعت أبا الحسن الرُّمانىّ، وسئل : كلّ كتاب له ترجمة ، فما ترجمة كتاب الله ؟ فقال : ﴿ هَذا بَلاَغٌ للنَّاسِ ولِيُنْذَروا به ﴾ [٣] .

وذكر أبو شامة وغيره فى قوله تعالى: ﴿ وَرِزْقُ رَبِّك خيرٌ وأبقى ﴾ [٤] أنه القرآن .

---

(١) سورة الزخرف ٤٤
(٢) سورة الأعلى ١٨
(٣) سورة إبراهيم ٥٢
(٤) سورة طه ١٣١

فائدة

حكى المظفّرىّ فى تاريخه قال: لمّا جمع أبو بكر القرآن،قال : سَمّوه ، فقال بعضهم: سمّوه إنجيلا ،فكرهوه، وقال بعضهم: سمّوُه سِّفْر ، فكرهوه مِن يهود. فقال ابن مسعود: رأيتُ بالحبشة كتابا يدعونَه المصحف،فسمّوه به.

قلت : أخرج ابنُ أَشْتَه [1] فى كتاب المصاحف من طريق موسى بن عُقْبة ، عن ابن شهاب ، قال : لمّا جمعوا القرآن فكتبوه فى الورَق،قال أبو بكر : التمسوا له اسماً ، فقال بعضهم: السِّفْر ، وقال بعضهم : المصحف؛ فإن الحَبَشة يسمّونه المصحف.وكان أبو بكر أوّل مَنْ جمع كتاب الله وسمّاه المصحف. ثم أورده من طريق آخر عن ابن بُريدة ، وسيأتى فى النوع الذى يلى هذا.

* * *

فائدة ثانية

أخرج ابنُ الضُّرَيس [2] وغيره عن كعب ، قال: فى التوراة: «يامحمد ، إنى منزّل عليك توراة حديثة تفتح أعيناً عُمياً، وآذانا صمًّا، وقلوبا غلْفا».

وأخرج ابنُ أبى حاتم عن قَتادة ، قال : لمّا أخذ موسى الألواحَ قال : ياربّ ، إنى أجد فى الألواح أمّةً ،أناجيلهم فى قلوبهم ، فاجعلهم أمّتى . قال : تلك أمّة أحمد .

ففى هذين الأثرين تسمية القرآن توراة وإنجيلا ، ومع هذا لايجوز الآن أنْ يطلق عليه ذلك،وهذا كما سمِّيت التوراة فرقانا فى قوله : ﴿وإذْ آتيْنا موسَى الْكتَابَ والفُرْقانَ﴾ [3] وسمىّ صلى الله عليه وسلم الزّبور قرآنا فى قوله: «خفف على داود القرآن».

---

(١) ابن أشتة ، هو محمد بن عبد الله بن أشتة ، أحد العلماء بالعربية والقراءات ، وله كتاب فى شواذ القراءات توفى سنة ٣٠٦ طبقات القراء ٢ : ١٨٤

(٢) هو محمد بن أيوب بن يحيى بن الضريس البجلى ،أحد حفاظ الحديث،وله كتاب فى فضائل القرآن . توفى سنة ٢٩٤.تذكرة الحفاظ ٢ : ١٩٥

(٣) سورة البقرة ٥٣

فصل فى أسماء السور

قال القُتَبىّ: السورة تهمز ولا تهمز ؛ فمن همزها جعلها من أسأرت، أى أفضلت، من السؤر وهو مابقى من الشراب فى الإناء ؛ كأنها قطعة من القرآن ، ومَن لم يهمزها جعلها من المعنى المتقدم وسهّل همزها.

ومنهم من يشبّهها بسور البناء ، أى القطعة منه ، أى منزلة بعد منزلة .

وقيل: من سُور المدينة، لإحاطتها بآياتها واجتماعها،[١] كاجتماع البيوت بالبيوت ، ومنه السِّوار لإحاطته بالساعد .

وقيل : لارتفاعها ؛ لأنّها كلام الله السورة المنزلة الرفيعة ، قال النابغة :

أَلَمْ تَرَ أنّ الله أعطاكَ سُورةً تَرَى كُلَّ مَلْكٍ حَوْلَهَا يتذبذبُ[٢]

وقيل : لتركيب بعضها على بعض ، من التسوّر بمعنى التصاعد والتركب ، ومنه: ﴿إذ تَسَوَّرُوا المِحْرابَ﴾[٣] .

وقال الجَعْبريّ[٤]: حدّ السّورة قرآن يشتمل على آيٍ ، ذى فاتحة وخاتمة ، وأقلّها ثلاث آيات .

وقال غيره: السّورة الطائفة المترجمة توقيفا ، أى المسمّاة باسم خاصّ بتوقيفٍ من النبىّ صلى الله عليه وسلم .

وقد ثبت أسماء السور بالتوقيف من الأحاديث والآثار ، ولولا خشية الإطالة لبيّنتُ ذلك .

ومما يدلّ لذلك ماأخرجه ابن أبى حاتم عن عِكْرمة ، قال: كان المشركون يقولون :

---

(١) نقله فى البرهان ١ : ٦٣، ٢٦٤،٢ (٢) ديوانه ١٣ (٣) سورة ص ٢١

(٤) هو إبراهيم بن عمران إبراهيم أبو إسحاق الجعبرى من فقهاء الشافعية ، له نحو مائة كتاب، أكثرها فى القراءات ، منها شرح الشاطبية ، حديقة الزهر فى عدد آى السور ، وخميلة أرباب المقاصد فى رسم المصحف وغيرها . توفى سنة ٧٣٢. الدرر الكامنة ١ : ٥٠

سورة البقرة وسورة العنكبوت ، يستهزءون بها فنزل: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾[١] .

وقد كره بعضهم أن يقال : سورة كذا ، لما رواه الطَّبرانيّ والبيهقيّ عن أنس مرفوعا: « لاتقولوا سورة البقرة ولا سورة آل عمران ولا سورة النساء ، وكذا القرآن كلّه ، ولكن قولوا : السُّورة التي تذكر فيها البقرة، والتي يذكر فيها آل عمران ، وكذا القرآن كلّه » . وإسناده ضعيف، بل ادّعى ابنُ الجوزيّ أنّه موضوع .

وقال البيهقيّ : إنّما يعرف موقوفا على ابن عمر، ثم أخرجه عنه بسند صحيح ، وقد صحّ إطلاق سورة البقرة وغيرها عنه صلى الله عليه وسلم .

وفي الصحيح عن ابن مسعود أنه قال: هذا مقام الذي أنزلت عليه سورة البقرة ، ومِنْ ثمّ لم يكرهه الجمهور .

* * *

فصل

قد يكون للسورة اسم واحد وهو كثير، وقد يكون لها اسمان فأكثر ؛ من ذلك :

(الفاتحة) :وقد وقفت لها على نيّفٍ وعشرين اسماً ، وذلك يدلّ على شرفها ، فإنّ كثرة الأسماء دالّة على شرف المسمّى .

أحدها :فاتحة الكتاب ، أخرج ابن جرير ، من طريق ابن أبي ذئب عن المقبُريّ[٢] عن أبي هريرة ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:«هي أمّ القرآن ؛ وهي فاتحة الكتاب ، وهي السبع المثاني » وسميت بذلك لأنه يفتتح بها في المصاحف ، وفي التعليم . وفي القراءة في الصلاة . وقيل :لأنها أوّل سورة نزلت، وقيل : لأنها أوّل سورة كتبت في اللوح المحفوظ . حكاه المرسي ، وقال: إنه يحتاج إلى نقل ، وقيل :لأنّ الحمد فاتحة كلّ كلام،وقيل : لأنها فاتحة كل كتاب. حكاه المرسيّ ،وردّ بأن الذي افتتح به كل كتاب هو الحمد فقط،لا جميع السورة وبأنّ الظاهر أنّ المراد بالكتاب القرآن ، لا جنس الكتاب. قال : لأنّه قد رُوِيَ من

---

(١) سورة الحجر ٩٥

(٢) ط : « المقري » تحريف

أسمائها فاتحة القرآن ، فيكون المراد بالكتاب والقرآن واحدا .

ثانيها : فاتحة القرآن ؛ كما أشار إليه المرسىّ .

وثالثها : ورابعها : أمّ الكتاب وأمّ القرآن ، وقد كره ابن سيرين أن تسمىّ أمّ الكتاب ، وكره الحسن أن تسمىَّ أمّ القرآن ووافقهما بقىّ بن مخلد ، لأنّ أمّ الكتاب هو اللوح المحفوظ ، قال تعالى : ﴿ وَعِنْدَهُ أمُّ الْكتاب ﴾ [١] ، ﴿ وإنّهُ في أمِّ الكِتَابِ ﴾ [٢] . وآيات الحلال والحرام ، قال تعالى : ﴿ آياتٌ محكمات هن أمّ الْكِتَاب ﴾ [٣] ، قال المرسىّ : وقد روى حديث لا يصحّ : « لا يقولنَّ أحدُكم أمّ الكتاب وليقل ، فاتحة الكتاب » .

قلت : هذا لا أصل له فى شىء من كتب الحديث ، وإنما أخرجه ابنُ الضُّريس بهذا اللفظ عن ابن سيرينِ ، فالتبس على المرسى ؛ وقد ثبت فى الأحاديث الصحيحة تسميتُها بذلك ، فأخرج الدارقطنى وصحّحه من حديث أبى هريرة مرفوعا : « إذا قرأتم الحمد فاقرءوا بسم الله الرحمن الرحيم ؛ إنها أمّ القرآن ، وأمّ الكتاب والسبع المثانى » .

واختُلف : لمَ سُمّيتْ بذلك ؟ فقيل : لأنها يُبدأ بكتابتها فى المصاحف وبقراءتها فى الصلاة قبل السورة ، قاله أبو عبيدة فى مجازه ، وجزم به البخارىّ فى صحيحه . واستشكل بأنّ ذلك يناسب تسميتها فاتحة الكتاب ، لا أمّ الكتاب ؛ وأجيب بأنّ ذلك بالنظر إلى أن الأمّ مبتدأ الولد . قال الماودى : سُمِّيت بذلك لتقدمها وتأخّر ما سواها تبعًا لها ، لأنها أَمَّتْهُ ، أى تقدّمته ، ولهذا يقال لراية الحرب أمّ ، لتقدمها واتباع الجيش لها . ويقال لما مضى من سِنى الإنسان أمّ لتقدُّمها ، ولمكة أمّ القرى لتقدّمها على سائر القرى . وقيل : أمّ الشىء أصله ؛ وهى أصل القرآن لانطوائها على جميع أغراض القرآن وما فيه من العلوم والحكم ، كما سيأتى تقريره فى النوّع الثالث والسبعين . وقيل : سُمّيت بذلك لأنها أفضل السور ، كما يقال

---

(١) سورة الرعد ٣٩
(٢) سورة الزخرف ٤
(٣) سورة آل عمران ٧

لرئيس القوم : أمّ القوم . وقيل : لأن حرمتها كحرمة القرآن كلّه . وقيل : لأنّ مفزع أهل الإيمان إليها ، كما يقال للراية أمّ، لأنّ مفزع العسكر إليها . وقيل : لأنها محكمة والمحكمات أمّ الكتاب .

خامسها : القرآن العظيم ، روى أحمد عن أبى هريرة أنّ النبىّ صلىّ الله عليه وسلم قال لأمّ القرآن : «هى أم القرآن ، وهى السبع المثانى ، وهى القرآن العظيم» ؛ وسُمِّيت بذلك لاشتمالها على المعانى التى فى القرآن

سادسها : السبع المثانى ، وردَ تسميتها بذلك فى الحديث المذكور وأحاديث كثيرة، أما تسميتها سبعًا ، فلأنها سبع آيات . أخرج الدارقطنىّ ذلك عن علىّ . وقيل فيها سبعة آداب، فى كل آية أدب، وفيه بُعْد . وقيل : لأنها خلتْ من سبعة أحرف : التاء ، والجيم ، والخاء ، والزاى ، والشين ، والظاء ، والفاء. قال المرسىّ : وهذا أضعف مما قبله لأن الشىء إنما يسمّى بشىء وُجِد فيه لا بشىء فقد منه . وأما المثانى : فيُحتمل أن يكون مشتقا من الثناء لما فيها من الثّناء على الله تعالى ، ويحتمل أن يكون من الثُّنيا ، لأن الله استثناها لهذه الأمة ، ويحتمل أن يكون من التثنية ، قيل: لأنها تثنَّى فى كلّ ركعة ، ويقوّيه ما أخرجه ابنُ جرير بسند حسن عن عمر ، قال : السبع المثانى فاتحة الكتاب، تثنّى فى كلّ ركعة . وقيل : لأنها تثنّى بسورة أخرى ، وقيل : لأنها نزلت مرتين ، وقيل: لأنها على قسمين ثناء ودعاء، وقيل: لأنها كلّما قرأ العبد منها آية ثناه الله بالإخبار عن فعله ، كما فى الحديث . وقيل : لأنها اجتمع فيها فصاحة المثانى وبلاغة المعانى : وقيل غير ذلك .

سابعها : الوافية؛ كان سفيان بن عُيينة يسمّيها به ، لأنها وافية بما فى القرآن من المعانى قاله فى الكشاف . وقال الثّعلبىّ : لأنها لا تقبل التّنصيف، فإنّ كلّ سورة من

القرآن لوقرئ نصفها في كلّ ركعة والنصف الثاني في أخرى لجاز بخلافها. وقال المرسّي: لأنها جمعت بين مالله وبين ماللعبد .

ثامنها : الكنز ، لماتقدّم في أمّ القرآن ؛ قاله في الكشاف ، وورد تسميتها بذلك في حديث أنس السابق في النوع الرابع عشر.

تاسعها : الكافية ، لأنها تكفي في الصلاة عن غيرها ، ولا يكفي عنها غيرُها .

عاشرها : الأساس ، لأنها أصل القرآن وأول سورة فيه .

حادي عشرها : النور .

ثاني عشرها وثالث عشرها : سورة الحمد وسورة الشكر .

رابع عشرها وخامس عشرها: سورة الحمد الأولى وسورة الحمد القصرىّ .

سادس عشرها وسابع عشرها وثامن عشرها : الرُّقية والشّفاء والشافية، للأحاديث الآتية في نوع الخواص.

تاسع عشرها : سورة الصلاة لتوقّف الصلاة عليها .

[العشرون] : وقيل : إنّ من أسمائها الصلاة أيضا لحديث: «قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفيْن» أي السورة . قال المرسيّ : لأنها من لوازمها ؛ فهو من باب تسمية الشيء باسم لازمه ، وهذا الاسم العشرون.

الحادي والعشرون : سورة الدعاء ، لاشتمالها عليه في قوله : ﴿ اهْدِنَا ﴾ .

الثاني والعشرون : سورة السؤال لذلك، ذكره الأمام فخر الدين :

الثالث والعشرون : سورة تعليم المسألة ؛ قال المرسيّ: لأنّ فيها آداب السؤال؛ لأنها بدئت بالثناء قبله .

الرابع والعشرون : سورة المناجاة، لأنّ العبد يناجى فيها ربَّه بقوله : ﴿ إيّاكَ نَعْبُدُ وإيَّاكَ نَسْتَعِين ﴾ [(١)].

الخامس والعشرون : سورة التفويض ، لاشتمالها عليه فى قوله : ﴿ إياكَ نَعْبُدُ وَإيّاكَ نَسْتَعِين ﴾ .

فهذا ماوقفت عليه من أسمائها ، ولم تجتمع فى كتاب قبل هذا .

ومن ذلك :

(سورة البقرة) : كان خالد بن مَعْدان يسمّيها فسطاط القرآن ، وورد فى حديث مرفوع فى مسنَد الفردوس ، وذلك لعظَمها ولما جمع فيها من الأحكام التى لم تذكر فى غيرها ، وفى حديث المستدرك تسميتها : « سنام القرآن » ، وسنام كلّ شىء أعلاه .

و(آل عمران) : روى سعيد بن منصور فى سننه عن أبى عطّاف قال : اسم آل عمران فى التوراة طيبة. وفى صحيح مسلم : تسميتها والبقرة الزّهراوين .

و(المائدة) : تسمى أيضا العقود والمنقِذة ، قال ابن الغَرْس لأنها تنقذ صاحبها من ملائكة العذاب .

و(الأنفال) : أخرج أبو الشيخ عن سعد بن جُبير ، قال : قلت لابن عباس : سورة الأنفال ، قال : تلك سورة بدر .

و(براءة) : تسمىّ أيضا التوبة لقوله فيها ﴿ لَقَدْ تَابَ اللَّهُ على النّبى... ﴾ [(٢)] الآية. والفاضحة ، أخرج البخارى عن سعيد بن جبير ، قال : قلت لابن عباس : سورة التوبة قال : التوبة ، بل هى الفاضحة ، مازالت تنزل : « ومنهم ، ومنهم ... » حتى ظننا ألاّ يبقى أحد منا إلا ذُكر

---

(١) آية ٤

(٢) سورة التوبة ١١٧

فيها . وأخرج أبو الشيخ عن عكْرمة ، قال : قال عمر : مافرغ من تنزيل براءة ، حتى ظننّا أنه لايبق منا أحدٌ إلاّ سينزل فيه .

وكانت تسمى الفاضحة وسورة العذاب . أخرج الحاكم فى المستدرَك عن حُذيفة ، قال : التى يسمُّون سورة التوبة هى سورة العذاب . وأخرج أبو الشيخ عن سعيد بن جُبير ، قال : كان عمر بن الخطاب إذاذكرله سورة براءة فقيل : سورة التوبة ، قال : هى إلى العذاب أقرب : ما كادت تقلَع عن الناس ، حتى ما كادت تُبقْى منهم أحدا .

والمقشقِشة ، أخرج أبو الشيخ عن زيدبن أسلم أنّ رجلاً قال لابن عمر : سورة التوبة ، فقال : وأيّتهُنَّ سورة التوبة؟ فقال : براءة ، فقال : وهل فعل بالنّاس الأفاعيل إلاهى! ما كنّا ندعوها إلا المقشقشة . أى المبرئة من النفاق .

والمنقّرة ، أخرج أبو الشيخ عن عبيد بن عُمير ، قال : كانت تسمّى براءة المنقّرة ، نقّرت عمّا فى قلوب المشركين .

والبَحوث بفتح الباء ، أخرج الحاكم عن المقداد أنّه قيل له : لو قعدت العام عن الغزو! قال : أتت علينا البَحوث يعنى براءة ... الحديث .

والحافرة ، ذكره ابن الفرس لأنها حفرت عن قلوب المنافقين .

والمثيرة ، أخرج ابن أبى حاتم ، عن قتادة ، قال : كانت هذه السورة تسمىَّ الفاضحة ، فاضحة المنافقين ، وكان يقال لها المثيرة ، أنبأتْ بمثالبهم وعوراتهم .

وحكى ابن الفرس من أسمائها المبعثِرة ، وأظنّه تصحيف المنقّرة ، فإن صحّ كملت الأسماء عشرة ، ثم رأيته كذلك — أعنى المبعثِرة — بخطّ السخاوىّ فى جمالِ القرّاء ، وقال : لأنها بعثرت عن أسرار المنافقين .

وذكر فيه أيضا من أسمائها المخزية ، والمنكِّلة ، والمشردة والمدمدمة .

(النحل) : قال قتادة : تسمّى سورة النّعم ، أخرجه ابن أبى حاتم ، قال ابن الفرس : لِمَا عدّد الله فيها من النّعم على عباده .

(الإسراء) : تسمى أيضا سورة « سبحان » ،وسورة بنى إسرائيل .

(الكهف) : ويقال لها سورة أصحاب الكهف ، كذا فى حديث أخرجه ابن مَرْدُويه ، وروى البيهقىّ من حديث ابن عباس مرفوعا ، أنّها تدعَى فى التوراة الحائلة ، تحول بين قارئها وبين النار ، وقال : إنه منكر .

(طـه) : تسمّى أيضا سورة الكليم ، ذكره السخاوىّ فى جمال القراء .

(الشعراء) : وقع فى تفسير الإمام مالك تسميتُها بسورة الجامعة .

(النمل) : تسمى أيضا سورة سليمان.

(السجدة) : تسمى أيضا المضاجع .

(فاطر) : تسمّى سورة الملائكة .

(يس) : سمّاها صلى الله عليه وسلم قلبَ القرآن. أخرجه الترمذىّ من حديث أنس . وأخرج البيهقىّ من حديث أبى بكر مرفوعا : « سورة يس تدعى فى التوراة المعِمّة، تعمّ بخيْرَيِ الدنيا والآخرة ، وتدعى الدافعة والقاضية ، تدفع عن صاحبها كلَّ سوء وتقضى له كلَّ حاجة » . وقال : إنه حديث منكر .

(الزمر) : تسمّى سورة الغُرَف .

(غافر) : تسمّى سورة الطَّوْل، والمؤمن، لقوله تعالى فيها : ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ﴾[1] .

(فصّلت) : تسمّى السجدة ، وسورة المصابيح .

(الجاثية) : تسمّى الشريعة ، وسورة الدهر؛ حكاه الكرمانىّ فى العجائب .

(سورة محمد) : تسمّى القتال .

(ق) : تسمّى سورة الباسقات.

(اقتربت) : تسمّى القمر، وأخرج البيهقىّ عن ابن عباس « أنها تدعى فى التوراة المبيّضة

---

(١) سورة غافر ٢٨

تبيض وجه صاحبها يوم تسودّ الوجوه» ؛ وقال : أنه منكر .

(الرحمن) : سُمّيتْ فى حديثٍ عروس القرآن ، أخرجه البيهقيّ عن عليّ مرفوعا .

(المجادلة) : سمّيت فى مصحف أُبيّ : الظهار .

(الحشر) : أخرج البخاريّ عن سعيد بن جبير ، قال : قلت لابن عباس : سورة الحشر ، قال : قل : سورة بنى النّضير . قال ابن حجر : كأنّه كره تسميتَها بالحشر ، لئلاّ يظنّ أنّ المراد يوم القيامة ، وإنما المراد به هنا إخراج بنى النَّضِير .

(الممتحَنة) : قال ابن حجَر : المشهور فى هذه التسمية أنها بفتح الحاء وقد تكسر ، فعلَى الأوّل هو صفة المرأة التى نزلت السورة بسببها ، وعلى الثانى هى صفة السّورة كما قيل لبراءة : الفاضحة . وفى جمال القراء : تسمَّى أيضا سورة الامتحان وسورة المودَّة .

(الصفّ) : تسمَّى أيضاً سورة الحَوَاريّين .

(الطلاق) : تسمَّى سورة النساء القُصْرى ، كذا سماها ابن مسعود ، أخرجه البخاريّ وغيره ، وقد أنكره الداوديّ ، فقال : لاأرى قوله : «القصرى» محفوظا ، ولايقال فى سورة من القرآن : قصرى ولاصغرى . قال ابن حجر : وهو ردّ للأخبار الثابتة بلامُستَند ، والقِصَر والطُّول أمرٌ نسبِيٌّ . وقد أخرج البخاريّ عن زيد بن ثابت أنه قال : «طولى الطوليَيْن» ؛ وأراد بذلك سورة الأعراف .

(التحريم) : يقال لها سورة المتحرّم ، وسورة لِمَ تحرّم .

(تبارك) : تسمَّى سورة المُلْك : وأخرج الحاكم وغيره عن ابن مسعود ، قال : هى فى التوراة سورة الملك ، وهى المانعة تمنع من عذاب القبر ، وأخرج التِّرمذيّ من حديث ابنِ عبّاس مرفوعا : «هى المانعة هى المنجية تنجيه من عذاب القبر» . وفى مسند عُبيد من حديثٍ : «إنّها المنجية والمجادلة ، تجادل يوم القيامة عند ربّها لقارئها» .

وفى تاريخ ابن عساكر من حديث أنس أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم سمّاها المنجيَة.
وأخرج الطَّبَرانىّ ، عن ابن مسعود قال : كنّا نسميها فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم المانعة . وفى جمال القراء : تسمّى أيضا الواقية والمنّاعة .

(سأل) : تسمّى المعارج والواقع .

(عمّ) : يقال لها النّبأ ، والتساؤل ، والمعصرات .

(لم يكن) : تسمّى سورة أهل الكتاب ، وكذلك سُمِّيت فى مصحف أُبَىّ ، وسورة البينّة ، وسورة القيامة ، وسورة البرّية ، وسورة الانفكاك ، ذكر ذلك فى جمال القراء .

(أرأيت): تُسَمَّى سورة الدِّين، وسورة الماعُون .

(الكافرون) : تسمى المقشقشة ، أخرجه ابن أبى حاتم عن زرارة بن أوفَى ، قال فى جمال القراء : وتسمَّى أيضا سورة العبادة .

قال: و(سورة النصر): تسمى سورة التوديع ، لما فيها من الإيماء إلى وفاته صلى الله عليه وسلم .

قال : و(سورة تبّت) : تسمّى سورة المسد .

و(سورة الإخلاص) : تسمَّى الأساس ، لاشتمالها على توحيد الله وهو أساس الدين .

قال : و(الفلق والناس) : يقال لهما المعوِّذتان ، بكسر الواو، والمشقشقتان من قولهم: خطيب مشقشق .

* * *

تنبيه

قال الزركشىّ فى البرهان : ينبغى البحث عن تمداد الأسامى : هل هو توقيفىّ ،

أو بما يظهر من المناسبات ، فإن كان الثانى[1] فلم يعدم الفَطِن أن يستخرِج من كلّ سورة معانِىَ كثيرة ، تقتضى اشتقاق أسماء لها . وهو بعيد .

قال : وينبغى النظر فى اختصاص كلّ سورة بما سميت به ، ولاشكّ أن العرب تراعِى فى كثير من المسمّيات أخذ أسمائها من نادرٍ أو مستغرَبٍ يكون فى الشىء من خُلُق أو صفة تخصّه ، أو يكون معه أحكم أو أكثر أو أسبق ، لإدراك الرّأى للمسمَّى . ويسمّون الجملة من الكلام أو القصيدة الطويلة بما هو أشهر فيها ؛ وعلى ذلك جرت أسماء سور القرآن ، كتسمية سورة البقرة بهذا الاسم لقرينة قصّة البقرة المذكورة فيها وعجيب الحكمة فيها ، وسمِّيت سورة النِّساء بهذا الاسم لما تردّد فيها شىء كثير من أحكام النساء ، وتسمية سورة الأنعام لما ورد فيها من تفصيل أحوالها ، وإن كان قد ورد لفظ «الأنعام» فى غيرها ، إلّا أنّ التفصيل الوارد فى قوله تعالى: ﴿ وِمِنَ الأنعام حَمُولَةً وفرشاً ﴾ إلى قوله : ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ ﴾[2] لم يرد فى غيرها ؛ كما ورد ذكر النساء فى سورٍ ، إلّا أنّ ماتكرّر وبُسِط من أحكامهنّ لم يرد فى غير سورة النساء ، وكذا سورة المائدة لم يرد ذكر المائدة فى غيرها ، فسمِّيت بما يخصّها .

قال : فإن قيل : قد ورد فى سورة هود ذكر نُوح وصالح وإبراهيم ولوط وشعيب وموسى ، فلِمَ خُصَّتْ باسم هود وحدَه مع أنّ قصة نوح فيها أوعب وأطول ؟ قيل : تكرّرت هذه القصص فى سورة الأعراف وسورة هود والشعراء بأوعبَ ممّا وردت فى غيرها ، ولم يتكرّر فى واحدة من هذه السور الثلاث اسم هود كتكرّره فى سورته[3] ؛ فإنّه تكرّر فيها فى أربعة مواضع ، والتّكرار من أقوى الأسباب التى ذكرنا .

قال : فإن قيل : فقد تكرّر اسم نوح فيها فى ستة مواضع ! قيل : لمّا : أفرِدت

---

(١) البرهان : « فلن » .

(٢) سورة الأنعام ١٤٢ — ١٤٤

(٣) البرهان : « فى هذه السورة »

لذكر نوح وقصته مع قومه سورةٌ برأسها ، فلم يقع فيها غير ذلك ، كانت أولى بأن تسمّى باسمه من سورة تضمّنت قصته وقصة غيره [١]. انتهى :

* * *

قلت : ولك أن تسأل فتقول : قد سمّيت سورٌ جرتْ فيها قصص أنبياء بأسمائهم ؛ كسورة نوح ، وسورة هود ، وسورة إبراهيم ، وسورة يونس ، وسورة آل عمران ، وسورة طس سليمان ، وسورة يوسف ، وسورة محمد ، وسورة مريم ، وسورة لقمان ، وسورة المؤمن . وقصة أقوام كذلك ، كسورة بنى إسرائيل ، وسورة أصحاب الكهف ، وسوره الحِجْر ، وسورة سبأ ، وسورة الملائكة ، وسورة الجنّ ، وسورة المنافقين ، وسورة المطفّفين ؛ ومع هذا كلّه لم يفرَدْ لموسى سورة تسمّى به مع كثرة ذكره فى القرآن ، حتى قال بعضهم : كاد القرآن أن يكون كلّه موسى ؛ وكان أولى سورةٍ أن تسمّى به سورة طه أو القصص أو الأعراف . لبسط قصته فى الثلاثة مالم يبسط فى غيرها . وكذلك قصة آدم ، ذكرت فى عدّة سور ، ولم تسمّ به سورة ، كأنّهُ اكتفاء بسورة الإنسان ، وكذلك قصة الذّبيح من بدائع القصص ، ولم تسمّ به سورة الصافات ، وقصة داود ذكرت فى ص ولم تُسمَّ به ، فانظر فى حكمة ذلك . على أنّى رأيت بعد ذلك فى جمال القراء للسخاوىْ ، أنّ سورة طه تسمى سورة الكليم ، وسمّاها الهذلىّ فى كامله سورة موسى ، وأن سورة ص تسمّى سورة داود . ورأيت فى كلام الجَعْبَرىّ أنّ سورة الصافّات تسمّى سورة الذبيح ، وذلك يحتاج إلى مستنَد من الأثر .

* * *

فصل

وكما سُميت السورة الواحدة بأسماء ، سميت سورٌ باسم واحد ، كالسور المسمّاة بـ « الۤمۤ » أو « الۤر » ، علَى القول بأنّ فواتح السور أسماءها .

---

(١) البرهان ١ : ٢٧٠ — ٢٧١

فائدة في إعراب أسماء السور

قال أبو حيان فى شرح التسهيل :

ماسُمِّىَ منها بجملة تحكى نحو « قل أوحى » و« أتى أمر الله » أو بفعل لاضمير فيه أعرب إعراب مالا ينصرف .، إلا مافى أوله همزة وصلٍ ، فتُقطع ألفه وتقلب تاؤه هاء فى الوقف، ويُكتب بهاء على صورة الوقف ، فتقول : قرأتُ « اقتربةَ » وفى الوقف « اقتربه » . أما الإعراب فلأنها صارت أسماء، والأسماء معربة إلّا لموجب بناء. وأمّاقطع همزة الوصل ، فلأنها لا تكون فى الأسماء إلّا فى ألفاظ محفوظة لايقاس عليها . وأمّا قلب تائها هاء، فلأنّ ذلك حكم تاء التأنيث الّتى فى الأسماء ، وأمّا كتبها هاء ، فلأنّ الخط تابع للوقف غالبا .

وماسُمِّىَ منها باسم ؛ فإن كان من حروف الهجاء، وهو حرف واحد وأضفتَ إليه سورة، فعند ابن عصفور أنه موقوف لا إعراب فيه، وعند الشّلَوْبين يجوز فيه وجهان : الوقف والإعراب ؛ أما الأول — ويعبّر عنه بالحكاية — فلأنها حروف مقطّعة [1] تحكى كما هى . وأما الثانى فعلى جعله اسماً لحروف الهجاء ، وعلى هذا يجوز صرفه بناء على تذكير الحرف ومنعه بناء على تأنيثه . وإن لم تضَف إليه سورة لا لفظًا ولا تقدِيرا فلك الوقف والإعراب مصروفا وممنوعا . وإن كان أكثرَ من حرف، فإن وازن الأسماء الأعجمية كطاسين وحاميم وأضفت إليه سورة أم لا ، فلك الحكاية والإعراب ممنوعًا، لموازنة قابيل وهابيل ، وإن لم يوازن، فإن أمكن فيه التركيب كطاسين ميم ، وأضفت إليه سورة ، فلك الحكاية والإعراب، إمّا مركبا مفتوح النون كحضرموت ، أو معرب النون مضافا لما بعده مصروفا وممنوعا على اعتقاد التذكير والتأنيث . وإن لم تضف إليه سورة ، فالوقف على الحكاية ، والبناء كخمسة عشرَ ، والإعراب ممنوعا . وإن لم يمكن التركيب فالوقف ليس إلاَّ : أضفتَ إليه سورةً أم لا ، نحو كهيعص وحمعسق ، ولا يجوز إعرابه ، لأنه لانظير له فى الأسماء المعربة ، ولا تركيبه مزجا ، لأنه لا يركب ذلك أسماء كثيرة ، وجوّز يونس إعرابه ممنوعا .

وما سُمّى منها باسم غير حرف هجاء ، فإن كان فيه اللام انجرّ ، نحو الأنفال

---

(١) ظ : « منقصة » تحريف

والأعراف والأنعام ، وإلاّ مُنِعَ الصرف إن لم يُضف إليه سورة، نحو هذه هودُ ونوحُ، وقرأت هودَ ونوحَ، وإن أضفتَ بقِيَ على ما كان عليه قبلُ، فإن كان فيه ما يوجب المنع مُنِع ، نحو قرأت سورة يونس ، وإلاّ صُرِف نحو سورة نوحٍ وسورة هودٍ. انتهى ملخصا .

* * *

خـــاتمة

قُسِّم القرآن إلى أربعة أقسام ، وجعل لكل قسم منه اسم ، أخرج أحمد وغيره من حديث واثلة بن الأسقع ، أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « أعطِيتُ مكان التوراة السبعَ الطُّوَل ، وأعطِيت مكان الزبور المئين ، وأعطِيت مكان الإنجيل المثانى، وفُضِّلت بالمفصّل» . وسيأتى مزيد كلام فى النوع الذى يلى هذا إن شاء الله تعالى .

وفى جمال القرّاء: قال بعض السلف : فى القرآن ميادين وبساتين ومقاصير وعرائس ودبابيج ، فميادينه ما افتتح بـ« الم » وبساتينه ما افتتح بـ« الر » ومقاصيره الحامدات ، وعرائسه المسبّحات ، ودبابيجه آل حم ، ورياضه المفصّل . وقالوا : الطواسيم ، والطواسين ، وآل حم ، والحواميم.

قلت : وأخرج الحاكم عن ابن مسعود ، قال : الحواميم ديباج القرآن. قال السخاوى: وقوارع [1] القرآن الآيات التى يتعوّذ بها ويتحصّن ، سمّيت بذلك لأنها تقرع الشيطان وتدفعه وتقمعه ، كآية الكرسيّ والمعوذتين ونحوها .

قلت : وفى مسنَد أحمد من حديث مُعاذ بن أنس مرفوعا: «آية العز ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا...﴾ [2] الآية» .

---

(١) فى القاموس : « قوارع القرآن : الآيات التى من قرأها أمن من الشياطين والإنس والجن ، كأنها تقرع الشيطان» .

(٢) سورة الإسراء ١١١

النوعُ الثامنَ عشر
في جمعه وترتيبه

قال الدَّيْرعاقولى[1] فى فوائده: حدثنا إبراهيم بن بشار، حدثنا سفيان بن عُيينة ، عن الزهرىّ ، عن عبيد ، عن زيد بن ثابت ، قال : قُبِض النبىّ صلّى الله عليه وسلم ولم يكن القرآن جمِع فى شىء .

قال الخطابىّ: إنما لم يجمَع صلى الله عليه وسلم القرآن فى المصحف ، لما كان يترقبه من ورود ناسخ لبعض أحكامه أو تلاوته، فلمّا انقضى نزوله بوفاته ألهم الله الخلفاء الراشدين ذلك ، وفاء بوعده الصادق بضمان حفظه على هذه الأمّة، فكان ابتداء ذلك على يد الصدِّيق بمشورة عمر . وأمّا ما أخرجه مسلم من حديث أبى سعيد ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم. «لا تكتبوا عنِّى شيئا غير القرآن... » الحديث ، فلا يُنافى ذلك ، لأن الكلام فى كتابةٍ مخصوصة علَى صفةٍ مخصوصة ، وقد كان القرآن كتِب كلُّه فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لكن غير مجموع فى موضعٍ واحدٍ ولا مرتّب السُّوَر.

[القول فى جمع القرآن ثلاث مرات]

وقال الحاكم فى المستدرك : جُمع القرآن ثلاث مرات :

إحداها : بحضرة النبىّ صلّى الله عليه وسلم ، ثم أخرج بسندٍ على شرط الشيخين عن زيدِ بن ثابت ، قال : « كنّا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم نؤلّف القرآن من الرِّقاع ... » الحديث .

قال البَيْهقىّ : يشبه أن يكون أن المراد به تأليف ما نزل من الآيات المتفرّقة فى سورها وجمعها فيها بإشارة النبىّ صلى الله عليه وسلم .

* * *

الثانية : بحضرة أبى بكر ، روى البخارىّ فى صحيحه عن زيد بن ثابت ،

---

(١) الديرعاقولى : منسوب إلى دير العاقول ، قرية من أعمال بغداد .

قال : أرسل إلىّ أبو بكر ، مقتلَ أهلِ اليمامة ، فإذا عمر بن الخطاب عنده ، فقال أبو بكر : إن عمر أتانى ، فقال : إن القتل قد استحرّ [١] بقرّاء القرآن ، وإنّى أخشى أن يستحرّ القتلُ بالقرّاء فى المواطن ، فيذهبَ كثيرٌ من القرآن ، وإنّى أرى أن تأمر بجمع القرآن ، فقلت لعمر : كيف تفعل شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ! قال عمر : هو والله خيرٌ ، فلم يزلْ يُراجعنى حتىّ شرح الله صدرى لذلك ، ورأيتُ فى ذلك الّذى رأى عمر . قال زيد : قال أبو بكر : إنك شابّ عاقل ، لانتّهمك ، وقد كنتَ تكتبُ الوحىَ لرسول الله صلّى الله عليه وسلم ، فتتبّع القرآن فاجمَعْه — فوالله لو كلّفونى نقل جبلٍ من الجبال ما كان أثقلَ علىّ ممّا أمرنى به من جمع القرآن — قلت : كيف تفعلانِ شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ! قال : هو والله خَيْر ، فلم يزل أبو بكر يراجعنى حتى شرح الله صدرى للذى شرح به صدر أبى بكر وعمر . فتتبعتُ القرآن أجمعه من العُسُب واللّخاف وصُدور الرّجال ، ووجدت آخر سورة التوبة مع أبى خزيمة الأنصارىّ [٢] ، لم أجدها مع غيره : ﴿ لقدْ جاءَكُمْ رسولٌ ... ﴾ [٣] حتى خاتمة براءة . فكانت الصحف عند أبى بكرٍ حتىّ توفّاه الله ، ثم عند عمر حياتَه ، ثم عند حفصة بنت عمر .

وأخرج ابن أبى داود فى المصاحف بسند حسن عن عبد خير ، قال : سمعتُ عليًّا يقول : أعظمُ النّاس فى المصاحف أجرًا أبو بكر ؛ رحمةُ الله على أبى بكر ! هو أوّل مَنْ جمع كتاب الله . لكن أخرج أيضا من طريق ابن سيرين قال : قال علىّ : لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ، آليتُ ألاّ آخذَ علىّ ردائى إلا لصلاة جمعة حتى أجمع القرآن . فجمعه .

قال ابن حجر : هذا الأثر ضعيف لانقطاعه ؛ وبتقدير صحته ، فمراده بجمعه حفظُه فى صدره ؛ وما تقدّم من رواية عبد خير عنه ، أصحّ ، فهو المعتمَد .

---

(١) استحر ، أى اشتد .

(٢) فى الأصول « أبو خزيمة » ، وماأثبته من تفسير ابن كثير ٢ . ٤٠٥ ، ومايأتى فى ص ١٠٧ من هذا الجزء .

(٣) سورة التوبة ١٢٨ ، ١٢٩

قلت : قد ورد من طريق آخر أخرجه ابنُ الضُّرَيس فى فضائله : حدّثنا بشر بن موسى ، حدّثنا هَوْذَة بن خليفة ، حدّثنا عَوْن ، عن محمد بن سيرين ، عن عِكْرمة ، قال : لمّا كان بعد بيعة أبى بكر ، قعد علىّ بن أبى طالب فى بيته ، فقيل لأبى بكر : قد كره بيعتك ، فأرسل إليه ، فقال : أكرِهتَ بيعتى ؟ قال : لا والله ، قال : ماأقعدك عنّى ؟ قال : رأيتُ كتاب الله يُزاد فيه ، فحدّثتُ نفسى ألاّ ألبس ردائى إلا لصلاة حتى أجمعه ، قال له أبو بكر : فإنك نعمَ مارأيت . قال محمد : فقلت لعكرمة : ألَّفوه كما أُنزِل ، الأوّل فالأوّل قال : لو اجتمعت الإنس والجنّ على أن يؤلّفوه ذلك التأليف ماستطاعوا .

وأخرجه ابن أشتَة فى المصاحف من وجه آخر عن ابن سيرين ، وفيه أنه كتب فى مصحفه الناسخ والمنسوخ ، وأن ابن سيرين قال : فطلبتُ ذلك الكتاب ، وكتبت فيه إلى المدينة ، فلم أقدر عليه .

وأخرج ابن أبى داود من طريق الحسن «أن عمر سأل عن آية من كتاب الله ، فقيل : كانت مع فلان ، قتِل يوم اليمامة ، فقال : إنا لله ! وأمر بجمع القرآن ، فكان أوّل مَنْ جمعه فى المصحف . إسناده منقطع ، والمراد بقوله : « فكان أوّل من جمعه » أى أشار بجمعه .

قلت : ومن غريب ماورد فى أوّل مَنْ جمعه ، ماأخرجه ابن أشتة فى كتاب المصاحف من طريق كهمس ، عن ابن بُريدة ، قال : أوّل مَنْ جمع القرآن فى مصحف سالم مولى أبى حذيفة ، أقسم لايرتدى برداء حتى يجمعه ، فجمعه ، ثم ائتمروا:[1] مايسمّونه ؟ فقال بعضهم : سمّوه السِّفْر ، قال : ذلك اسم تسميه اليهود ، فكرهوه ، فقال : رأيت مثله بالحبشة يُسمَّى المصحف ، فاجتمع رأيهم على أن يسمّوه المصحف . إسناده منقطع أيضاً ، وهو محمول على أنه كان أحد الجامعين بأمر أبى بكر .

وأخرج ابن أبى داود ، من طريق يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب ، قال : قدم عمر ، فقال : مَنْ كان تلقّى من رسول الله صلى الله عليه شيئا من القرآن فليأت به وكانوا

---

(١) ائتمروا ، أى تشاوروا .

يكتبون ذلك فى الصّحف والألواح والعُسُب ، وكان لايقبَل من أحدٍ شيئا حتى يشهد شهيدانْ ؛ وهذا يدلّ على أن زيدا كان لايكتفى بمجرّد وجدانه مكتوبا حتى يَشْهَد به مَنْ تلقّاه سمَاعا ، مع كون زيدٍ كان يحفظ ، فكان يفعل ذلك مبالغة فى الاحتياط .

وأخرج ابن أبى داود أيضاً من طريق هشام بن عُرْوة ،عن أبيه ، أنّ أبا بكر قال لعمرَ ولزيدٍ : اقعدا على باب المسجد ، فمَنْ جاءكما بشاهدَيْن على شىء من كتاب الله فاكتباه .رجاله ثقات مع انقطاعه .

قال ابنُ حجر: وكأنّ المراد بالشاهدين الحفظ والكتاب .

وقال السخاوىّ فى جمال القراء: المراد أنّهما يشهدان على أنّ ذلك المكتوب كتب بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو المراد أنهمّا يشهدان على أن ذلك من الوجوه التى نزل بها القرآن .

قال أبو شامة [(١)] : وكان غرضُهم ألاّ يكتب إلاّ مَنْ عينِ ما كُتِب بين يدى النبىّ صلى الله عليه وسلم ، لامن مجرّد الحفظ . قال : ولذلك قال فى آخر سورة التوبة : لم أجدها مع غيره ، أى لم أجدها مكتوبة مع غيره ، لأنه كان لايكتفى بالحفظ دون الكتابة .

قلت : أو المراد أنهما يشهدان على أنّ ذلك ممّا عرِض على النبىّ صلى الله عليه وسلم عامَ وفاته ، كما يؤخذ مما تقدّم آخر النوع السادس عشر .

وقد أخرج ابن أشتة فى المصاحف عن الّليث بن سعد ، قال : أوّل مَنْ جمع القرآن أبو بكر ، وكتبه زيد ، وكان الناس يأتون زيد بن ثابت ، فكان لايكتب آية

(١) أبو شامة عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسى المؤرخ المحدث ، صاحب كتاب الروضتين ، وله كتب فى علوم القرآن والقراءات ، ذكر الزركلى أن له كتاب المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالقرآن العزيز ، وقال : منه نسخة مخطوطة فى المكتبة البلدية بالقدس ، توفى سنة ٦٦٥ .الأعلام ٤ : ٧٠

إلا بشاهدَىْ عَدْل ، وأنّ آخِرَ سورة براءة لم تُوجد إلاّ مع خزيمة بن ثابت ، فقال : اكتبوها فإنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم جعل شهادته بشهادة رجلين ، فكتب . وإنّ عمر أُتِيَ بآية الرَّجْم : فلم يكتبها ، لأنه كان وحده .

وقال الحارث المحاسبيّ [١] فى كتاب فهم السنن : كتابة القرآن ليست بمحْدَثة فإنّه صلى الله عليه وسلم كان يأمر بكتابته ، ولكنه كان مفرّقًا فى الرقاع والأكتاف والعُسُب ، فإنما أمر الصِّدّيق بنسخها من مكانٍ إلى مكان مجتمعا ، وكان ذلك بمنزلة أوراقٍ وُجدت فى بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيها القرآن منتشرٌ ، فجمعها جامع ، وربطها بخيط حتى لا يضيعَ منها شىء .

قال : فإن قيل : كيف وقعت الثقة بأصحاب الرقاع وصدور الرجال ؟ قيل : لأنهم كانوا يُبدون عن تأليف معجزٍ ، ونظم معروف ، قد شاهدوا تلاوته من النبىّ صلى الله عليه وسلم عشرين سنة ، فكان تزوير ماليس منه مأمونًا ، وإنما كان الخوف من ذهاب شىء من صحفِه [٢] .

وقد تقدّم فى حديث زيد أنه جَمع القرآن من العُسُب واللِّخاف ، وفى روايةٍ «والرقاع» ، وفى أخرى : «وقطع الأديم» ، وفى أخرى : «والأكتاف» وفى أخرى : والأضلاع ، وفى أخرى : «والأقتاب» . فالعُسُب : جمع عسيب وهو جريد النخل ، كانوا يكشطون الخوص ويكتبون فى الطرف العريض . واللِّخاف : بكسر اللام وبخاء معجمة خفيفة ، آخره فاء : جمع لَخْفة بفتح اللام وسكون الخاء ، وهى الحجارة الدقاق ، وقال الخطابىّ : صفائح الحجارة . والرِّقاع : جمعُ رقعة ، وقد تكون من جلد أو ورَقٍ أو كاغَد . والأكتافِ جمع كَتف وهو العظم الذى للبعير أو الشاة ، كانوا إذا جَفّ كتبوا عليه . والأقتاب : جمع قَتَب هو الخشب الذى يوضع على ظهر البعير لِيُركَب عليه .

---

(١) هو الحارث بن أسد المحاسبى ، من أكابر الصوفية وصاحب كتاب الرعاية لحقوق الله عز وجل ، وغيره من كتب التصوف . توفى سنة ٢٤٣ . ابن خلكان ١ : ١٢٦

(٢) فى الأصل : «صحيحه»

وفى موطأ ابن وهب عن مالك، عن ابن شهاب، عن سالم بن عبد الله بن عمر قال: جمع أبو بكر القرآن فى قراطيس، وكان سأل زيد بن ثابت فى ذلك فأبى حتى استعان بعمر، ففعل.

وفى مغازى موسى بن عُقْبة، عن ابن شهاب: قال: لمّا أصيب المسلمون باليمامة، فزع أبو بكر، وخاف أن يذهب من القرآن طائفة، فأقبل النّاس بما كان معهم وعندهم، حتى جُمِع على عهد أبى بكر فى الورَق، فكان أبو بكر أوّل مَنْ جمع القرآن فى الصّحُف.

قال ابن حجر: ووقع فى رواية عمارة بن غزيّة، أنّ زيد بن ثابت قال: فأمرنى أبو بكر فكتبته فى قِطَع الأديم والعُسب، فلما هلك أبو بكر وكان عمر كتبتُ ذلك فى صحيفة واحدة، فكانت عنده.

قال: والأوّل أصحّ، إنما كان فى الإديم والعُسُب أوّلاً، قبل أن يجمع فى عهد أبى بكر، ثم جمع فى الصحف فى عهد أبى بكر ثم كما دلت عليه الأخبار الصحيحة المترادفة.

* * *

قال الحاكم: والجمع الثالث[1] هو ترتيب السور فى زمن عثمان، روى البخاريّ عن أنس أنّ حُذيفة بن اليمان قدم على عثمان، وكان يغازى أهلَ الشام فى فتح فرْج إرمينيَة وأذْربيجان مع أهل العراق، فأفزع حذيفة اختلافهمُ فى القراءة، فقال لعثمان: أدرِك الأمّة قبل أن يختلفوا اختلاف اليهود والنصارى. فأرسل إلى حفْصة: أن أرسِلى إلينا الصحف ننسخُها فى المصاحف، ثم نردّها إليك. فأرسلت بها حفصة إلى عثمان، فأمر زيد بن ثابت وعبد الله ابن الزّبير وسعيد بن العاصِى وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها فى المصاحف. وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت فى شىء من القرآن، فاكتبوه بلسان قريش، فإنه إنّما نزل بلسانهم، ففعلوا، حتى إذا نسخوا الصحف فى المصاحف، ردّ عثمان الصحف إلى حفصة، وأرسل إلى كلِّ أفق بمصحف ممّا نسخوا، وأمر بما سواه من القرآن فى كلّ صحيفة ومصحف أن يحرَق. قال زيد: فقدْت آية من الأحزاب حين نسخنا المصحف، قد كنت أسمع رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقرأ بها،

(١) انظر ذكر الجمع الأول والثانى فى ص ١٦٤

فالتمسناها فوجدناها مع خُزيمة بن ثابت الأنصارىّ : ﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَاعَاهَدُوا اللَّهَ عليه ﴾ ، (١) فألحقناها فى سورتها فى المصحف.

قال ابن حجر : وكان ذلك فى سنة خمس وعشرين. قال : وغفل بعض من أدركناه فزعم أنه كان فى حدود سنة ثلاثين ، ولم يذكر له مستندا . انتهى .

وأخرج ابن أشتة من طريق أيوّب عن أبى قُلابة ، قال : حدّثنى رجل من بنى عامر ، يقال له أنس بن مالك، قال : اختلفوا فى القراءة على عهد عثمان حتى اقتتل الغلمان والمعلمون ؛ فبلغ ذلك عثمانَ بن عفان ، فقال : عندى تكذبون به وتلحنون فيه ! فمَنْ نأى عنىّ كان أشدّ تكذيباً ، وأكثر لحنا . ياأصحاب محمد ، اجتمعوا فاكتبوا للنّاس إماما . فاجتمعوا فكتبوا ؛ فكانوا إذا اختلفوا وتدارءوا فى آية قالوا : هذه أقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم فلاناً ، فيرسل إليه وهو على رأس ثلاث من المدينة ، فقال له : كيف أقرأك رسول الله صلى الله عليه وسلم آية كذا وكذا ؟ فيقول: كذا وكذا ، فيكتبونها ، وقد تركوا لذلك مكانا .

وأخرج ابنُ أبى داود ، من طريق محمد بن سيرين ؛ عن كثير بن أفلح، قال : لمّا أراد عثمان أنْ يكتبَ المصاحف ، جمع له اثنى عشر رجلا من قُريش والأنصار ، فبعثوا إلى الرَّبْعه الّتى فى بيت عمر ، فجىء بها ، وكان عثمان يتعاهدُهم ، فكانوا إذا تدارءوا فى شىء أخروه .قال محمد : فظننت أنما كانوا يؤخّرونه لينظروا أحْدَثهم عهداً بالعَرْضة الأخيرة ؟ فيكتبونه على قوله .

وأخرج ابن أبى داود بسندٍ صحيح ، عن سُوَيد بن غَفَلة ، قال : قال علىّ : لاتقولوا فى عثمان إلا خيراً، فوالله مافعل الّذى فعل فى المصاحف إلا عن ملإٍ منّا ، قال : ماتقولون فى هذه القراءة ؟ فقد بلغنى أنّ بعضهم يقول : إن قراءتى خير من قراءتك ،

---

(١) سورة الأحزاب ٢٣

وهذا يكاديكون كفراً،قلنا:فما ترى؟قال : أرى أن يُجمَع الناس على مصحف واحد ، فلا تكون فرقة ولا اختلاف ، قلنا : نعم مارأيت

قال : ابن التين وغيره : الفرق بين جمع أبى بكر وجمع عثمان، أنّ جمع أبى بكر كان لخشيةِ أنْ يذهب من القرآن شىء بذهاب جملتِه، لأنه لم يكن مجموعاً فى موضع واحد، فجمعه فى صحائف مرتّباً لآيات سُورِه على ماوقفهم عليه النبىّ صلى الله عليه وسلم ، وجَمْع عثمان كانَ لمّا كثر الاختلاف فى وجوه القراءة ، حتى قرءوه بلغاتهم على اتّساع اللغات، فأدّى ذلك بعضَهم إلى تخطئة بعض ، فخشىَ من تفاقم الأمر فى ذلك ، فنسخ تلك الصحف فى مصحف واحد مرتّباً لسُوره ، واقتصر من سائر اللغات على لغة قريش، محتجّاً بأنّه نزل بلغتهم ، وإن كان قد وُسِّع قراءته بلغة غيرهم ، رفعاً للحرج والمشقة فى ابتداء الأمر ، فرأى أنّ الحاجة إلى ذلك قد انتهت، فاقتصر على لغة واحدة .

وقال القاضى [٢] أبو بكر فى الانتصار : لم يقصد عثمان قصد أبى بكر فى جمع نفس القرآن بين لوحين ،وإنّما قصد جمعهم على القراءات الثابتة المعروفة عن النبّى صلى الله عليه وسلم ، وإلغاء ماليس كذلك ،وأخذهم بمصحف لاتقديمَ فيه ولا تأخير،ولا تأويل أثبت مع تنزيل، ولامنسوخ تلاوته كتب مع مثبَت رسمه ومفروض قراءته وحفظه، خشية دخول الفساد والشبهة على مَنْ يأتى بعد .

وقال الحارث المحاسبى : المشهور عند النّاس إن جامع القرآن عثمان ، وليس كذلك، إنّما حمل عثمان الناس على القراءة بوجهٍ واحد على اختيار وقع بينه وبين مَنْ شهده من المهاجرين والأنصار، لمّا خشى الفتنة عند اختلاف أهل العراق والشام فى حروف القراءات؛ فأما قبل ذلك فقد كانت المصاحف بوجوهٍ من القراءات المطلقات على الحروف

---

(١) هو القاضى محمد بن الطيب أبو بكر الباقلانى،من علماء الكلام ، وصاحب كتاب إعجاز القرآن وغيره من الكتب فى علم الكلام. توفى سنة ٤٠٣. ابن خلكان ١ : ٤٨١

السبعة التى نزل بها القرآن ، فأما السابق إلى جمع الجملة فهو الصدّيق ؛ وقد قال على: لو وُلِّيتُ لعملت بالمصاحف عمل عثمان بها . انتهى .

فائدة

اختُلف فى عدّة المصاحف التى أرسل بها عثمان إلى الآفاق، فالمشهور أنها خمسة .

وأخرج ابنُ أبى داود من طريق حمزة الزّيات ، قال : أرسل عثمان أربعة مصاحف. قال ابن أبى داود : وسمعت أبا حاتم السّجستانىّ يقول : كتب سبعة مصاحف ، فأرسل إلى مكة وإلى الشام وإلى اليمن وإلى البحرين وإلى البصرة وإلى الكوفة ، وحبس بالمدينة واحداً .

* * *

فصل

الإجماع والنصوص المترادفة على أن ترتيب الآيات توفيقىّ ، لا شبهة فى ذلك ، وأما الإجماع فنقله غير واحد ، منهم الزركشىّ فى البرهان وأبو جعفر بن الزبير فى مناسباته ، وعبارته : ترتيب الآيات فى سورها واقعٌ بتوقيفه صلى الله عليه وسلم وأمره من غير خلاف فى هذا بين المسلمين . انتهى.

وسيأتى من نصوص العلماء مايدلّ عليه .

وأمّا النصوص ، فمنها حديث زيد السابق : « كنا عند النبى صلّى الله عليه وسلّم نؤلّف القرآن من الرّقاع » .

ومنها ماأخرجه أحمد وأبو داود والترمذى والنسائىّ وابن حِبّان والحاكم عن ابن عباس ، قال : قلت لعثمان : ماحملكم على أن عمدتم إلى الأنفال وهى من المثانى ، وإلى براءة وهى من المئين ، فقرنتم بينهما ولم تكتبوا بينهما سطر « بسم الله الرحمن الرحيم » ، ووضعتموها فى السّبع الطُّول ؟ فقال عثمان : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم تنزل عليه السّور ذوات العدد ، فكان إذا نزل عليه الشىء دعا بعضَ مَنْ كان يكتب ، فيقول : ضعوا هؤلاء الآيات فى السّورة التى يذكر فيها كذا وكذا . وكانت الأنفال من أوائل

ما نزل فى المدينة ، وكانت براءة من آخر القرآن نزولاً ، وكانت قصتها شبيهة بقصتها ، فظننت أنها منها ، فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبين لنا أنها منها ، فمن أجل ذلك قرنت بينهما ، ولم أكتب بينهما سطر « بسم الله الرحمن الرحيم » ووضعتها فى السبع الطُّوَل.

ومنها ماأخرجه أحمد بإسناد حسن ، عن عثمان بن أبى العاص ، قال : كنت جالساً عندرسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذ شخص ببصره ، ثم صوّبه ، ثم قال : « أتانى جبريل ، فأمرنى أن أضع هذه الآية هذا الموضع من هذه السورة: ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى ..﴾ [1] إلى آخرها » .

ومنها ماأخرجه البخارىّ عن ابن الزّبير قال : قلتُ لعثمان : ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجاً...﴾ [2] قدنسختها الآية الأخرى ، فلم تكتبها أو تدعها ؟ قال : يابن أخى ، لاأغيّر شيئا منه من مكانه .

ومنها مارواه مسلم عن عمر ، قال : ماسألت النبىّ صلى الله عليه وسلم عن شىء أكثر مما سألته عن الكلالة ، حتى طعن بأصبعه فى صدرى وقال : « تكفيك آية الصّيف الّتى فى آخر سورة النساء ».

ومنها الأحاديث فى خواتيم سورة البقرة .

ومنها مارواه مسلم عن أبى الدرداء مرفوعاً: « من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدّجال » ، وفى لفظ عنده: « مَنْ قرأ العشر الأواخر من سورة الكهف ».

ومن النصوص الدّالة على ذلك إجمالاً ماثُبت من قراءته صلى الله عليه وسلم لسورٍ عديدة ، كسورة البقرة وآل عمران والنّساء فى حديث حُذيفة ، والأعراف فى صحيح البخارى ، أنه قرأها فى المغرب ، وقد أفلح ، روى النسائىّ ، أنه قرأها فى الصبح حتى إذا جاء

---

(١) سورة النحل ٩٠ (٢) سورة البقرة ٢٣٤

ذكر موسى وهارون أخذته سَعْلةٌ فركع . والرّوم رَوَى الطَّبَرانّى أنه قرأها فى الصبح. وألمْ تنزيل وهل أتى على الإنسان روى الشيخان أنه كَان يقرؤهما فى صبح الجمعة ، وق فى صحيح مسلم أنه كان يقرؤها فى الخطبة ، والرحمن فى المستدرك وغيره أنه قرأها على الجنّ ، والنجم فى الصحيح قرأها بمكة على الكفار وسجد فى آخرها . واقتربت عند مسلم أنه كان يقرؤها مع ق فى العيد والجمعة . والمنافقون فى مُسلم أنه كان يقرأ بها فى صلاة الجمعة . والصفّ فى المستدرك عن عبد الله بن سلام أنه صلى الله عليه وسلم قرأها عليهم حين أنزلتْ حتى ختمها ؛ فى سُور شتى من المفصّل تدلّ قراءته صلى الله عليه وسلم لها بمشهد من الصحابة أنّ ترتيب آيها توقيفيّ ، وما كان الصحابة ليرتبوا ترتيبًا سمعوا النبى صلى الله عليه وسلم يقرأ على خلافه ، فبلغ ذلك مبلغ التواتر ؛ نعم يُشكل على ذلك ما أخرجه ابن داود فى المصاحف من طريق محمد بن إسحاق عن يحيى بن عباد بن عبد الله ابن الزبير ، عن أبيه قال : أتى الحارث بن خزيمة بهاتين الآيتين من آخر سورة براءة ، فقال : أشهد أنى سمعتهما من رسول الله صلى الله عليه وسلم ووعيتُهما ، فقال عمر : وأنا أشهد ، لقد سمعتهما . ثمّ قال : لو كانت ثلاث آياتٍ لجعلتُها سورةً على حدة ، فانظروا آخر سورة من القرآن ، فألحقوها فى آخرها .

قال ابن حجر : ظاهر هذا أنهم كانوا يؤلّفون آيات السور باجتهادهم ، وسائر الأخبار تدلّ على أنّهم لم يفعلوا شيئا من ذلك إلاّ بتوقيف .

قلت : يعارضه ما أخرجه ابنُ أبى داود أيضا ، من طريق أبى العالية ، عن أُبَىّ بن كعب ، أنهم جمعوا القرآن ؛ فلمّا انتهوْا إلى الآية التى فى سورة براءة : ﴿ ثُمَّ انْصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ ﴾ [1] ظنوا أن هذا آخر ما أنزل ، فقال أُبىّ : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقرأنى بعد هذا آيتين : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُم رَسُولٌ ... ﴾ [2] إلى آخر السورة .

---

(١) سورة التوبه ١٢٧ (٢) سورة التوبة ١٢٨ ، ١٢٩

وقال مَكّيّ وغيره: ترتيب الآيات فى السور بأمرٍ من النبى صلى الله عليه وسلم، ولمّا لم يَأمر بذلك فى أوّل براءة تُركتْ بلا بسملة.

وقال القاضى أبو بكر فى الانتصار: ترتيب الآيات أمرٌ واجب، وحكم لازم، فقد كان جبريل يقول: «ضعوا آية كذا فى موضع كذا».

وقال أيضاً: الذى نذهب إليه أن جميع القرآن الّذِى أنزله الله وأمر بإثبات رسمه ولم ينسخه ولا رفع تلاوته بعد نزوله، هو هذا الذى بين الدَّفَّتَيْن الذى حواه مصحف عثمان، وأنه لم ينقصْ منه شىء، ولا زيد فيه، وأن ترتيبه ونظمه ثابت على مانظمه الله تعالى، ورتّبه عليه رسولُه من آى السور، لم يقدَّم من ذلك مؤخَّر ولا أُخِّر منه مقَدَّم، وإنّ الأمّة ضبطت عن النبىّ صلى الله عليه وسلم ترتيب آى كلّ سورة ومواضعها، وعرفت مواقعها، كما ضبطت عنه نفس القراءات وذات التلاوة، وإنه يمكن أن يكون الرسول صلى الله عليه وسلم قد رتّب سوره، وأن يكون قد وكَّل ذلك إلى الأمّة بعده، ولم يتولَّ ذلك بنفسه. قال: وهذا الثانى أقرب.

وأخرج.... [1] عن ابن وهب، قال: سمعتُ مالكاً يقول: إنّما أُلِّف القرآن على ما كانوا يسمعون من النبىّ صلىّ الله عليه وسلم.

وقال البغوىّ فى شرح السنة: الصحابة رضى الله عنهم جمعوا بين الدّفّتين القرآن الذى أنزله الله على رسوله، من غير أن زادوا أو نقصوا منه شيئاً، خوفَ ذهاب بعضِه بذهاب حَفَظتِه، فكتبوه كما سمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير أن قدموا شيئاً أوأخّروا، ووضعوا له ترتيباً لم يأخذوه من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقّن أصحابه ويعلّمهم مانزل عليه من القرآن على الترتيب الذى هو الآن فى مصاحفنا، بتوقيف جبريل إيّاه على ذلك، وإعلامه عند نزول كل آية، أن هذه الآية تكتب عقِب آية كذا فى سورة كذا، فثبت أنّ سعىَ الصحابة كان فى جمعه فى موضع واحد لا فى ترتيبه، فإن القرآن مكتوبٌ فى اللّوح المحفوظ على هذا الترتيب، أنزله الله جملة إلى

---

(١) بياض فى الأصل

السماء الدنيا ، ثم كان ينزله مفرّقاً عند الحاجة ، وترتيب النزول غير ترتيب التلاوة .

وقال ابن الحصّار : ترتيب السُّوروضع الآيات مواضعها إنّما كان بالوحى ، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: « ضعوا آية كذا فى موضع كذا »،وقد حصل اليقين من النَّقل المتوتر بهذا الترتيب من تلاوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وممّا أجمع الصحابة على وضعه هكذا فى المصحف .

فصــل

وأمّا ترتيب السور؛ فهل هو توقيفيّ أيضا ،أوهو باجتهاد من الصحابة ؟خلاف، فجمهور العلماء على الثانى ، منهم مالك والقاضى أبو بكر فى قوليْه .

قال ابن فارس :جمع القرآن على ضربيْن:أحدهما تأليف السّور كتقديم السَّبع الطوَل وتعقيبها بالمئين ، فهذا هو الذي تولّته . الصحابة ، وأما الجمع الآخر وهوجمع الآيات فى السور ؛ فهو توقيفى تولاه النبىّ صلى الله عليه وسلم ، كما أخبر به جبريل عن أمر ربه . ومما استُدلّ به لذلك اختلاف مصاحف السلف فى ترتيب السور، فمنهم مَنْ رتّبها على النزول، وهو مصحف علىّ ، كان أوله: اقرأ ، ثمّ المدثر ، ثم ن، ثم المزمل، ثم تبت، ثم التكوير، وهكذا إلى آخر المكىّ والمدنىّ ، وكان أوّل مصحف ابن مسعودٍ البقرة ، ثم النساء ، ثم آل عمران ؛ على اختلاف شديد ، وكذا مصحف أُبىّ وغيره .

وأخرج ابن أشتة فى المصاحف من طريق إسماعيل بن عياش عن حبّان بن يحيى عن أبى محمد القرشىّ ، قال : أمرهم عثمان أن يتابعوا الطُّوَل، فجعلت سورة الأنفال وسورة التوبة فى السّبع ، ولم يفصل بينهما ببسم الله الرحمن الرحيم .

وذهب إلى الأوّل جماعة منهم القاضى فى أحد قوليه .

قال أبو بكر بن الأنبارىّ: أنزل الله القرآن كلّه إلى سماء الدنيا ، ثم فرّقه فى بضع وعشرين، فكانت السورة تنزل لأمرٍ يحدث، والآية جوابا لمستخبرٍ ، ويوقف جبريل النبىّ صلى الله

عليه وسلم على موضع الآية والسورة ، فاتّساق السّور كاتّساق الآيات والحروف ، كلّه عن النبى صلى الله عليه وسلم ، فمن قدّم سورةً أو أخّرها فقد أفسد نظم القرآن .

وقال الكرمانىّ فى البرهان : ترتيب السّور هكذا هو عند الله فى اللّوح المحفوظ على هذا الترتيب ، وعليه كان صلى الله عليه وسلم يعرض على جبريل كلّ سنة ما كان يجتمع عنده منه ، وعرضه عليه فى السنة التى توفّىَ فيها مرتين ، وكان آخر الآيات نزولا : ﴿ واتّقوا يوماً ترجَعون فيهِ إلى اللهِ ﴾ ، فأمره جبريل أن يضعها بين آيتى الربا والدَّيْن .

وقال الطِّيبىّ : أنزل القرآن أوّلاً جملةً واحدة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا ، ثم نزل مفرّقاً على حسب المصالح ، ثم أثبت فى المصاحف على التأليف والنظم المثبت فى اللوح المحفوظ .

قال الزركشىّ فى البرهان : والخلاف بين الفريقين لفظىّ ، لأن القائل بالثانى يقول إنه رمز إليهم بذلك لعلمهم بأسباب نزوله ومواقع كلماته ، ولهذا قال مالك : إنّما ألفوا القرآن على ما كانوا يسمعونه من النبىّ صلى الله عليه وسلم مع قوله بأنّ ترتيب السور باجتهاد منهم ، فآل الخلافِ إلى أنه : هل هو بتوقيف قولىّ أو بمجرد استنادٍ [1] فعلىّ ، بحيث بَقِىَ لهم فيه مجال للنظر . وسبقه الى ذلك أبو جعفر بن الزبير .

وقال البيهقىّ فى المدخل : كان القرآن على عهد النبىّ صلى الله عليه وسلم مرتّباً سوره وآياته على هذا الترتيب ، إلا الأنفال وبراءة ، لحديث عثمان السابق . ومال ابن عطية إلى أنّ كثيراً من السور كان قد علِم ترتيبها فى حياته صلى الله عليه وسلّم ، كالسبع الطُّوَل والحواميم والمفصّل ، وإن ماسوى ذلك يمكن أن يكون قد فُوِّض الأمر فيه إلى الأمة بعده .

وقال أبو جعفر بن الزبير : الآثار تشهد بأكثر مما نصّ عليه ابن عطيّة ، ويبقى منها قليل يمكن أن يجرى فيه الخلاف ، كقوله : « اقرءوا الزَّهراوين : البقرة وآل عمران » ، رواه مسلم ، وكحديث سعيد بن خالد : « قرأ صلى الله عليه وسلم بالسّبع الطُّوَل فى ركعة » . رواه ابن أبى شيبة فى

---

(١) البرهان ١ : ٢٥٧

مصنفه ، وفيه أنه عليه الصلاة والسلام كان يجمع المفصّل فى ركعة .

وروى البخاريّ عن ابن مسعود أنه قال فى بنى إسرائيل والكهف ومريم وطه والأنبياء: « إنّهنّ من العِتاق الأُوَل ، وهنّ من تلادى » ، فذكرها نسقاً كما استقرّ ترتيبها .

وفى البخاريّ أنه صلى الله عليه وسلم كان إذا أوَى إلى فراشه كلّ ليلة ، جمع كفّيه ، ثم نفث فيهما ، فقرأ : قل هو الله أحد والمعوذتين .

وقال أبو جعفر النحاس : المختار أن تأليف [1] السور على هذا الترتيب من رسول الله صلى الله عليه وسلم لحديث واثلة : « أُعْطِيت مكان التوراة السبع الطُّوَل ... » [2] الحديث .

قال : فهذا الحديث يدلّ على أن تأليف القرآن مأخوذ عن النبيّ صلى الله عليه وسلم وأنه من ذلك الوقت ، وإنما جمع فى المصحف على شىء واحد ، لأنه قد جاء هذا الحديث بلفظ رسول الله صلى الله عليه وسلم على تأليف القرآن .

وقال ابنُ الحصّار : ترتيب السور ووضْع الآيات مواضعها إنما كان بالوحى .

وقال ابنُ حجر : ترتيب بعض السور على بعضها ، أو معظمها ، لا يمتنع أن يكون توقيفيًّا . قال : ومما يدلّ على أنّ ترتيبها توقيفيّ ما أخرجه أحمد وأبو داود عن أوْس بن أبى أوس حذيفة الثقفيّ ، قال : كنت فى الوفد الّذين أسلموا من ثَقيف ... الحديث . وفيه : فقال لنا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « طرأ علىّ حِزْبى من القرآن ، فأردت ألّا أخرج حتى أقضِيَه » ، فسألنا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قلنا : كيف تحزّبون القرآن ؟ قالوا : نحزّبه ثلاث سور ، وخمس سور ، وسبع سور ، وتسع سور ، وإحدى عشرة ، وثلاث عشرة ، وحزب المفصّل من ق حتى نختم . قال : فهذا يدلّ على أن ترتيب السّور على ما هو فى المصحف الآن كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : ويحتمل أنّ الذى كان مرتّباً حينئذ حزب المفصَّل خاصة ، بخلاف ما عداه .

---

(١) ط : « تأويل » ، وصوابه من الأصل

(٢) ط ساقطة من

قلت : ومما يدلّ على أنه توقيفيّ كون الحواميم رتّبت وِلاء ، وكذا الطواسين ، ولم ترتب المسبّحات وِلاء ، بل فصل بين سورها ، وفصل بين طسم الشعراء وطسم القصص بطس مع أنها أقصر منهما ، ولو كان الترتيب اجتهاديًّا لذكرت المسبحات وِلاء وأخرت طس (١) عن القَصص . والذى ينشرح له الصدر ماذهب إليه البيهقىّ ، وهو أنّ جميع السور ترتيبها توقيفىّ إلاّ براءة والأنفال ، ولا ينبغى أن يُستَدَلّ بقراءته صلى الله عليه وسلم سوَراً وِلاء على أن ترتيبها كذلك ؛ وحينئذ فلا يردُ حديث قراءته النّساء قبل آل عمران لأن ترتيب السور فى القراءة ليس بواجب ، فلعلّه فعل ذلك لبيان الجواز .

وأخرج ابنُ أشتة فى كتاب المصاحف من طريق ابن وهب عن سليمان بن بلال ، قال : سمعت ربيعة يسأل : لِمَ قُدّمت البقرة وآل عمران وقد نزل قبلهما بضع وثمانون سورة بمكة ، وإنما أنزلتا بالمدينة ؟ فقال : قُدّمتا وأُلّف القرآن على علمٍ ممن ألّفه به ومَنْ كان معه فيه ، واجتماعهم على علمهم بذلك ، فهذا مِمّا ينتهى إليه ، ولا يُسأل عنه .

خاتمة

السبع الطُّوَل : أولها البقرة وآخرها براءة . كذا قال جماعة ؛ لكن أخرج الحاكم والنّسائىّ وغيرُهما عن ابن عباس قال : السّبع الطُّوَل البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف . قال الراوى : وذكر السابعة فنسيتُها ، وفى رواية صحيحة عن ابن أبى حاتم وغيره عن سعيد بن جبير ، أنها يونس ، وتقدم عن ابن عباس مثله فى النوع الأوّل ، وفى رواية عند الحاكم أنها الكهف .

والمئون : ماوليَها ، سميت بذلك ، لأن كل سورة منها تزيد على مائة آية أو تقاربها .

والمثانى : ماولى المئين ، لأنها ثنتها ، أى كانت بعدها ، فهى لها ثوان والمئون لها أوائل . وقال الفَرّاء : هى السورة التى آيها أقلّ من مائة ، لأنها تُثنّى أكثر مما يُثنّى الطُّوَل والمئون . وقيل : لتثنية الأمثال فيها بالعبَر والخبر . حكاه النِّكزاوىّ

(١) طس ، هى سورة النمل .

وقال فى جمال القراء : هى السور التى ثُنيتْ فيها القصص ، وقد تُطلق علي القرآن كلّه وعلى الفاتحة كما تقدّم .

والمفصّل : ماولِيَ المثانى من قصار السُّور ، سمىّ بذلك لكثرة الفصول التى بين السور بالبسملة ، وقيل لقلّة المنسوخ منه ، ولهذا يسمَّى بالمحكم أيضا ، كما روى البخارىّ عن سعيد بن جُبير ، قال : إنّ الذى تدعونه المفصّل هو المحكَم ، وآخره سورة الناس بلا نزاع .

واختلف فى أوّله على اثنى عشر قولا :

أحدها : ق ، لحديث أوس السابق قريبا .

الثانى : الحُجرات ، وصحّحه النّووىّ .

الثالث : القتال ، عَزاه الماوردىّ للأكثرين .

الرابع : الجاثية ، حكاه القاضى عياض .

والخامس : الصافّات .

السادس : الصفّ .

السابع : تبارك . حكى الثلاثةَ ابن أبى الصَّيف اليمنىّ فى نكته على التنبيه .

التاسع : الرحمن ، حكاه ابن السِّيد فى أماليه على الموطأ .

العاشر : الإنسان .

الحادى عشر : سبّح ، حكاه ابن الفِرْكاح [1] فى تعليقه عن المرزوقى .

الثانى عشر : الضحى ، حكاه الخطابىّ ووجهه بأن القارئ يفصل بين هذه السور بالتكبير . وعبارة الراغب فى مفرداته : المفصَّل من القرآن السبع الأخير .

---

(١) هو عبد الرحمن بن إبراهيم بن سباع الفزارى تاج الدين بن الفركاح ، مؤرخ من علماء الشافعية . توفى سنة ٦٩٠ . طبقات الشافعية ٥ : ٦٠ .

فائدة

المفصل طِوالٌ وأوساط وقصارٌ ، قال ابن معن: فطواله إلى عَمَّ، وأوساطه منها إلى الضحى ، ومنها إلى آخر القرآن قصاره. هذا أقرب ماقيل فيه .

تنبيـــه

أخرج بن أبي داود فى كتاب المصاحف ، عن نافع ، عن ابن عمر، أنه ذُكر عنده المفصّل فقال : وآى القرآن ليستْ بمفصّل ، ولكن قولوا : قصار السور وصغار السُّور. وقد استُدلّ بهذا على جواز أن يقال : سورة قصيرة أو صغيرة . وقد كره ذلك جماعة منهم أبو العالية ، ورخّص فيه آخرون . ذكره ابن أبي داود .

وأخرج عن ابن سيرين وأبى العالية قالا: لاتقلْ : سورة خفيفة فإنه تعالى يقول : ﴿ سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلًا ﴾[1] ، ولكن سورة يسيرة .

فائدة

[فى ترتيب مصحَفى أُبىّ وابن مسعود]

قال ابن أشتة فى كتاب المصاحف: أنبأنا محمد بن يعقوب، حدثنا أبو داود ، حدثنا أبو جعفر الكوفىّ ، قال : هذا تأليف مصحف أُبَىّ: الحمد ، ثمّ البقرة ، ثمّ النساء ، ثمّ آل عمران ، ثمّ الأنعام ، ثمّ الأعراف ، ثمّ المائدة ، ثمّ يونس ، ثمّ الأنفال ، ثمّ براءة ، ثمّ هود ، ثمّ مريم ، ثمّ الشعراء ، ثمّ الحجّ ، ثمّ يوسف ، ثمّ الكهف ، ثمّ النحل ، ثمّ الأحزاب ، ثمّ بنى إسرائيل ، ثمّ الزمر أوّلها حم ، ثمّ طه ، ثمّ الأنبياء ، ثمّ النور ، ثم المؤمنون ، ثمّ سبأ ، ثم العنكبوت ، ثمّ المؤمن ، ثمّ الرعد ، ثمّ القصص ، ثمّ النمل ، ثمّ الصافات ، ثمّ ص ، ثمّ يس ، ثمّ الحجر ، ثمّ حمعسق ، ثمّ الروم ، ثمّ الحديد ، ثمّ الفتح ، ثمّ القتال ، ثمّ الظهار ، ثمّ تبارك الملك ، ثمّ السجدة ، ثمّ إنا أرسلنا نوحا ، ثمّ الأحقاف ، ثمّ ق ، ثمّ الرحمن ، ثمّ الواقعة ، ثمّ الجنّ ، ثمّ النجم ، ثمّ سأل سائل ، ثم المزمّل ، ثم المدّثر ، ثمّ اقتربت ، ثمّ حم ، الدخان ، ثمّ لقمان

---

(١) سورة المزمل ٥

ثمّ حم الجاثية ، ثمّ الطور ، ثمّ الذاريات ، ثمّ ن ، ثمّ الحاقة ، ثمّ الحشر ، ثمّ الممتحنة ثمّ المرسلات ، ثمّ عمّ يتساءلون ، ثمّ لاأقسم بيوم القيامة ، ثمّ إذا الشمس كُوّرت ، ثمّ يأيّها النّبى إذا طلّقتم النساء ، ثمّ النازعات ، ثمّ التغابن ، ثمّ عبس ، ثمّ المطففين ، ثمّ إذا السماء انشقّت ، ثمّ والتّين والزيتون ، ثمّ اقرأ باسم ربك ، ثمّ الحُجُرات ، ثمّ المنافقون ، ثمّ الجمعة ، ثمّ لم تحرّم ، ثمّ الفجر ، ثمّ لاأقسم بهذا البلد ، ثمّ والليل ، ثمّ إذا السماء انفطرت ، ثمّ والشمس وضحاها ، ثمّ والسماء والطارق ، ثمّ سبّح اسم ربك ، ثمّ الغاشية ، ثمّ الصّف ، ثمّ سورة أهل الكتاب وهى لم يكن ، ثمّ الضّحى ، ثمّ ألم نشرح ، ثمّ القارعة ، ثمّ التكاثر ، ثمّ العصر ، ثمّ سورة الخلع ، ثمّ سورة الحفْد ، ثمّ ويلٌ لكل هُمزة ، ثمّ إذا زلزلت ، ثمّ العاديات ، ثمّ الفيل ، ثمّ لإيلاف ، ثمّ أرأيت ، ثمّ إنا أعطيناك ، ثمّ القدْر ، ثمّ الكافرون ، ثمّ إذا جاء نصر الله ، ثمّ تبّتْ ، ثمّ الصّمد ، ثمّ الفلق ، ثمّ النّاس .

* * *

قال ابنُ أشتة أيضا : وأخبرنا أبو الحسن بن نافع ، أنّ أبا جعفر محمد بن عمرو بن موسى حدّثهم ، قال : حدّثنا محمّد بن إسماعيل بن سالم ، حدّثنا علىّ بن مِهْران الطائىّ ، حدّثنا جرير بن عبد الحميد ، قال : تأليف مصحف عبد الله بن مسعود :

الطّوَل : البقرة ، والنساء ، وآل عمران ، والأعراف ، والأنعام ، والمائدة ويونس .

والمئين : براءة ، والنحل ، وهود ، ويوسف ، والكهف ، وبنى إسرائيل ، والأنبياء ، وطه ، والمؤمنون ، والشعراء ، والصافات .

والمثانى : الأحزاب ، والحجّ ، والقصص ، وطس النمل ، والنّور ، والأنفال ، ومريم ، والعنكبوت ، والرّوم ، ويس ، والفرقان ، والحجر والرّعد ، وسبأ ، والملائكة ، وإبراهيم ، وص ، والّذين كفروا ، ولقمان ، والزّمر ، والحواميم : حمْ المؤمن ، والزخرف ، والسجدة ، وحمعسق والأحقاف ، والجاثية ، والدخان ، وإنا فتحنالك ، والحشر ، وتنزيل السجدة ، والطلاق ، ون والقلم ، والحجرات ،

وتبارك ، والتغابن ، وإذا جاءك المنافقون ، والجمعة ، والصف ، وقل أوحِىَ ، وإنّا أرسلنا ، والمجادلة ، والممتحنة ، ويأيّها النبى لم تحرم .

والمفصّل : الرحمن ، والنجم ، والطور ، والذاريات ، واقتربت الساعة ، والواقعة ، والنازعات ، وسأل سائل ، والمدثّر ، والمزمل ، والمطففين ، وعبَس ، وهل أتى ، والمرسلات ، والقيامة ، وعمّ يتساءلون ، وإذا الشمس كُوّرت ، وإذا السماء انفطرت ، والغاشية ، وسبّح ، والليل ، والفجر ، والبُروج ، وإذا السماء انشقّت ، واقرأ باسم ربك ، والبلد ، والضّحى ، والطارق ، والعاديات ، وأرأيت ، والقارعة ، ولم يكن ، والشمس وضحاها ، والتّين ، وويل لكلّ همزة وألم تر كيف ، ولإيلاف قريش ، وألهاكم ، وإنا أنزلناه ، وإذا زلزلت ، والعصر ، وإذا جاء نصر الله ، والكوثر ، وقل يأيها الكافرون ، وتبّت ، وقل هو الله أحد ، وألم نشرح ، وليس فيه الحمد ، ولا المعوّذتان .

النوعُ التاسعُ عشر
في عددِ سُوره وآياتِه وكلماتِه وحُروفه

أمّا سُوَره فمائة وأربع عشرة سورة بإجماع مَنْ يُعتدّ به ، وقيل: وثلاث عشرة بجعل الأنفال وبراءة سورة واحدة . أخرج أبو الشيخ عن أبي رَوْق قال: الأنفال وبراءة سورة واحدة .

وأخرج عن أبي رجاء قال: سألت الحسن عن الأنفال وبراءة: سورتان أم سورة؟ قال: سورتان.

ونقل مثل قول أبي رَوْق عن مجاهد ، وأخرجه ابنُ أبي حاتم عن سفيان .

وأخرج ابن أشتة ، عن ابن لهيعة ، قال: يقولون : إن براءة مِنْ يسألونك[1] وإنّما لم تكتب براءة « بسم الله الرحمن الرحيم » لأنها من « يسألونك » وشبهتُهم اشتباه الطرفين وعدم البسملة . ويردّه تسمية النبيّ صلى الله عليه وسلم كلاًّ منهما .

ونقل صاحب الإقناع ، أنّ البسملة ثابتة لبراءة في مصحف ابن مسعود ، قال : ولا يؤخذ بهذا .

قال القشيريّ : الصحيح أنّ التسمية لم تكن فيها ، لأنّ جبريل عليه السلام لم ينزل بها فيها .

وفي المستدرك عن ابن عباس قال : سألتُ عليّ بن أبي طالب : لِمَ لَمْ تكتب في براءة بسم الله الرحمن الرحيم ؟ قال : لأنّها أمان ، وبراءة نزلت بالسيف .

وعن مالك أنّ أوّلها لما سقط سقط معه البسملة ؛ فقد ثبت أنّها كانت تعدل البقرة لطولها .

وفي مصحف ابن مسعود مائة واثنتا عشرة سورة ، لأنه لم يكتب المعوّذتيْن . وفي مصحف أُبَيّ ست عشرة ، لأنه كتب في آخره سورتَيِ الحَفْد والخَلْع .

أخرج أبو عُبيد عن ابن سِيرين ، قال : كتب أُبيّ بن كعب في مصحفِه فاتحة الكتاب والمُعوّذتين ، واللهم إنّا نستعينك ، واللّهم إياك نعبد، وتركهُنّ ابن مسعود ، وكتب عثمان منهنّ فاتحة الكتاب والمعوّذتين .

---

(١) أي من الأنفال ، وأولها : « يسألونك عن الأنفال » .

وأخرج الطَبرانىّ فى الدعاء من طريق عبّاد بن يعقوب الأسدىّ،عن يحيى بن يعلى الأسلمى ، عن ابن لَهيعة ، عن ابن هبيرة عن عبدالله بن زُرير الغافقىّ،قال: قال لى عبد الملك ابن مروان : لقد علِمتُ ماحملك على حبّ أبى تراب، إلّا انّك أعرابىّ جافٍ ، فقلت : والله لقد جمعتُ القرآن من قبل أن يجتمع أبواك ، ولقد علّمنى منه علىّ بن أبى طالب سورتيْن علّمهما إيّاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ماعلمتَهما أنت ولا أبوك :اللهمّ إنا نستعينك ونستغفرك ، ونُثنى عليك ولا نكفُرك،ونخلع ونتركُ مِنْ يفجُرك . اللهمّ إيّاك نعبد ، ولك نصلى ونسجد ، وإليك نسعى ونحفِد ، نرجو رحمتك ونخشى عذابك، إن عذابك بالكفار ملحِق .

وأخرج البيهقىّ من طريق سفيان الثورى ، عن ابن جُريج ، عن عطاء ،عن عبيد بن عُمير ، أنّ عمر بن الخطاب قنت بعد الركوع، فقال : بسم الله الرحمن الرحيم ، اللهمّ إنا نستعينُك ونستغفِرُك ، ونُثنى عليك ولا نكفرُك ، ونخلع ونتركُ مَن يفجُرك . بسم الله الرحمن الرحيم اللهم إيّاك نعبد ، ولك نصلّى ونسجد ، وإليك نسعى ونحفِد،نرجو رحمتك، ونخشى نقمتك،إن عذابك بالكافرين ملحِق .

قال ابن جُريج : حكمة البسملة أنّهما سورتان فى مصحف بعض الصحابة .

وأخرج محمد بن نصر المروزىّ فى كتاب الصّلاة ،عن أبىّ بن كعب أنه كان يقنتُ بالسورتين ،فذكرهما، وأنّه كان يكتبهما فى مصحفه .

وقال ابن الضُّريس : أنبأنا أحمد بن جميل المروزىّ عن عبد الله بن المبارك ، أنبأنا الأجلح عن عبد الله بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، قال : فى مصحف ابن عباس قراءة أُبىّ وأبى موسى : بسم الله الرحمن الرحيم. اللهم إنا نستعينك ونستغفرك ، ونثنى عليك الخيْر ، ولا نكفرك،ونخلع ونتركُ مَنْ يفجرك . وفيه : اللهمّ إيّاك نعبدُ ،ولك نصلى ونسجد ، وإليك نسعى ونحفِد ، نخشى عذابك،ونرجو رحمتك ، إن عذابك بالكفار ملحِق .

وأخرج الطبرانىّ بسند صحيح ،عن أبى إسحاق،قال :أمّنا أميّة بن عبد الله بن خالد بن أسيد ، بخراسان، فقرأ بهاتين السورتين : إنا نستعينك ونستغفرك .

وأخرج البيهقيّ وأبوداود فى المراسيل عن خالد بن أبى عمران ، أنّ جبريل نزل بذلك على النبيّ صلى الله عليه وسلم وهو فى الصّلاة مع قوله: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شىءٌ ... ﴾[1] الآية ، لمّا قنَت يدعو على مُضر .

تنبيه

كذا نقل جماعة عن مصحف أُبَيّ أنه ست عشرة سورة ، والصواب أنه خمس عشرة ، فإن سورة الفيل وسورة لإيلاف قريش فيه سورة واحدة ، ونقل ذلك عن السخاويّ فى جمال القراء ، عن جعفر الصادق وأبى نَهيك أيضاً .

قلت : ويردّه ماأخرجه الحاكم والطّبرانىّ من حديث أمّ هانى ، أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « فضّل الله قريشاً بسبع ... » الحديث ، وفيه : « وإن الله أنزل فيهم سورة من القرآن لم يذكر فيها معهم غيرهم : لإيلاف قريش » .

وفى كامل الهذلىّ عن بعضهم أنه قال : الضحى وألم نشرح سورة واحدة ، نقله الإمام الرازىّ فى تفسيره عن طاوس وعمر بن عبد العزيز .

فائدة

قيل: الحكمة فى تسوير القرآن سُوَرًا تحقيق كون السورة بمجرّدها معجزة وآية من آيات الله ، والإشارة إلى أن كلّ سورةٍ نمطٌ مستقلّ ؛ فسورة يوسف تترجم عن قصته ، وسورة براءة تترجم عن أحوال المنافقين وأسرارهم ، إلى غيرذلك . وسُوّرت السّور طوالاً وأوساطاً وقصاراً ؛ تنبيها على أن الطّول ليس من شرط الإعجاز ، فهذه سورة الكوثر ثلاث آيات ، وهى معجزة إعجاز سورة البقرة ، ثم ظهرت لذلك حكمة فى التعليم وتدريج الأطفال من السُّور القصار إلى ما فوقها ، تيسيرا من الله على عباده لحفظ كتابه .

قال الزركشيّ فى البرهان : فإن قلتَ : فهلّا كانت الكتب السالفة كذلك ؟

قلت : لوجهين ، أحدهما أنها لم تكن معجزات من جهة[2] النظم والتّرتيب ، والآخر

---

(١) سورة آل عمران ١٢٨ (٢) البرهان : « من ناحية » .

أنها تيسّر للحفظ ، لكن ذكر الزمخشرىّ مايخالفه ، فقال فى الكشاف :

الفائدة فى تفصيل القرآن وتقطيعه سورًا كثيرة، وكذلك أنزل الله التوراة والإنجيل والزّبور ، وما أوحاه إلى أنبيائه مسوّرة، وبوّب المصنّفون فى كتبهم أبوابًا موشّحة الصدور بالتراجم ، منها أنّ الجنس إذا انطوت تحته أنواع وأصناف ، كان أحسن وأفخم من أن يكون بابا واحدًا . ومنها أن القارىء إذا ختم سورة أو بابا من الكتاب ، ثم أخذ فى آخر ، كان أنشط له ، وأبعث عن التحصيل منه لو استمرّ على الكتاب بطوله ، ومثله المسافر إذا قطع ميلًا أو فرسخا [وانتهى إلى رأس برية] [١] نفّس ذلك منه ، ونشط [٢] للسير، ومن ثم جُزّئ القرآن أجزاء وأخماسا . ومنها أن الحافظ إذا حذق السورة اعتقد أنه أخذ من كتاب الله طائفة مستقلة بنفسها ، فيعظم عنده ما حفظه . ومنه حديث أنس : « كان الرّجل إذا قرأ البقرة وآل عمران جدّ [٣] فينا ». ومن ثمّ كانت القراءة فى الصلاة بسورة أفضل . ومنها التفصيل بسبب تلاحُق الأشكال والنظائر ملائمة بعضها لبعض، وبذلك تتلاحظ المعانى والنظم ، إلى غير ذلك من الفوائد. [٤] انتهى .

وماذكره الزّمخشرىّ من تسوير سائر الكتب هو الصحيح أو الصواب ، فقد أخرج ابن أُبى حاتم ، عن قتادة ، قال : كنّا نتحدّث أن الزّبور مائة وخمسون سورة ، كلها مواعظ وثناء ليس فيه حلال ولاحرام ولافرائض ، ولاحدود . وذكروا أنّ فى الإنجيل سورة تسمى سورة الأمثال .

فصل فى عدّ الآى

أفرده جماعة من القراء بالتصنيف ، قال الجعبرى : حدّ الآية قرآن مركّب من جُمل ولو تقديرًا، ذُو مبدأ ومقطع ، مندرج فى سورة، وأصلها العلامة. ومنه: ﴿إنّ آية ملكه﴾ [٥] ؛ لأنها علامة للفضل والصدق، أو الجماعة لأنها جماعة كلمة .

---

(١) من البرهان

(٢) البرهان : « ونشطه »

(٣) البرهان : « جل »

(٤) نقله فى البرهان : ١ : ٢٦٥

(٥) سورة البقرة ٢ : ٢٤٨

وقال غيره : الآية طائفة من القرآن منقطعة عمّا قبلها وما بعدها .

وقيل : هى الواحدة من المعدودات فى السّور، سميت به لأنها علامةُ على صدق مَنْ أتى بها ، وعلى عجز المتحدَّى بها .

وقيل : لأنها علامة على انقطاع ماقبلها من الكلام وانقطاعه ممّا بعدها .

قال الواحدىّ : وبعض أصحابنا يجوّز على هذا القول تسمية أقل من الآية آية ، لولا أن التوقيفَ ورد بماهى عليه الآن .

وقال أبوعمرو الدانىّ : لا أعلم كلمة هى وحدها آية إلا قوله : ﴿ مُدْهَامَّتَان ﴾[1] .

وقال غيره : بل فيه غيرها ، مثل : والنجم ، والضحى ، والعصر ، وكذا فواتح السوَر عند من عدّها .

قال بعضهم : الصحيح أنّ الآية إنما تُعلم بتوقيف من الشارع كمعرفة السورة . قال : فالآية طائفة من حروف القرآن عِلم بالتوقيف انقطاعها ؛ يعنى عن الكلام الذى بعدها فى أوّل القرآن ، وعن الكلام الذى قبلها فى آخر القرآن ، وعمّا قبلها ومابعدها فى غيرهما ، غير مشتمل على مثل ذلك . قال : وبهذا القيد خرجت السورة .

وقال الزمخشرىّ : الآيات علْم توقيفىّ لامجال للقياس فيه ، ولذلك عدُّوا « ألمٓ » آية حيث وقعتْ ، و« ألمص » ، ولم يعدُّوا « المرٓ » و« الرٓ » ، وعدوا « حم » آية فى سورها ، و « طه » و « يس » ولم يعدّوا « طس » .

قلت : وممايدلّ على أنه توقيفىّ ماأخرجه أحمد فى مسنده من طريق عاصم بن أبى النَّجُود ، عن زِرّ، عن ابن مسعود ، قال : اقرأنى رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة من الثلاثين من آل حم ، قال : يعنى الأحقاف . قال : وكانت السورة إذا كانت أكثر من ثلاثين آية سُمِّيتْ الثلاثين ... الحديث .

---

(١) سورة الرحمن ٦٤

. وقال ابن العربى : ذكر النبىُّ صلّى الله عليه وسلم أنّ الفاتحة سبع آيات وسورة الملك ثلاثون آية . وصحّ أنه قرأ العشر الآيات الخواتم من سورة آل عمران . قال : وتعديد الآى من معضلات القرآن، ومن آياته طويل وقصير ، ومنه ما ينتهى إلى تمام الكلام ومنه مايكون فى أثنائه .

وقال غيره : سبب اختلاف السلف فى عدد الآى أنّ النبىّ صلّى الله عليه وسلّم كان يقف على رءوس الآى للتوقيف ، فإذا عُلم محلّها وصل للتمام ، فيحسب السامع حينئذ أنّها ليست فاصلة .

وقد أخرج ابن الضُّريس ، من طريق عثمان بن عطاء ، عن أبيه عن ابن عباس ، قال : جميع آى القرآن ستة آلاف وستّمائة آية ، وجميع حروف القرآن ثلاثمئة ألف حرف وثلاثة وعشرون ألف حرف وستّمائة حرف واحد وسبعون حرفا .

قال الدانىّ : أجمعوا على أنّ عدد آيات القرآن ستة آلاف آية ، ثم اختلفوا فيما زاد على ذلك ، فمنهم مَنْ لم يزِدْ ، ومنهم مَنْ قال : ومائتا آية وأربع آيات ، وقيل : وأربع عشرة ، وقيل : وتسع عشرة ، وقيل : وخمس وعشرون ، ، وقيل : وست وثلاثون .

قلت : أخرج الديلمىّ فى مسند الفردوس ، من طريق الفيض بن وثيق ، عن فرات ابن سلمان ، عن ميمون بن مهران ، عن ابن عباس مرفوعا : «درَج الجنة على قدر آىِ القرآن ، بكلّ آية درجة ، فتلك ستة آلاف آية ومائتا آية وست عشرة آية ، بين كلّ درجتين مقدار مابين السماء والأرض » . الفيض ، قال فيه ابن معين : كذاب خبيث .

وفى الشُّعب للبيهقىّ من حديث عائشة مرفوعا : « عدد درج الجنة عدد آىِ القرآن ، فمَنْ دخل الجنة من أهل القرآن فليس فوقه درجة » . قال الحاكم : إسناده صحيح ، لكنه شاذّ ، وأخرجه الآجرّى فى حملة القرآن من وجه آخر عنها موقوفا .

قال أبو عبد الله الموصلىّ فى شرح قصيدته ذات الرشد فى العدد : اختلف فى عدّ الآى أهلُ المدينة ومكّة والشام والبصرة والكوفة ولأهل المدينة عددان : عدد أوّل ، وهو عدد أبى جعفر يزيد بن القعقاع وشيبة بن نصاح ، وعدد آخر ، وهو عدد إسماعيل ابن جعفر بن أبى كثير الأنصارىّ ، وأمّا عدد أهل مكة فهو مروىّ عن عبد الله بن كثير ،

عن مجاهد ، عن ابن عباس ، عن أُبيّ بن كعب ، وأمّا عدد أهل الشام فرواه هارون بن موسى الأخفش وغيره ، عن عبدالله بن ذكْوان وأحمد بن يزيد الحلوانيّ وغيره ، عن هشام بن عمّار . ورواه ابنُ ذكوان وهشام ، عن أيّوب بن تميم القارئ عن يحيى بن الحارث الذّماريّ. قال : هذا العدد الّذى نعده عدد أهل الشام ممّا رواه المشيخة لنا عن الصحابة ،ورواه عبد الله بن عامر اليَحصبيّ لنا وغيره ، عن أبى الدرداء . وأمّا عدد أهل البصرة فمداره على عاصم بن العجاج الجحدريّ. وأما عدد أهل الكوفة فهو المضاف إلى حمزة بن حبيب الزيات وأبى الحسن الكسائى وخلف بن هشام ، قال حمزة: أخبرنا بهذا العدد ابنُ أبى ليلَى ، عن أبى عبد الرحمن السُّلَمىّ ، عن علىّ بن طالب .

* * *

قال : الموصلىّ : ثم سُور القرآن على ثلاثة أقسام : قسم لم يختلف فيه ، لا فى إجمالٍ ولا فى تفصيلٍ ؛ وقسم اختُلف فيه تفصيلاً لا إجمالاً ، وقسم اختلف فيه إجمالا وتفصيلا .

فالأوّل أربعون سورة: يوسف مائة وإحدى عشرة، الحجر تسع وتسعون، النحل مائة وثمانية وعشرون ، الفرقان سبع وسبعون ، الأحزاب ثلاث وسبعون ، الفتح تسع وعشرون ، الحجرات والتغابن ثمان عشرة ، ق خمس وأربعون ، الذّاريات ستون ، القمر خمس وخمسون ، الحشر أربع وعشرون ، الممتحنة ثلاث عشرة ، الصفّ أربع عشرة ، الجمعة والمنافقون والضحى والعاديات إحدى عشرة ، التحريم اثنتا عشرة ، ن اثنتان وخمسون ، الإنسان إحدى وثلاثون ، المرسلات خمسون ، التكوير تسع وعشرون ، الانفطار وسبح تسع عشرة ، التّطفيف ست وثلاثون ، البروج اثنتان وعشرون ، الغاشية ستّ وعشرون ، البلد عشرون ، الليل إحدى وعشرون ، ألم نشرح والتين وألها كم ثمان ، الهمزة تسع ، الفيل والفلق وتبّت خمس ، الكافرون ستّ ، الكوثر والنصر ثلاث .

والقسم الثانى أربع سور : القصص ثمان وثمانون ، عدّ أهل الكوفة «طسم» والباقون بدلها ﴿أمّةً من الناس يسقون﴾ [1] .

---

(١) سورة القصص ٢٣

العنكبوت تسع وستون ؛ عدّ أهل الكوفة « الم » ، والبصرة بدلها ﴿ مخلصين له الدين ﴾ [١] ، والشام ﴿ وتقطعونَ السبيل ﴾ [٢] .

الجنّ ثمان وعشرون ، عدّ المكى ﴿ لن يجيرنى من الله أحد ﴾ [٣] والباقون بدلها : ﴿ ولنْ أجِدَ مِنْ دُونِه مُلْتَحدًا ﴾ .

العصر ثلاث ، عدّ المدنى الأخير : ﴿ وتواصوا بالحق ﴾ [٤] ، دون ﴿ والعصر ﴾ وعكس الباقون .

والقسم الثالث سبعون سورة :

- الفاتحة : الجمهور سبع ، فعدّ الكوفىّ والمكىّ البسملة دون «أنعمت عليهم» وعكس الباقون . وقال الحسن : ثمان ، فعدّها ، وبعضهم ستّ فلم يعدّها ، وآخر تسع فعدّهما و﴿إيّاك نعبد﴾ . ويقوّى الأول ماأخرجه أحمد وأبو داود والترمذى وابن خزيمة والحاكم والدّارقطنى وغيرهم عن أمّ سلمَة أنّ النبىّ صلى الله عليه وسلم كان يقرأ : ﴿بسم الله الرحمن الرحيم * الحمدُ لِلّه ربِّ العَالمِين * الرَّحْمٰنِ الرّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدّين * إيّاك نعبُد وإيّاك نستعين * اهدِنَا الصّراط المستقيم * صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾ ، قطّعها آية آية ، وعدّها عدّ الأعراب ، وعدّ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ آية ولم يعدّ ﴿ عَلَيْهِمْ ﴾ . وأخرج الدارقطنىّ بسند صحيح عن عبد خير ، قال : سئل علىٌّ عن السّبْع المثانى ، فقال الحمدُ لله رب العالمين ، فقيل له : إنما هى ستّ آيات ، فقال : ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ آية . .

البقرة : مائتان وثمانون وخمس ، وقيل ستّ ، وقيل سبع .

آل عمران : مائتان ، وقيل : إلا آية .

النساء : مائة وسبعون وخمس ، وقيل ستّ وقيل سبع .

المائدة : مائة وعشرون ، وقيل واثنتان وقيل وثلاث .

(١) سورة العنكبوت ٦٥
(٢) سورة العنكبوت ٢٩
(٣) سورة الجن ٢٢
(٤) سورة العصر ٣

الأنعام : مائة وسبعون وخمس ، وقيل : ست ، وقيل : سبْع .

الأعراف : مائتان وخمس ، وقيل : ستّ .

الأنفال : سبعون وخمس ، وقيل : ستّ وقيل سبع .

براءة : مائة وثلاثون ، وقيل : إلا آية .

يونس : مائة وعشرة ، وقيل : إلا آية .

هود : مائة وإحدى وعشرون ، وقيل : اثنتان ، وقيل : ثلاث .

الرعد : أربعون وثلاث ، وقيل : أربع ، وقيل : سبع .

إبراهيم : إحدى وخمسون ، وقيل : اثنتان ، وقيل : أربع ، وقيل : خمس .

الإسراء : مائة وعشر ، وقيل : وإحدى عشرة .

الكهف : مائة وخمس ، وقيل : وست ، وقيل : وعشر، وقيل : وإحدى عشرة .

مريم : تسعون وتسع ، وقيل : ثمان .

طه : مائة وثلاثون واثنتان ، وقيل : أربع ، وقيل : خمس ، وقيل : وأربعون .

الأنبياء : مائة وإحدى عشرة ، وقيل : واثنتا عشرة .

الحجّ : سبعون وأربع ، وقيل : خمس ، وقيل : ست ، وقيل : ثمان .

قد أفلح : مائة وثمان عشرة ، وقيل : تسع عشرة .

النور : ستون واثنتان ، وقيل : أربع .

الشعراء : مائتان وعشرون وستّ ، وقيل : سبع .

النمل : تسعون واثنتان ، وقيل : أربع ، وقيل خمس .

الروم : ستون وقيل : إلاّ آية .

لقمان : ثلاثون وثلاث ، وقيل : أربع .

السجدة: ثلاثون ، وقيل : إلاَّ آية .

سبأ : خمسون وأربع : وقيل : خمس .

فاطر : أربعون وست ، وقيل : خمس .

يس : ثمانون وثلاث، وقيل : اثنتان .

الصافّات : مائة وثمانون وآية ، وقيل : آيتان .

ص : ثمانون وخمس ، وقيل : ستّ ، وقيل : ثمان .

الزمر : سبعون وآيتان ، وقيل : ثلاث : وقيل : خمس .

غافر : ثمانون وآيتان ، وقيل : أربع ، وقيل : خمس ، وقيل : ست .

فصِّلت : خمسون واثنتان ، وقيل : ثلاث ، وقيل : أربع .

شورى : خمسون ، وقيل : ثلاث .

الزُّخرف : ثمانون وتسع ، وقيل : ثمان .

الدخان : خمسون وستّ ، وقيل : سبع ، وقيل : تسع .

الجاثية : ثلاثون وست ، وقيل : سبع .

الأحقاف : ثلاثون وأربع ، وقيل : خمس .

القتال : أربعون ، وقيل : إلا آية ، وقيل : إلاَّ آيتين .

الطور : أربعون وسبع ، وقيل : ثمان ، وقيل : تسع .

النجم : إحدى وستون ، وقيل : اثنتان .

الرحمن : سبعون وسبع ، وقيل : ست ، وقيل : ثمان .

الواقعة : تسعون وتسع ، وقيل : سبع ، قيل : ست .

الحديد : ثلاثون وثمان ، وقيل : تسع .

قد سمع : اثنتان ، وقيل : إحدى وعشرون .

الطلاق : إحدى ـ وقيل : اثنتا ـ عشرة .

تبارك : ثلاثون ، وقيل : إحدى وثلاثون ، بعدّ ﴿ قالوا بَلَى قد جاءنا نذير ﴾ [1] ، قال الموصليّ : والصحيح الأول ، قال ابنُ شَنبوذ : ولا يسوغُ لأحدٍ خلافه للأخبار الواردة فى ذلك . أخرج أحمد وأصحاب السنن وحسّنه التِّرمذيّ ، عن أبى هريرة أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « إنّ سورةً فى القرآن ثلاثين آية شفعت لصاحبها ، حتى غفرله ، تبارك الذى بيده الملك » . وأخرج الطبرانى بسندٍ صحيح ، عن أنس ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « سورة فى القرآن » ماهى إلا ثلاثون آية ، خاصمت عن صاحبها حتى أدخلته الجنة ، وهى سورة تبارك » .

الحاقّة : إحدى ـ وقيل : اثنتان ـ وخمسون .

المعارج : أربعون وأربع ، وقيل : ثلاث .

نوح : ثلاثون ، وقيل : إلا آية ، وقيل: إلا آيتين .

المزمّل : عشرون ، وقيل : إلا آية ، وقيل : إلا آيتين .

المدثر : خمسون وخمس ، وقيل : ستّ .

القيامة : أربعون ، وقيل : إلاّ آية .

عمّ : أربعون ، وقيل : وآية .

النازعات : أربعون وخمس ، وقيل : ست.

عبس : أربعون ، وقيل : وآية ، وقيل : وآيتان .

الانشقاق : عشرون وثلاث ، وقيل : أربع ، وقيل : خمس .

الطارق : سبع عشرة ، وقيل : ستّ عشرة .

الفجر : ثلاثون ، وقيل : إلا آية ، وقيل : اثنتان وثلاثون .

الشمس : خمس عشرة ، وقيل: ست عشرة .

اقرأ : عشرون ، وقيل : إلا آية .

القدر : خمس ، وقيل: ستّ .

لم يكن : ثمان ، وقيل: تسع .

---

(١) سورة الملك ٩

الزّلزلة : تسع ، وقيل : ثمان .

القارعة : ثمان،وقيل : عشر ، وقيل: إحدى عشرة .

قريش : أربع ؛ وقيل : خمس .

أرأيت : سبع، وقيل: ستّ .

الإخلاص : أربع ؛ وقيل : خمس .

الناس : سبع ؛ وقيل . ستّ .

ضوابط

البسملة نزلت مع السورة فى بعض الأحرفِ السبعة ؛ من قرأ بحرف نزلت فيه عدّها ومن قرأ بغير ذلك لم يعدّها .

وعدّ أهل الكوفة « ألم » حيث وقع آية ؛ وكذا ألمص ، وطه وكهيعص ؛ وطسم ، ويس ، وحم . وعدّوا حمعسق آيتين ؛ ومنْ عدَاهم لم يعدّ شيئا من ذلك .

وأجمع أهل العدد على أنه لا يعدّ ألر حيث وقع آية، وكذا ألمر، وطس ؛ وص ، وق، ون. ثم منهم منْ علّل بالأثر واتباع المنقول وأنه أمرٌ لا قياس فيه ، ومنهم منْ قال: لم يعدّوا ص ، ون ، وق ، لأنها على حرف واحد ؛ ولا طس ، لأنّها خالفت أخويْها بحذف الميم ، ولأنها تشبه المفرد كقابيل ، ويس وإن كانت بهذا الوزن ، لكن أوّلها ياء فأشبهت الجمع ، إذ ليس لنا مفرد أوّله ياء . ولم يعدّوا ألر بخلاف ألم ، لأنها أشبه بالفواصل من ألر ، وكذلك أجمعوا على عدّ « يأيها المدثر » آية لمشاكلته الفواصل بعده ، واختلفوا فى « يأيها المزّمل » .

قال الموصليّ : وعدّوا قوله : « ثم نظر » آية ، وليس فى القرآن أقصر منها ، أما مثلها فعمّ ، والفجر ، والضحى .

تذنيب

نظم علىّ بن محمد الغالى أرجوزة فى القرائن والأخوات ، ضمّنها السّور التى اتفقت فى عدّة الآى كالفاتحه والماعون ، وكالرحمن والأنفال ، وكيوسف والكهف والأنبياء ، وذلك معروف مما تقدم .

فائدة

يترتب على معرفة الآى وعدِّها وفواصلها أحكام فقهيّة :

منها : اعتبارها فيمن جهل الفاتحة ، فإنه يجب عليه بدلها سبع آيات .

ومنها : اعتبارها فى الخطبة ، فإنه يجب فيها قراءة آية كاملة ، ولا يكفى شطرها إن لم تكن طويلة ، وكذا الطويلة على ما أطلقه الجمهور ؛ وهاهنا بحث ، وهو أن ما اختلف فى كونه آخر آية ، هل تكفى القراءة به فى الخطبة ؟ محلّ نظر ؛ ولم أر مَنْ ذكره .

ومنها : اعتبارُها فى السُّورة التى تقرأ فى الصلاة ، أو مايقوم مقامها ، ففى الصحيح أنه صلى الله عليه وسلم كان يقرأ فى الصّبح بالسّتين إلى المائة .

ومنها : اعتبارها فى قراءة قيام الليل ؛ ففى أحاديث : « مَنْ قرأ بعشر آيات لم يكتب من الغافلين » ، و« مَنْ قرأ بخمسين آية فى ليلة كتب من الحافظين » ، و« مَنْ قرأ بمائة آية كتب من القانتين » ، و« مَنْ قرأ بمائتى آية كتب من الفائزين » ، و« مَنْ قرأ بثلاثمائة آية كتب له قنطار من الأجر » ، و« مَنْ قرأ بخمسمائة وسبعمائة وألف آية ... » أخرجها الدارمىّ فى مسنده مفرّقة .

ومنها : اعتبارها فى الوقف عليها كما سيأتى .

وقال الهذلىّ فى كامله : اعلم أنّ قوماً جهلوا العدد ومافيه من الفوائد ، حتى قال الزعفرانىّ : العدد ليس بعلم ، وإنما اشتغل به بعضهم ليروِّج به سوقه . قال : وليس كذلك ، ففيه من الفوائد ، معرفة الوقف ، ولأن الإجماع انعقد على أن الصلاة لاتصحّ بنصف آية . وقال جَمْع من العلماء : تجزِئ بآية ، وآخرون بثلاث آيات ، وآخرون لابدّ من سبع ؛ والإعجاز لايقع بدون آية ؛ فللعدد فائدة عظيمة فى ذلك . انتهى .

فائدة ثانية

ذكر الآيات فى الأحاديث والآثار أكثر من أن يُحصى ، كالأحاديث فى الفاتحة ،

وأربع آيات من أول البقرة ، وآية الكرسى ، والآيتين خاتمة البقرة ؛ وكحديث اسم الله الأعظم فى هاتين الآيتين : ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴾ [١] ﴿ وآلم * اللهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ [٢] وفى البخارى عن ابن عباس : إذا سرّك أن تعلم جهل العرب فاقرأ مافوق الثلاثين ومائة من سورة الأنعام: ﴿ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ ... ﴾ إلى قوله : ﴿ مُهْتَدِينَ ﴾ [٣].

وفى مسند أبى يعلى عن المسور بن مخرمة ، قال : قلت لعبد الرحمن بن عوف: ياخال، أخبرنا عن قصتكم يوم أُحُد ، قال : اقرأ بعد العشرين ومائة من آل عمران تجد قصتنا : ﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ ﴾ [٤] .

* * *

فصل

وعدّ قوم كلمات القرآن سبعة وسبعين ألف كلمة، وتسعمائة وأربعا وثلاثين كلمة. وقيل: وأربعمائة وسبع وثلاثون ، ومائتان وسبع وسبعون ، وقيل غير ذلك .

قيل : وسبب الاختلاف فى عدّ الكلمات، أنّ الكلمة لها حقيقة ومجاز ولفظ ورسم، واعتبار كلٍّ منها جائز ، وكلّ من العلماء اعتبر أحد الجوائز .

فصل

وتقدّم عن ابن عباس عدُّ حروفه ، وفيه أقوال أُخَر ، والاشتغال باستيعاب ذلك ممّا لاطائل تحته ، وقد استوعبه ابن الجوزىّ فى فنون الأفنان، وعدّ الأنصاف والأثلاث إلى الأعشار ، وأوسع القول فى ذلك ، فراجعه منه ، فإنّ كتابنا موضوع للمهمّات ، لا لمثل هذه البطالات .

وقد قال السخاوىّ: لا أعلم لعدد الكلمات والحروف من فائدة، لأنّ ذلك إن أفاد فإنما يفيد فى كتاب يمكن فيه الزيادة والنقصان ، والقرآن لا يمكن فيه ذلك .

---

(١)سورة البقره ١٦٣
(٢)سرة آل عمران ٢،١
(٣)سورة الأنعام ١٤٠
(٤)سورة آل عمران ١٢١

ومن الأحاديث فى اعتبار الحروف ما أخرجه الترمذىّ عن ابن مسعود مرفوعاً : « مَنْ قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة ، والحسنة بعشر أمثالها ، لا أقول الٓمٓ حرف ولكن ألف حرف ، ولام حرف ، وميم حرف » .

وسبعة وعشرون حرف وأخرج الطَّبَرانىّ عن عمر بن الخطاب مرفوعاً : « القرآن ألف ألف حرف ، فمن قرأه صابراً محتسباً كان له بكلّ حرف زوجة من الحور العين » . رجاله ثقات إلا شيخ الطبرانى محمد بن عبيد بن آدم بن أبى إياس ، تكلّم فيه الذهبىّ لهذا الحديث . وقد حُمل ذلك على مانسخ رسمه من القرآن أيضا ، إذ الموجود الآن لا يبلغ هذا العدد .

فائدة

قال بعض القراء : القرآن العظيم له أنصاف باعتبارات ، فنصفه بالحروف النون من ﴿نُكرًا﴾ (١) فى الكهف ، والكاف من النصف الثانى .

ونصفه بالكلمات الدّال من قوله : ﴿والجُلُود﴾ (٢) فى الحج ، وقوله : ﴿وَلَهُمْ مَقَامِعُ﴾ (٣) من النصف الثانى .

ونصفه بالآيات ﴿يأفكون﴾ من سورة الشعراء ، وقوله ﴿فَأُلْقِىَ السحَرَة﴾ (٤) من النصف الثانى .

ونصفه على عداد السور آخر الحديد ، والمجادلة من النصف الثانى .

وهو عشرة بالأحزاب . وقيل : إن النّصف بالحروف الكاف من « نكرا » . وقيل : الفاء من قوله : ﴿وليَتَلَطَّفْ﴾ (٥) .

---

(١) سورة الكهف ٧٤
(٢) سورة الحج ٢٠
(٣) سورة الحج ٢١
(٤) سورة الشعراء ٤٥ ، ٤٦
(٥) سورة الكهف ١٩

النوع العشرون
في معرفة حفاظه ورواته

روى البخارى عن عبدالله بن عمرو بن العاص، قال: سمعتُ النبىّ صلى الله عليه وسلم يقول: «خذوا القرآن من أربعة: من عبدالله بن مسعود، وسالم، ومعاذ، وأُبَىّ بن كعب»؛ أى تعلّموا منهم. والأربعة المذكورون اثنان من المهاجرين وهما المبتدأ بهما، واثنان من الأنصار. وسالم هو ابن معقل مولى أبى حذيفة ومُعاذ هو ابن جَبَل. قال الكرمانىّ: يحتمل أنّه صلى الله عليه وسلم أراد الإعلامَ بما يكون بعده، أى أنّ هؤلاء الأربعة يبقون حتى ينفردوا بذلك.

وتُعقِّب بأنهم لم ينفردوا، بل الّذين مهروا فى تجويد القرآن بعد العصر النبوىّ أضعاف المذكورين، وقد قتِل سالم مولى أبى حُذيفة فى وقعة اليمامة، ومات مُعاذ فى خلافة عمر، ومات أُبَىّ وابن مسعود فى خلافة عثمان، وقد تأخّر زيد بن ثابت، وانتهت إليه الرياسة فى القراءة، وعاش بعدهم زمنا طويلا، فالظاهر أنه أمر بالأخذ عنهم فى الوقت الذى صدر فيه ذلك القول، ولا يلزم من ذلك ألاّ يكون أحد فى ذلك الوقت شاركهم فى حفظ القرآن، بل كان الّذِى يحفظون مثل الّذِى حفظوه وأزيَد، جماعة من الصحابة. وفى الصحيح فى غزوة بئر معونة، أنّ الذين قُتلوا بها من الصحابة كان يقال لهم القرّاء، وكانوا سبعين رجلا.

ورَوَى البخارىّ أيضا عن قتادة، قال: سألت أنس بن مالك: مَنْ جمع القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال: أربعة كلّهم من الأنصار: أُبَىّ بن كعب، ومُعاذ بنَ جبل، وزيد بن ثابت، وأبو زيد. قلت: مَنْ أبو زيد؟ قال: أحد عمومتى.

وروى أيضا من طريق ثابت، عن أنس، قال: مات النبى صلى الله عليه وسلم؛ ولم يجمع القرآن غير أربعة: أبو الدرداء، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبو زيد. وفيه مخالفة لحديث قتادة من وجهين: أحدهما التصريح بصيغة الحصر فى الأربعة، والآخر ذكر أبى الدرداء بدل أُبَىّ بن كعب، وقد استنكر جماعة من الأئمّة الحصر فى الأربعة.

وقال المازرىّ: لا يلزم من قول أنس: «لم يجمعه غيرهم»، أن يكون الواقع فى نفس

الأمر كذلك ، لأنّ التقدير أنه لا يعلم أنّ سواهم جمعه ؛ وإلاّ فكيف الإحاطة بذلك مع كثرة الصحابة ، وتفرّقهم فى البلاد ! وهذا لا يتمّ إلا إن كان لَقِيَ كلُّ واحد منهم على انفراده ، وأخبره عن نفسه أنّه لم يكمل له جمع فى عهد النبىّ صلى الله عليه وسلم ؛ وهذا فى غاية البعد فى العادة ، وإذا كان المرجع إلى ما فى علمه لم يلزم أن يكون الواقع كذلك .

قال : وقد تمسّك بقول أنس هذا جماعة من الملاحدة ولا متمسَّك لهم فيه ، فإنّا لا نسلم حمله على ظاهره ، سلمناه ؛ ولكن من أين لهم أنّ الواقع فى نفس الأمر كذلك ! سلمناه لكن لا يلزم من كون كلّ من الجمّ الغفير لم يحفظه كله ألاّ يكون حفظ مجموعة الجمّ الغفير ؛ وليس مِنْ شرط التواتر أن يحفظ كلُّ فرد جميعَه ، بل إذا حفظ الكلّ ولو على التوزيع كفى .

وقال القرطبىّ : قد قتل يوم اليمامة سبعون من القراء ، وقتل فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم ببئر معونة مثل هذا العدد . قال: وإنّما خصّ أنس الأربعة بالذكر لشدّة تعلقه بهم دون غيرهم ، أو لكونهم كانوا فى ذهنه دون غيرهم .

وقال القاضى أبو بكر الباقلانىّ : الجواب عن حديث أنس من أوجه :

أحدها : أنّه لا مفهوم له ، فلا يلزم ألاّ يكون غيرهم جمعه .

الثانى : المراد لم يجمعه على جميع الوجوه والقراءات الّتى نزل بها إلاّ أولئك .

الثالث : لم يجمع ما نُسخ منه بعد تلاوته وما لم يُنسخ إلا أولئك .

الرابع : أنّ المراد بجمعه تلقّيه مِنْ فى رسول الله صلى الله عليه وسلم لا بواسطة، بخلاف غيرهم ، فيحتمل أن يكون تلقّى بعضَه بالواسطة .

الخامس : أنهم تصدَّوْا لإلقائه وتعليمه ، فاشتهروا به، وخفى حالُ غيرهم عمّن عرف حالهم ، فحصر ذلك فيهم بحسب علمه ، وليس الأمر فى نفس الأمر كذلك .

السادس : المراد بالجمع الكتابة ، فلا ينفى أنْ يكون غيرهم جمعه حفظا عن ظهر قلبه ، وأما هؤلاء فجمعوه كتابةً ، وحفظوه عن ظهر قلب.

السابع : المراد أن أحداً لم يُفْصِح بأنه جمعه بمعنى أكمل حفظه فى عهد رسول الله صلى عليه وسلم إلاّ أولئك بخلاف غيرهم ، فلم يُفصح بذلك، لأنّ أحداً منهم لم يكمّله إلا عند وفاة رسول الله صلى الله علية وسلم حين نزلت آخر آية ؛ فلعلّ هذه الآية الأخيرة وماأشبهها ماحضرها إلاأولئك الأربعة ممّن جمع جميع القرآن قبلها ، وإن كان قدحضرها مَنْ لم يجمع غيرها الجمع الكثير .

الثامن : أنّ المراد بجمعه السمع والطاعة له ، والعمل بموجبه ، وقد أخرج أحمد فى الزّهد من طريق أبى الزاهرّية ، أنّ رجلا أتى أبا الدرداء ، فقال : إن ابنى جمع القرآن ، فقال : اللهمّ غفراً ، إنما جمع القرآن مَنْ سمع له وأطاع .

قال ابن حجر : وفى غالب هذه الاحتمالات تكلُّفٌ ؛ ولاسيما الأخير . قال : وقد ظهرلى احتمالٌ آخر ؛ وهو أنّ المراد إثبات ذلك للخزرج دون الأوْس فقط ، فلا ينفى ذلك عن غير القبيلتين من المهاجرين ، لأنه قال ذلك فى معرض المفاخرة بين الأوس والخزرج؛ كماأخرجه ابن جرير من طريق سعيد بن أبى عَروبة ، عن قتادة، عن أنس ، قال: افتخر الحيّان: الأوس والخزرج ، فقال الأوس : منّاأربعة : مَن اهتزّ له العرش سعدبن معاذ ، ومن عَدلت شهادته رجلين خزيمة بن ثابت ، ومَنْ غسّلته الملائكة حنظلة بن أبى عامر ، ومَنْ حمته الدَّبَر عاصم بن أبى ثابت ، فقال الخزرج: منّا أربعة جمعوا القرآن لم يجمعه غيرهم : فذكرهم.

قال : والذى يظهر من كثير من الأحاديث أنّ أبا بكر كان يحفظ القرآن فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ففى الصّحيح أنه بنى مسجداً بفناء داره ، فكان يقرأ فيه القرآن؛ وهو محمولٌ على ماكان نزل منه إذ ذاك . قال : وهذا ممّا لا يُرتاب فيه مع شدّة حرص أبى بكر على تلقّى القرآن من النبىّ صلى الله عليه وسلم وفراغ باله له وهما بمكة ، وكثرة ملازمة كلّ منهما للآخر ، حتى قالت : عائشة إنه صلى الله عليه وسلم : كان يأتيهم بكرة وعشيًّا. وقد صحّ حديث: «يؤمّ القوم أقرؤُهم لكتاب الله» ، وقد قدّمه صلى الله عليه وسلم فى مرضه إماماً للمهاجرين والأنصار ، فدلّ على أنه كان أقرأهم. انتهى .

وسبقه إلى ذلك ابن كثير .

قلت : لكن أخرج ابن أشتة فى المصاحف، بسند صحيح عن محمد بن سيرين ، قال : مات أبو بكر ولم يُجمع القرآن ، وقُتِل عمر ولم يُجمع القرآن . قال ابن أشتة : قال بعضهم : يعنى لم يقرأ جميع القرآن حفظًا ، وقال بعضهم : هو جمع المصاحف .

قال ابن حجر : وقد ورد عن علىّ ، أنه جمع القرآن على ترتيب النزول عقب موت النبىّ صلى الله عليه وسلم . أخرجه ابن أبى داود .

وأخرج النّسائىّ بسند صحيح عن عبد الله بن عمر ، قال : « جمعتُ القرآن ، فقرأت به كلّ ليلة فبلغ النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فقال : اقرأه فى شهر... » الحديث .

وأخرج ابن أبى داود بسندٍ حسن عن محمد بن كعب القُرظىّ قال : جَمع القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسة من الأنصار : معاذ بن جبل ، وعبادة بن الصامت ، وأبىّ بن كعب ، وأبو الدرداء ، وأبو أيوب الأنصارىّ .

وأخرج البيهقى فى المدخل ، عن ابن سيرين ، قال : جَمع القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة ، لا يُختلف فيهم : مُعاذ بن جَبَل ، وأبىّ بن كعب ، وزيد ، وأبو زيد ؛ واختلفوا فى رجلين من ثلاثة : أبى الدرداء وعثمان . وقيل : عثمان وتميم الدارىّ .

وأخرج هو وأبو داود ، عن الشعبىّ ، قال : جَمع القرآن فى عهد النبىّ صلى الله عليه وسلم ستة : أُبىّ ، وزيد ، ومُعاذ ، وأبو الدرداء ، وسعد بن عبيد ، وأبو زيد ، ومُجمِّع بن جارية ؛ قد أخذه إلاّ سورتين أو ثلاثة .

وقد ذكر أبو عبيد فى كتاب القراءات : القرّاء من أصحاب النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فعدّ من المهاجرين الخلفاء الأربعة ، وطلحة وسعداً ، وابن مسعود وحذيفة وسالما وأبا هريرة ، وعبد الله بن السّائب ، والعبادلة وعائشة وحفصة وأمّ سلمة . ومن الأنصار عبادة بن الصامت ومُعاذ الذى يكنى أبا حليمة ، ومجمّع بن جارية وفضالة بن عبيد ومسلمة بن مخلّد . وصرّح بأن بعضهم إنما أكمله بعد النبىّ صلى الله عليه وسلم ؛ فلا يرد على الحصر المذكور فى حديث

أنس . وعدّ ابنُ أبى داود منهم تميماً الدارىّ وَعُقبة بن عامر .

وممن جمعه أيضا أبو موسى الأشعرىّ ، ذكره أبو عمرو الدانىّ .

تنبيه

أبو زيد المذكور فى حديث أنس ، اختلف فى اسمه ، فقيل : سعد بن عبيد بن النعمان ، أحد بنى عمرو بن عون ؛ وردّ بأنه أوسىّ وأنس خزرجىّ . وقد قال إنّه أحد عمومته ، وبأنّ الشعبى عدّه هو وأبو زيد جميعا فيمن جمع القرآن كما تقدم ، فدلّ على أنه غيره .

وقال أبو أحمد العسكرىّ : لم يجمع القرآن من الأوس غير سعد بن عبيد . وقال ابن حبيب فى المحبّر : سعد بن عبيد أحد مَنْ جمع القرآن على عهد النبىّ صلى الله عليه وسلم .

وقال ابن حجر : قد ذكر ابن أبى داود فيمن جمع القرآن قيس بن أبى صعصعة ، وهو خزرجىّ يكنى أبا زيد ، فلعلّه هو . وذكر أيضا سعد بن المنذر بن أوس بن زهير ؛ وهو خزرجىّ ؛ لكن لم أر التصريح بأنه يكنى أبا زيد .

قال : ثمَّ وجدتُ عند ابن أبى داود ما رفع الإشكال ، فإنّه روى بإسناد على شرط البخارىّ إلى ثمامة عن أنس أنّ أبا زيد الّذى جمع القرآن اسمه قيس بن السَّكَن . قال : وكان رجلاً منّا من بنى عدىّ بن النجار أحد عمومتى ، ومات ولم يدَع عَقِباً ، ونحن ورثناه .

قال ابنُ أبى داود : حدّثنا أنس بن خالد الأنصارىّ ، قال : هو قيس بن السَّكَن بن زعوراء من بنى عدىّ بن النّجار . قال ابن أبى داود : مات قريباً من وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذهب علمه ، ولم يؤخذ عنه ، وكان عَقَبِيًّا بدريًّا . ومن الأقوال فى اسمه : ثابت وأوْس ومُعاذ .

* * *

فائدة

ظفرت بامرأة من الصحابيّات جمعت القرآن ، لم يعدّها أحدٌ ممّن تكلّم فى ذلك ، فأخرج ابن سعد فى الطّبقات : أنبأنا الفضل بن دُكين ، قال : حدّثنا الوليد بن عبد الله بن

جميع ، قال حدّثتني جدّتي، عن أمّ وَرقة بنت عبد الله بن الحارث ـ وكان رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم يزورها ، ويسميها الشهيدة ، وكانت قد جمعت القرآن ـ أنّ رسول الله عليه وسلم حين غزا بدرًا ، قالت له : أتأذن لى فأخرجَ معك أداوِى جرحاكم وأمرّض مرضاكم ، لعلّ الله يهدى لى شهادة ؟ قال : إنّ الله مهدٍ لك شهادة . وكان صلّى الله عليه وسلم قد أمرها أن تؤمّ أهل دارها ، وكان لها مؤذّن ، فغمّها غلام لها وجارية كانت دبرتهما ، فقتلاها فى إمارة عمر ، فقال عمر : صدق رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم ، كان يقول : انطلقوا بنا نزور الشهيدة .

* * *

فصل

[فى المشتهرين بالإقراء]

المشتهرون بإقراء القرآن من الصحابة سبعة: عثمان ، وعلىّ ، وأُبىّ ، وزيد بن ثابت ، وابن مسعود ، وأبو الدّرداء ، وأبو موسى الأشعرىّ ، كذا ذكرهم الذهبىّ فى طبقات القراء. قال : وقد قرأ على أُبىّ جماعةٌ من الصّحابة، منهم أبو هريرة وابنُ عباس وعبد الله ابن السائب ، وأخذ ابنُ عباس عن زيدٍ أيضا ، وأخذ عنهم خلْق من التابعين .

فمّن كان بالمدينة : ابن المسيّب ، وعروة ، وسالم ، وعمر بن عبد العزيز ، وسليمان وعطاء ابنا يسار ، ومُعاذ بن الحارث المعروف بمعاذ القارئ ، وعبد الرحمن بن هرمز الأعرج ، وابن شهاب الزهرىّ، ومسلم بن جُندَب ، وزيد بن أسلم .

وبمكة : عبيد بن عُمير ، وعطاء بن أبى رباح ، وطاوس، ومجاهد وعِكْرمة، وابن أبى مُليكة .

وبالكوفة: علقمة ، والأسود ، ومسروق ، وعُبيدة ، وعمرو بن شرحبيل، والحارث بن قيس ، والرّبيع بن خُثَيم ، وعمرو بن ميمون ، وأبو عبد الرحمن السُّلَمىّ ، وزرّ بن حُبيش ، وعبيد بن نُضَيلة ، وسعيد بن جُبير ، والنّخعىّ والشّعبىّ .

وبالبصرة : أبو العالية، وأبو رجاء، ونصر بن عاصم ، ويحيى بن يعمَر ، والحسن ، وابن سيرين ، وقتادة .

وبالشام: للمغيرة بن أبى شهاب المخزومىّ صاحب عثمان ، وخليفة بن سعد صاحب أبى الدرداء .

ثم تجرّد قوم، واعتنوْا بضبط القراءة أتمّ عناية ، حتى صاروا أئِمّةً يُقتدَى بهم ويُرحَل إليهم ، فكان بالمدينة : أبو جعفر يزيد بن القعقاع ، ثم شيبة بن نَصَاح ، ثم نافع بن أبى نعيم .

وبمكة : عبد الله بن كَثير ، وحميد بن قيس الأعرج ، ومحمد بن مُحيصن .

وبالكوفة : يحيى بن وثّاب ، وعاصم بن أبى النَّجود ، وسليمان الأعمش ، ثم حمزة ثم الكسائىّ .

وبالبصرة : عبد الله بن أبى إسحاق ، وعيسى بن عمر ، وأبو عمرو بن العلاء، وعاصم الجحْدَرىّ ثم يعقوب الحضْرَمىّ .

وبالشام : عبد الله بن عامر ، وعطيّة بن قيس الكلابىّ ، وإسماعيل بن عبد الله بن المهاجر ، ثمّ يحيى بن الحارث الذمارىّ ، ثمّ شُريح بن يزيد الحضرمىّ .

واشتهر من هؤلاء فى الآفاق الأئمة السبعة :

نافع ، وقد أخذ عن سبعين من التابعين ، منهم أبو جعفر .

وابن كثير ، وأخذ عن عبد الله بن السائب الصحابىّ .

وابو عمرو ، وأخذ عن التابعين .

وابن عامر ، وأخذ عن أبى الدّرداء ، وأصحاب عثمان .

وعاصم ، وأخذ عن التابعين .

وحمزة ، وأخذ عن عاصم والأعمش والسَّبيعىّ ومنصور بن المعتمر وغيره .

والكسائى ، وأخذ عن حمزة وأبى بكر بن عيّاش .

ثم انتشرت القراءات فى الأقطار ، وتفرّقوا أمماً بعد أمم ؛ واشتهر من رواة كلّ طريق من طرق السبعة راويان :

فعن نافع : قالون وورش ، عنه .

وعن ابن كثير : قنْبل والبزىّ ، عن أصحابه عنه .

وعن أبى عمرو : الدورى والسّوسىّ ، عن اليزيدىّ ، عنه .

وعن ابن عامر : هشام وابن ذكْوان عن أصحابه ، عنه .

وعن عاصم : أبو بكر بن عيّاش ، وحفص ، عنه .

وعن حمزة : خَلَف وخلاّد ، عن سليم عنه .

وعن الكسائىّ : الدّورى ، وأبو الحارث .

* * *

ثم لمّا اتسع الخرْق وكاد الباطل يلتبس بالحقّ ، قام جهابذة الأمة ، وبالغوا فى الاجتهاد ، وجمعوا الحروف والقراءات ، وعزَوْا الوجوه والروايات ، وميّزوا الصحيح والمشهور والشاذّ بأصول أصّلوها ، وأركان فصولها .

فأوّل مَنْ صنف فى القراءات أبو عبيد القاسم بن سلام ، ثم أحمد بن جُبير الكوفىّ ثم إسماعيل بن إسحاق المالكىّ صاحب قالون ، ثم أبو جعفر بن جرير الطبرىّ ، ثم أبو بكر محمد بن أحمد بن عمر الداجونىّ ، ثم أبو بكر بن مجاهد ، ثم قام الناس فى عصره وبعده بالتأليف فى أنواعها ، جامعاً ومفردا ، وموجزا ومسهبا ، وأئمة القراءات لاتحصى .

وقد صنف طبقاتهم حافظ الإسلام أبو عبد الله الذهبى ، ثم حافظ القراءات ابو الخير ابن الجزرىّ .

النوعُ الحادِي والعِشرُون
معرفة العَالِي والنازِل من أسانيدهُ

اعلم أنّ طلب علوّ الإسناد سنّة ، فإنه قربٌ إلى الله تعالى ؛ وقد قسّمه أهل الحديث إلى خمسة أقسام ورأيتها تأتى هنا :

الأول : القرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم من حيث العَدد بإسناد نظيف غير ضعيف ، وهو أفضل أنواع العلوّ وأجلّها ؛ وأعلى مايقع للشيوخ فى هذا الزمان إسنادٌ رجاله أربعة عشر رجلا ؛ وإنما يقع ذلك من قراءة ابن عامر من رواية ابن ذَكْوان ، ثم خمسة عشر ؛ وإنما يقع ذلك من قراءة عاصم من روايةَ حفْص وقراءة يعقوب من رواية رُوَيْس .

* * *

الثانى من أقسام العلوّ عند المحدّثين: القرب إلى إمامٍ من أئمة الحديث كالأعمش وهُشيم وابن جُريج والأوزاعىّ ومالك ، ونظيره هنا القرْب إلى إمام من الأئمة السبعة، فأعلى مايقع اليوم للشيوخ بالإسناد المتّصل بالتلاوة إلى نافع اثنا عشر ، وإلى عامر اثنا عشر .

* * *

الثالث عند المحدّثين : العلوّ بالنسبة إلى رواية أحد الكتب الستّة، بأن يروى حديثًا لورواه من طريق كتاب من السّتة وقع أنزَل ممّا لورواه من غير طريقها ، ونظيره هنا العلوّ بالنسبة إلى بعض الكتب المشهورة فى القراءات، كالتيسير والشاطبية. ويقع فى هذا ، النوع الموافقات ، والأبدال ، والمساواة، والمصافحات .

فالموافقة: أن تجتمع طريقة مع أحد أصحاب الكتب فى شيخه ، وقد يكون مع علوٍّ على مالورواه من طريقه ، وقد لايكون ؛ مثاله هذا الفنّ قراءة ابن كثير رواية البزّىّ ، طريق ابنُ بنانٍ عن أبى ربيعة عنه ، يرويها ابن الجزرىّ من كتاب المفتاح لأبى منصور محمد بن عبد الملك بن خَيْرون ، ومن كتاب المصباح لأبى الكرم

الشهرزوريّ ، وقرأ بها كلٌّ من المذكورين على عبد السيد بن عتاب ، فروايتُه لها من أحد الطريقين ، تسمّى موافقة للآخر ، باصطلاح أهل الحديث .

والبدل : أن يجتمع معه في شيخ شيخه فصاعدا ؛ وقد يكون أيضا بعلو ، وقد لا يكون . مثاله هنا قراءة أبي عمرو رواية الدوريّ طريق ابن مجاهد ، عن أبي الزّعراء عنه ؛ رواها ابن الجزَريّ من كتاب التيسير ، قرأ بها الدّانِي على أبي القاسم عبد العزيز بن جعفر البغداديّ ، وقرأ بها على أبي طاهر عن ابن مجاهد ؛ ومن المصباح ، قرأ بها أبو الكرم على أبي القاسم يحيى بن أحمد السِّيبيّ ، وقرأ بها على أبي الحسن الحمّاميّ ، وقرأ على أبي طاهر ؛ فروايته لها من طريق المصباح تسمّى بدلاً للدّاني في شيخ شيخه .

والمساواة : أن يكون بين الرّاوي والنّبيّ صلى الله عليه وسلم أو الصحابي أو مَنْ دُونه إلى شيخ أحدِ أصحاب الكتب ، كما بين أحدٌ أصحاب الكتب والنبيّ صلى الله عليه وسلم أو الصحابي أو مَنْ دونه على ما ذكر من العدد .

والمصافحة : أن يكون أكثر عدداً منه بواحد ؛ فكأنه لقيَ صاحب ذلك الكتاب وصافحه ، وأخذ عنه ؛ مثاله قراءة نافع : رواها الشاطبيّ عن أبي عبد الله محمد بن عليّ النّفزيّ عن أبي عبد الله بن غلام الفرس ، عن سليمان بن نجاح وغيره ، عن أبي عمرو الداني ، عن أبي الفتح فارس بن أحمد ، عن عبد الباقي بن الحسن ، عن إبراهيم بن عمر المقرىء ، عن أبي الحسين بن بويان ، عن أبي بكر بن الأشعث ، عن أبي جعفر الرَّبعيّ المعروف بأبي نشيط ، عن قالون ، عن نافع . ورواها ابن الجزريّ عن أبي محمد بن البغداديّ وغيره ، عن الصائغ عن الكمال بن فارس ، عن أبي اليُمن الكنديّ ، عن أبي القاسم هبة الله ابن أحمد الحريريّ ، عن أبي بكر الخياط ، عن الفَرَضيّ ، عن ابن بُويان . فهذه مساواة لابن الجزريّ ، لأنّ بينه وبين ابنِ بويان سبعة ، وهو العدد الذي بين الشاطبيّ وبينه ، وهي لمن أخذ عن ابن الجزريّ مصافحة للشاطبيّ .

ومما يشبه هذا التقسيم الذى لأهل الحديث ، تقسيم القرّاء أحوال الإسناد،إلى قراءة ورواية وطريق ووجه ، فالخلاف إن كان لأحد الأئمة السبعةأوالعشرة أونحوهم ، واتفقت عليه الروايات والطرق عنه فهو قراءة ، وإن كان للراوى عنه فرواية،أولمن بعده فنازلًا فطريق ،أولاعلى هذه الصفة مما هو راجع إلى تخيير القارئ فيه،فوجه .

* * *

الرابع من أقسام العلوّ : تقدّم وفاة الشيخ عن قرينه الذى أخذ عن شيخه ، فالآخذ مثلا عن التاج بن مكتوم أعلَى من الآخذ عن أبى المعالى بن اللّبّان ، وعن ابن اللّبّان أعلَى من البرهان الشامىّ ، وإن اشتركوا فى الأخذ عن أبى حيّان ، لتقدم وفاة الأوّل على الثانى،والثانى على الثالث .

* * *

الخامس : العلوّ بموت الشيخ لا مع التفاتٍ لأمرٍ آخر ، أوشيخ آخر متى يكون. قال بعض المحدّثين : يوصف الأسناد بالعلوّ إذا مضى عليه من موت الشيخ خمسون سنة . وقال ابن منده : ثلاثون ، فعلى هذا ، الأخذ عن أصحاب ابن الجزرىّ عالٍ من سنة ثلاث وستين وثمانمائة ؛ لأنّ ابنَ الجزرىّ آخر مَنْ كان سنّه عاليا ، ومضَى عليه حينئذ من موته ثلاثون سنة .

فهذاماحرّرتهمن قواعد الحديث ، وخرّجت عليه قواعد القراءات ، ولم أسبَق إليه ولله الحمد والمنة .

وإذا عرفت العلوّ بأقسامه،عرفت النزول ، فإنه ضدّه ، وحيث ذمّ النزول فهو مالم ينجبر بسكون رجاله أعلم وأحفظوأتقنأوأجلّأوأشهرأوأورع ؛ أما إذا كان كذلكفليس بمذموم ولا مفضول .

النوع الثانى والثالث والرابع والخامس والسادس والسابع والعشرون

معرفة المتواتر والمشهور والآحاد والشاذ والموضوع والمدرج

اعلم أنّ القاضىَ جلال الدين البُلقينىّ قال : القراءة تنقسم إلى متواتر وآحاد وشاذّ ، فالمتواتر القراءات السبعة المشهورة ، والآحاد قراءات الثلاثة الّتى هى تمام العشر ، ويلحق بها قراءة الصحابة ، والشاذّ قراءات التّابعين كالأعمش ويحيى بن وثّاب وابن جُبير ونحوهم .

وهذا الكلام فيه نظرٌ يُعرَف ممّا سنذكره ؛ وأحسنُ مَنْ تكلّم فى هذا النوع إمام القراء فى زمانه شيخ شيوخنا أبو الخير بن الجزرىّ ، قال فى أوّل كتابه النشر : كلُّ قراءةٍ وافقت العربيّة ولو بوجه ، ووافقت أحد المصاحف العثمانيّة ولو احتمالًا ، وصحّ سندها ، فهى القراءة الصحيحة التى لا يجوز ردُّها ، ولا يحلُّ إنكارها ، بل هى من الأحرف السبعة الّتِى نزل بها القرآن ، ووجب على الناس قبولها ؛ سواء كانت عن الأئمّة السبعة ، أم عن العشرة ، أم عن غيرهم من الأئمة المقبولين ، ومتى اختلّ ركن من هذه الأركان الثلاثة أطلق عليها ضعيفة أو شاذّة أو باطلة ، سواء كانت عن السبعة أم عمّن هو أكبر منهم . هذا هو الصّحيح عند أئمة التحقيق من السّلف والخلف ، صرّح بذلك الدانىّ ومكىّ والمهدوىّ وأبو شامة ، وهو مذهب السّلف الذى لا يعرف عن أحدٍ منهم خلافه .

قال أبو شامة فى المرشد الوجيز : لا ينبغى أن يُغترّ بكل قراءة تُعْزَى [1] إلى أحد السبعة ويطلق عليها لفظ الصحة ، وأنها أنزلت هكذا ، إلا إذا دخلت فى ذلك الضابط ، وحينئذ لا ينفرد بنقلها مصنّف عن غيره ، ولا يختصّ ذلك بنقلها عنهم ، بل إن نقلت عن غيرهم من القرّاء ، فذلك لا يخرجها عن الصحّة ، فإن الاعتماد على استجماع تلك الأوصاف ، لا على

---

(١) النشر : « تعزى إلى واحد » .

مَن تنسب إليه ؛ فإنّ القراءة المنسوبة إلى كل قارئٍ من السبعة وغيرهم منقسمة إلى المجمَع عليه والشاذّ ؛ غير أنّ هؤلاء السبعة لشهرتهم وكثرة الصحيح المجمع عليه فى قراءتهم تركن النفس إلى مانقل عنهم فوق ماينقل عن غيرهم .

ثم قال ابن الجزرىّ : فقولنا فى الضّابط : «ولو بوجه» ، نريد به وجهاً من وجوه النحو، سواء كان أفصح أم فصيحاً ، مجمعاً عليه أم مختلَفاً فيه اختلافًا لايضرّ مثله ، إذا كانت القراءة ممّا شاع وذاع ، وتلقّاه الأئمّة بالإسناد الصحيح ؛ إذ هو الأصل الأعظم ، والركن الأقوم . وكم من قراءةٍ أنكرها بعضُ أهلِ النّحو أو كثيرمنهم ؛ ولم يعتبر إنكارهم ، كإسكان ﴿ بَارِئْكُمْ ﴾[1] ، و﴿ يأمرْكم ﴾[2] ، وخفض ﴿والأرحامِ ﴾[3] ، ونصب ﴿ لِيُجزَى قوماً ﴾[4] ، والفصل بين المضافين فى ﴿قتلُ أولادَهم شركائِهِم ﴾[5] وغير ذلك .

قال الدانىّ : وأئمة القراء لاتعمل فى شىء من حروف القرآن على الأفشى فى اللغة والأقيس فى العربية ، بل على الأثبت فى الأثر والأصحّ فى النقل ، وإذا ثبتتِ الرواية لم يردّها قياس عربية ولا فشوّ لغة ، لأنّ القراءة سنّة متّبعة ، يلزم قبولها والمصيرُ إليها .

قلت : أخرج سعيد بن منصور فى سُنَنه ، عن زيد بن ثابت ، قال : القراءة سنّة متّبعة . قال البيهقىّ : أراد اتّباع مَنْ قبلنا فى الحروف سنّة متبعة ، لايجوز مخالفة المصحف الّذى هو إمام ، ولا مخالفة القراءات الّتى هى مشهورة . وإن كان غير ذلك سائغاً فى اللغة أو أظهرَ منها .

ثم قال ابن الجزرىّ : ونعنى بموافقة أحد المصاحف ماكان ثابتاً فى بعضها دون بعض ؛ كقراءة ابن عامر: ﴿قالوا اتّخذَ اللهُ ﴾[6] فى البقرة بغير واو ، و﴿ بالزّبرو بالكتاب ﴾[7]

---

(١) سورة البقرة ٥٤ (٢) سورة البقرة ٦٧ (٣) سورة النساء ١

(٤) سورة الجاثية ١٤ قال القرطبي : « بياء مضمومة وفتح الزاى على الفعل المجهول وقوماً بالنصب، قال الكسائى: معناه ليجزى الجزاء قوماً » . (٥) سورة الأنعام ١٣٧ وانظر القرطبي ٧ : ٩١

(٦) سورة البقرة ١١٦ (٧) سورة آل عمران ١٨٤

بإثبات الياء فيهما ؛ فإنّ ذلك ثابت فى المصحف الشامىّ ، وكقراءة ابن كثير ﴿ تَجْرِى مِن تَحتِها الأَنْهَارُ ﴾[1] فى آخر براءة ، بزيادة «من» فإنه ثابت فى المصحف المكىّ، ونحو ذلك ؛ فإن لم تكن فى شىء من المصاحف العثمانية فشاذّ لمخالفتها الرسم المجمَع عليه .

وقولنا : «ولو احتمالا» ، نعنى به ما وافقه ولو تقديرا كـ ﴿ملك يوم الدين﴾ ، فإنه كتب فى الجميع بلا ألف ، فقراءة الحذف توافقه تحقيقا ، وقراءة الألف توافقه تقديراً ، لحذفها فى الخط اختصارًا كما كتب: ﴿ مَلِكَ الملك ﴾[2].

وقد يوافق اختلاف القراءات الرسم تحقيقا ، نحو «تعلمون» بالتاء والياء و « يغفر لكم » بالياء والنون ؛ ونحو ذلك مما يدل تجرّده عن النقط والشكل فى حذفه وإثباته على فضلٍ عظيمٍ للصحابة رضى الله عنهم فى علم الهِجاء خاصّة وفهمٍ ثاقب فى تحقيق كلّ علم . وانظر كيف كتبوا «الصراط» بالصاد المبدلة من السين ، وعدلوا عن السين التى هى الأصل لتكون قراءة السّين ـ وإن خالفت الرسم من وجه ـ قد أتت على الأصل ، فيعتدلان ، وتكون قراءة الإشمام محتملة ، ولو كتب ذلك بالسين على الأصل لفات ذلك . وعُدّت قراءة غير السين مخالفة للرسم والأصل ، ولذلك اختلف فى ﴿ بَصْطَةً ﴾[3] الأعراف دون ﴿ بسطةً ﴾[4] البقرة ، لكون حرف البقرة كتب بالسين والأعراف بالصاد ، على أن مخالف صريح الرسم فى حرف مدغم أو مبدل أو ثابت أو محذوف أو نحو ذلك لا يعدُّ مخالفا إذا ثبتت القراءة به ، ووردت مشهورة مستفاضة ، ولذا لم يعدّوا إثبات ياء الزوائد ، وحذف ياء ﴿ فَلاَ تَسْأَلْنِي ﴾[5] فى الكهف ، وواو ﴿ وأَكُونَ مِنَ الصَّالحين ﴾[6] والظاء من ﴿ بضنين ﴾[7] ونحوه من مخالفة الرسم المردودة ؛ فإن الخلاف فى ذلك مغتفَر ، إذ هو قريب يرجع إلى معنى واحد ، وتُمشّيه صِحّة القراءة وشهرتها وتلقّيها بالقبول ، بخلاف زيادة كلمة ونقصانها ، وتقديمها وتأخيرها ؛ حتى ولو كانت حرفًا واحداً من حروف المعانى ،

---

(١) سورة التوبة ١٠٠
(٢) سورة آل عمران ٢٦
(٣) سورة الأعراف ٦٩
(٤) سورة البقرة ٢٤٧
(٥) سورة الكهف ٧٠
(٦) سورة المنافقين ٢٠
(٧) سورة التكوير ٢٤

فإنّ حكمه فى حكم الكلمة ، لاتسوغ مخالفة الرّسم فيه ؛ وهذا هو الحدّ الفاصل فى حقيقة اتباع الرّسم ومخالفته .

قال : وقولنا : « وصحّ مسندها » نعنى به أن يروىَ تلك القراءة العدلُ الضابط عن مثله ، وهكذا حتى ينتهىَ ؛ وتكون مع ذلك مشهورة عند أئمة هذا الشأن ، غيرَ معدودة عندهم من الغَلط ، أوْمما شذّ بها بعضُهم .

قال : وقدشرط بعضُ المتأخّرين التّواتر فى هذا الرّكن ، ولم يكتف بصحةالسند؛ وزعم أنّ القرآن لايثبت إلاّ بالتواتر ، وأنّ ماجاء مجىء الآحاد لايثبت به قرآن .

قال : وهذا ممّالايخفَى مافيه ؛ فإنّ التواترإذا ثبت لايحتاج فيه إلى الركنيْن الأخيريْن من الرسم وغيره ؛ إذ ماثبت من أحرف الخلاف متواتراً عن النبىّ صلى الله عليه وسلم وجب قبوله ، وقُطِع بكونه قرآناً ، سواء وافق الرسم أم لا . وإذا شرطنا التواتر فى كلّ حرف من حروف الخلاف انتفى كثير من أحرف الخلاف الثابت عن السبعة . وقد قال أبو شامة : شاع على ألسنة جماعة من المقرئين المتأخّرين وغيرهم من المقلّدين أنّ السبع كلّها متواترة ، أى كلّ فردٍ فردٍ فيما روى عنهم .

قالوا : والقطع بأنها منزّلة من عند الله واجب ، ونحن بهذا نقول ؛ ولكن فيما اجتمعت على نقله عنهم الطرق ، واتّفقت عليه الفِرَق من غير نكير له ، فلاأقلّ من اشتراط ذلك إذا لم يتّفق التواتر فى بعضها .

وقال الجعبرىّ : الشرط واحد ؛ وهو صحّة النقل ، ويلزم الآخران ، فمن أحكم معرفة حال النقَلة وأمعن فى العربية ، وأتقن الرسم ، انحلّت له هذه الشبهة .

وقال مكىّ : ماروى فى القرآن على ثلاثة أقسام :

قسم يُقرَأ به ويكفر جاحده ، وهو مانقله الثّقات ، ووافق العربية وخطّ المصحف .

وقسم صحّ نقله عن الآحاد ، وصحّ فى العربية ، وخالفَ لفظه الخطّ ، فيُقبل ولا يقرأ به

لأمرين : مخالفته لما أُجمِــع عليه ، وأنه لم يؤخذ بإجماع ، بل بخبر الآحاد ولا يثبتُ به قرآن ، ولا يــكفر جاحده ، ولبئس ماصنع إذ جحده !

وقسم نقله ثقة ، ولاوجْه له فى العربية ، أو نقله غير ثقة ، فلا يُقبل وإن وافق الخطّ .

وقال ابن الجزرىّ : مثال الأول كثير كـ« مالك » « وملك » ، و « يخدعون » و « يخادعون » ، ومثال الثانى قراءة ابن مسعود وغيره « والذّكرِ والأنثى » ، [1] وقراءة ابن عباس : « وكان أمامهم ملكٌ يَأْخُذُ كلّ سفينة صالحة » [2] ، ونحو ذلك . قال : واختلف العلماء فى القراءة بذلك ، والأكثر على المنع ، لأنها لم تتواتر ، وإن ثبتت بالنقل ؛ فهى منسوخة بالعرْضة الأخيرة ، أو بإجماع الصحابة على المصحف العثمانىّ .

ومثال مانقله غير ثقة كثيرٌ ممّا فى كتب الشواذّ ، ممّا غالب إسناده ضعيف ؛ وكالقراءة المنسوبة إلى الإمام أبى حنيفة الّتى جمعها أبو الفضل محمد بن جعفر الُخزاعىّ ، ونقلها عنه أبو القاسم الهذلىّ ، ومنها : « إنّمَا يَخشَى اللهُ مِنْ عِبادِهِ العلماءَ » [3] برفع « اللهُ » ونصب « العلماء » ، وقد كتب الدّارقطنى وجماعة بأنّ هذا الكتاب موضوع ، لاأصل له .

ومثال مانقله ثقة ولاوجهَ له فى العربية . قليل لايكاد يوجد ، وجعل بعضهم منه رواية خارجة عن نافع « معائش » بالهمز .

قال : وبقىَ قسم رابع مردود أيضا ، وهو ماوافق العربيّة والرسم ، ولم ينقل البتّةَ فهذا ردُّه أحق ، ومنعه أشدّ ، ومرتكبه مرتكب لعظيم من الكبائر ، وقد ذكر جواز ذلك عن أبى بكر بن مِقسم ، وعُقد له بسبب ذلك مجلس وأجمعوا على منعه ، ومن ثَمّ امتنعت القراءة بالقياس المطلق الّذى لاأصل له يُرجع إليه ولاركنَ يُعتمد فى الأداء عليه .

قال : أمّا ما له أصل كذلك ، فإنّه ممايصار إلى قبول القياس عليه كقياس إدغام «قال

---

(١) سورة الليل ٤٥ فى قوله : « وماخلق الذكر والأنثى » . (٢) سورة الكهف ٧٩
(٣) سورة فاطر ٢٨

رجلان » على « قال رب » ، ونحوه مما لايخالف نصًا ولاأصلا ، ولايرد إجماعاً ، مع أنه قليل جدًّا [1].

* * *

قلت : أتقن الإمام ابن الجزرىّ هذا الفصل جدًّا ، وقد تحرّر لى منه أن القراءات أنواع:

الأوّل : المتواتر وهو مانقله جمعٌ لايمكن تواطؤهم على الكذب ، عن مثلهم إلى منتهاه : وغالب القراءات كذلك .

الثانى : المشهور ، وهو ماصحّ سنده ولم يبلغ درجة التّواتر ، ووافق العربيّة والرسم؛ واشتهر عند القراء ، فلم يعدّه من الغلط ولامن الشذوذ ، ويُقرأ به على ماذكر ابن الجزرىّ ويُفهمه كلام ابن شامة السابق . ومثاله مااختلفت الطرق فى نقله عن السّبعة ، فرواه بعضُ الرواة عنهم دون بعضٍ ، وأمثلة ذلك كثيرة فى فرش الحروف من كتب القراءات كالذى قبله ، ومن أشهر ماصُنّف فى ذلك التيسير للدانى ، وقصيدة الشاطبىّ ، وأوعية النشر فى القراءات العشر ، وتقريب النّشر ، كلاهما لابن الجزرىّ .

الثالث : الآحاد ، وهو ماصحّ سنده وخالف الرّسم أوالعربية ، أولم يشتهر الاشتهار المذكور ، ولايُقرأ به ، وقد عقد التّرمذىّ فى جامعه ، والحاكم فى مستدركه لذلك باباً أخرجا فيه شيئا كثيرا صحيح الإسناد ؛ من ذلك ماأخرجه الحاكم من طريق عاصم الجحدرىّ عن أبى بكرة أنّ النبىّ صلى الله عليه وسلم قرأ : « متكئين على رفارف خُضْرٍ وعَبَاقِرِيَّ حسان » [2].

وأخرج من حديث أبى هريرة أنه صلى الله عليه وسلم قرأ : « فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَاأُخْفِىَ لَهُمْ مِنْ قُرَّاتِ أَعْيُنٍ » [3].

وأخرج عن ابن عباس أنه صلى الله عليه وسلم قرأ : « لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفَسِكُمْ » [4]

---

(١) النشر ١: ٩ — ١٨ مع تصرف واختصار (٢) سورة الرحمن ٧٦ ، وانظر تفسير القرطبى ١٧: ١٩١
(٣) سورة السجدة ١٧ (٤) سورة التوبة ١٢٨

بفتح الفاء. وأخرج عن عائشة أنه صلى الله عليه وسلم قرأ: ﴿فَرُوحٌ وَرَيْحَانٌ﴾[1] يعنى بضم الراء.

الرابع الشاذّ، وهو مالم يصحّ سنده، وفيه كتب مؤلفة، من ذلك قراءة « مَلَكَ يومَ الدين » بصيغة الماضى، ونصب « يوم »، و « إياكَ يُعْبَدُ » ببنائه للمفعول.

الخامس: الموضوع كقراءات الخزاعىّ.

وظهر لى سادس يشبهه من أنواع الحديث المدرَج ؛ وهو مازيد فى القراءات على وجه التفسير، كقراءة سعد بن أبى وقاص « وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ مِنْ أُمّ »[2] أخرجها سعيد بن منصور.

وقراءة ابن عباس. « لَيسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ فى مواسم الحج »[3]. أخرجها البخارىّ.

وقراءة ابن الزبير: « وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيَسْتَعِينُونَ بالله على ماأصابهم »[4] قال عمر: فما أدرى: أكانت قراءته أم فسَّر؟ أخرجه سعيد بن منصور، وأخرجه الأنبارى، وجزم بأنه تفسير.

وأخرج عن الحسن أنه كان يقرأ: « وَإِنْ مِنْكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا »، « الوُرُود الدّخول »[5]. قال ابن الإنبارىّ: قوله: « الورود الدخول » تفسير من الحسن لمعنى الورود. وغلط فيه بعض الرواة فألحقه بالقرآن.

قال ابن الجزرىّ فى آخر كلامه: وربما كانوا يُدخلون التفسير فى القراءة إيضاحاً وبيانا، لأنهم محقّقون لما تلقوه عن النبى صلّى الله عليه وسلّم قرآنا، فهم آمنون من الالتباس، وربّما كان بعضهم يكتبه معه.

وأما مَنْ يقول: إن بعض الصحابة كان يجيز القراءة بالمعنى، فقد كذب. انتهى.

وسأفرد فى هذا النوع — أعنى المدرج — تأليفا مستقلا.

---

(١) سورة الواقعة ٨٩
(٢) سورة النساء ١٢
(٣) سورة البقرة ١٩٨
(٤) سورة آل عمران ١٠٤
(٥) سورة مريم ٧١

تنبيهات

الأول : لا خلاف أن كلّ ماهو من القرآن يجب أن يكون متواترًا فى أصله وأجزائه؛ وأمّا فى محله ووضعه وترتيبه فكذلك عند محقّقى أهل السنّة ، للقطع بأنّ العادة تقضى بالتواتر فى تفاصيل مثله ؛ لأنّ هذا المعجز العظيم الذى هو أصل الدين القويم والصراط المستقيم ، مما تتوفّر الدواعى على نقل جُمَله وتفاصيله ، فما نُقِل آحادًا ولم يتواتر ، يُقطع بأنه ليس من القرآن قطعاً . وذهب كثير من الأصوليّين إلى أنّ التواتر شرط فى ثبوت ماهو من القرآن بحسب أصله ؛ وليس بشرط فى محلّه ووضعه وترتيبه ؛ بل يكثر فيها نقل الآحاد . قيل : وهو الذى يقتضيه صنع الشافعىّ فى إثبات البسملة من كلّ سورة .

ورُدَّ وهذا المذهب بأنّ الدليل السابق يقتضى التّواتر فى الجميع ، ولأنّه لو لم يشترط لجاز سقوط كثير من القرآن المكرّر وثبوت كثير مما ليس بقرآن ، أمّا الأوّل فلأنّا لو لم نشترط التواتر فى المحلّ جاز ألّا يتواتر كثير من المتكرّرات الواقعة فى القرآن ، مثل ﴿ فبِأىّ آلاءِ ربّكُمَا تُكَذِّبانِ ﴾ ؛ وأما الثانىّ فلأنه إذا لم يتواتر بعض القرآن بحسب المحلّ ، جاز إثبات ذلك البعض فى الموضع بنقل الآحاد .

وقال القاضى أبو بكر فى الانتصار : ذهب قوم من الفقهاء والمتكلّمين إلى إثبات قرآن حكما لا علّما بخبر الواحد دون الاستفاضة ، وكره ذلك أهلُ الحقّ وامتنعوا منه .

وقال قوم من المتكلمين : إنّه يسوغ إعمال الرّأىِ والاجتهاد فى إثبات قراءةٍ وأوجهٍ وأحرف ، إذا كانت تلك الأوجه صوابا فى العربية ، وإن لم يثبت أنّ النبىّ صلى الله عليه وسلم قرأ بها ؛ وأبى ذلك أهلُ الحقّ ، وأنكروه وخطّئوا من قال به . انتهى .

وقد بَنَي المالكيّة وغيرُهم ممّن قال بإنكار البسملة قولهم على هذا الأصل ،

وقرّروه بأنها لم تتواتر فى أوائل السُّور ، ومالم يتواتر فليس بقرآن.

وأجيب من قِبَلنا بمنع كونها لم تتواتر ، فربّ متواترٍ عند قومٍ دون آخرين ، وفى وقت دون آخر ، ويكفى فى تواترها إثباتُها فى مصاحف الصّحابة فمن بعدهم بخطّ المصحف ، مع منعهم أن يُكتب فى المصحف ماليس منه ، كأسماء السور ، وآمين ، والأعشار ؛ فلو لم تكن قرآنا لَماَ استجازوا إثباتها بخطّهِ من غير تمييز ؛ لأنّ ذلك يُحْمَل على اعتقادها ، فيكونون مغرّرين بالمسلمين ، حاملين لهم على اعتقاد ماليس بقرآن قرآنا ، وهذا ممّا لايجوز اعتقاده فى الصحابة.

فإن قيل : لعلّها أُثبِتت للفصل بين السُّور ؛ أجيب بأنّ هذا فيه تغرير ، ولا يجوز ارتكابُه لمجرّد الفصل ؛ ولو كانت له لكتِبت بين براءة والأنفال.

ويدلُّ لكونها قرآناً منزّلاً ما أخرجه أحمد وأبو داود والحاكم وغيرهم عن أمّ سلمة ، أنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم كان يقرأ : ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم * الحمد لله ربّ العالمين ﴾ ... الحديث ؛ وفيه : وعدّ « بسم الله الرحمن الرحيم » آية ، ولم يعدّ « عليهم » .

وأخرج ابنُ خزيمة والبيهقىّ فى المعرفة بسند صحيح من طريق سعيد بن جُبير عن ابن عباس ، قال : استرق الشيطان من الناس أعظم آية من القرآن ؛ « بسم الله الرحمن الرحيم » .

وأخرج البيهقىّ فى الشّعب وابن مردُويه بسندٍ حسن ، من طريق مجاهد عن ابن عباس قال : أغفل النّاس آية من كتاب الله لم تنزل على أحدٍ سوى النبىّ صلى الله عليه وسلّم إلا أنْ يكون سليمان بن داود ؛ « بسم الله الرحمن الرحيم » .

وأخرج الدارقطنىّ والطبرانىُّ فى الأوسط بسند ضعيف عن بُريدة ، قال : قال النبيّ صلى الله عليه وسلم : « لا أخرج من المسجد حتى أخبرَك بآيةٍ لم تنزل على نبىٍّ بعد سليمان غيرى » . ثم قال : « بأىّ شىء تفتتح القرآن إذا افتتحت الصلاة ؟ » ، قلت : « بسم الله الرحمن الرحيم » قال ، « هى هى » .

وأخرج أبوداود والحاكم والبيهقيّ والبزّار من طريق سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس قال : كان النبيّ صلّى الله عليه وسلّم لا يعرف فصل السورة حتى تنزل عليه : « بسم الله الرحمن الرحيم » . زاد البزّار : « فإذا نزلت عرف أنّ السورة قد ختمت واستقبلت ، أو ابتُدِئت سورة أخرى »

وأخرج الحاكم من وجهٍ آخر ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس ، قال : « كان المسلمون لا يعلمون انقضاءَ السورة حتى تنزل « بسم الله الرحمن الرحيم » ، فإذا نزلتْ علموا أنّ السورة قد انقضت » . إسناده على شرط الشّيخيْن .

وأخرج الحاكم أيضًا من وجه آخر عن سعيد عن ابن عباس ، أنّ النبيّ صلّى الله عليه وسلم كان إذا جاءه جبريل فقرأ : بسم الله الرحمن الرحيم ، علم أنّها سورة . إسناده صحيح .

وأخرج البيهقيّ فى الشُّعب وغيره عن ابن مسعود ، قال : كنّا لا نعلم فصلاً بين السورتين ، حتى تنزل : « بسم الله الرحمن الرحيم » .

قال أبو شامة : يحتمل أن يكون ذلك وقت عرضه صلى الله عليه وسلم على جبريل ، كان لا يزال يقرأ فى السورة إلى أن يأمره جبريل بالتسمية ، فيعلم أنّ السورة قد انقضت . وعبّر صلى الله عليه وسلم بلفظ النزول إشعارًا بأنها قرآن فى جميع أوائل السور . ويحتمل أن يكون المراد أنّ جميع آيات كلّ سورة كانت تنزل قبل نزول البسملة ، فإذا كملت آياتها نزل جبريل بالبسملة ، واستعرض السُّورة ، فيَعلم النبيّ صلى الله عليه وسلم أنها قد ختمت ، ولا يلحق بها شيء .

وأخرج ابنُ خُزيمة والبيهقيّ بسند صحيح ، عن ابن عباس ، قال : السبع المثانى فاتحة الكتاب ، قيل : فأين السابعة ؟ قال : بسم الله الرحمن الرحيم .

وأخرج الدارقطنيّ بسَند صحيحٍ ، عن عليّ : أنّهُ سئل عن السبع المثانى ، فقال : الحمد لله رب العالمين ، فقيل له : إنما هى ستّ آيات ، فقال : بسم الله الرحمن الرحيم آية .

وأخرج الدارقطنى وأبو نُعيم والحاكم فى تاريخه بسندٍ ضعيف عن نافع ، عن ابن

عمر أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « كان جبريل إذا جاءنى بالوحى أوّل ما يلقى علىّ : بسم الله الرحمن الرحيم » .

وأخرج الواحدىّ من وجهٍ آخر عن نافع عن ابن عمر ، قال : نزلت بسم الله الرحمن الرحيم في كلّ سورة .

وأخرج البيهقىّ من وجه ثالث ، عن نافع عن ابن عمر ، أنّه كان يقرأ في الصلاة بسم الله الرحمن الرحيم ، وإذا ختم السورة قرأها ، ويقول : ما كتبت في المصحف إلاّ لتُقرأ .

وأخرج الدارقطنىّ بسند صحيح عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا قرأتم الحمد ، فاقرءوا بسم الله الرحمن الرحيم ، إنّها أم القرآن ، وأمّ الكتاب والسبع المثانى ، وبسم الله الرحمن الرحيم إحدى آياتها » .

وأخرج مسلم عن أنس ، قال : بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم بين أظهرنا إذا أغْفَى إغفاءة ، ثم رفع رأسه متبسِّمًا ، فقال : أنزلت علىّ آنفا سورة ، فقرأ : بسم الله الرحمن الرحيم . إنا أعطيناك الكَوْثَرَ ... الحديث .

فهذه الأحاديث تعطى التواتر المعنوىّ بكونها قرآنا منزّلا فى أوائل السُّور .

ومن المشكل على هذا الأصل ما ذكره الإمام فخر الدين ، قال : نُقِل فى بعض الكتب القديمة أنّ ابنَ مسعود كان ينكر كون سورة الفاتحة والمعوّذتين من القرآن ، وهو فى غاية الصعوبة ، لأنّا إن قلنا : إن النّقل المتواتر كان حاصلاً فى عصر الصحابة بكون ذلك من القرآن ، فإنكاره يوجب الكفر ، وإن قلنا : لم يكن حاصلاً فى ذلك الزمان ، فيلزم أنّ القرآن ليس بمتواتر فى الأصل . قال : وإلاّ غلب على الظنّ أنّ نقل هذا المذهب عن ابن مسعود نقل باطل ، وبه يحصل الخلاص عن هذه العقدة . وكذا قال القاضى أبو بكر : لم يصحّ عنه أنها ليست من القرآن ولاحُفظ عنه . إنما حَكَّهَا وأسقطها من مصحفه

إنكارا لكتابتها ، لاجَحْدًا لكونهاقرآنا ، لأنّه كانت السنة عنده ألا يُكتب فى المصحف إلا ماأمر النبىّ صلى الله عليه وسلم بإثباته فيه ، ولم يجده كتب ذلك ولاسمعه أمَربه .

وقال النووىّ فى شرح المهذَّب : أجمع المسلمون على أنّ المعوذتين والفاتحة من القرآن ، وأنّ مَنْ جحد منها شيئا كفر ، ومانقل عن ابن مسعود باطل ليس بصحيح .

وقال ابن حزم فى المحلّى : هذا كذب على ابن مسعود وموضوع ، وإنماصحّ عنه قراءة عاصم عن زِرّعنه ، وفيها المعوّذتان والفاتحة .

وقال ابن حجر فى شرح البخارىّ : قد صحّ عن ابن مسعود إنكار ذلك ، فأخرج أحمد وابن حِبَّان عنه أنّه كان لا يكتب المعوّذتين فى مصحفه .

وأخرج عبد الله بن أحمد فى زيادات المسنَد والطبرانىّ وابن مردُويه من طريق الأعمش عن أبى إسحاق ، عن عبد الرحمن بن يزيد النَّخَعىّ ، قال : كان عبد الله بن مسعود يحكّ المعوّذتين من مصاحفه ، ويقول : إنّهما ليستا من كتاب الله .

وأخرج البزّار والطبرانىّ من وجه آخر عنه ، أنه كان يحكّ المعوَّذتين من المصحف ويقول : إنّما أمر النبىّ صلى الله عليه وسلم أن يُتعوّذ بهما ، وكان لايقرأبهما . أسانيده صحيحة.

قال البزّار : لم يتابع ابنَ مسعود على ذلك أحَدٌ من الصحابة ، وقد صحّ أنه صلى الله عليه وسلم قرأ بهما فى الصلاة .

قال ابنُ حجر: فقول من قال إنه كذب عليه مردود ، والطعن فى الروايات الصحيحة بغير مستَند لا يُقبل ، بل الروايات صحيحة ، والتأويل محتَمل . قال : وقد أوّله القاضى وغيره على إنكار الكتابة كماسبق .قال: وهو تأويل حسن ؛ إلاّأنّ الرواية الصريحة الّتى ذكرتها تدفع ذلك حيث جاء فيها :« ويقول : إنهما ليستا من كتاب الله » . قال : ويمكن حمل لفظ « كتاب الله » على المصحف فيتمّ التأويل المذكور . قال : لكن من تأمّل سياق الطرق المذكورة ، استبعد هذا الجمع .

قال : وقد أجاب ابن الصّبّاغ ، بأنه لم يستقرّ عنده القطع بذلك ، ثم حصل الاتفاق بعد

ذلك ، وحاصله أنّهما كانتا متواترتينْ فى عصره ؛ لـكنهما لم يتواترا عنده. انتهى .

وقال ابن قتيبة فى مشكل القرآن : ظنّ ابن مسعود أنّ المعوّذتين ليستا من القرآن لأنه رأى النبيّ صلى الله عليه وسلم يعوّذبهما الحسَن والحسين ، فأقام على ظنّه ، ولا نقول : إنّه أصاب فى ذلك وأخطأ المهاجرون والأنصار .

قال : وأما إسقاطه الفاتحة من مصحفه ، فليس لظنه أنها ليست من القرآن ، معاذ الله ! ولـكنّه ذهب إلى أن القرآن إنما كُتِب وجمع بين اللوحين مخافةَ الشكّ والنسيان والزيادة والنقصان ، ورأى أنّ ذلك مأمون فى سورة الحمد لقصرها ووجوب تعلّمها على كل واحد[١] .

قلت : وإسـقاطه الفاتحة من مصحفه ، أخرجه أبو عبيد بسند صحيح كما تقدّم فى أوائل النوع التاسع عشر .

* * *

التنبيه الثـانى

قال الزركشىّ فى البرهان : القرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان ، فالقرآن هو الوحى المنزّل على محمد صلى الله عليه وسلم للبيان و الإعجاز ، والقراءات اختلاف ألفاظ الوحى المذكور فى الحروف أو كيفيتها ، من تخفيفٍ وتشديد وغيرهما ، والقراءات السبع متواترة عند الجمهور. وقيل : بل مشهورة .

قال : الزركشىّ : والتحقيق أنّها متواترة عن الأئمة السبعة ، أمّا تواترها عن النبىّ صلّى الله عليه وسلم ففيه نظر ، فإنّ إسنادهم بهذه القراءات السبعة موجود فى كتب القراءات ، وهى نقل الواحد عن الواحد .

قلت : فى ذلك نظر لمـا سيأتى . واستثنى أبو شامة ـ كما تقدّم ـ الألفاظ المختلف فيها عن القراء .

واستثنى ابنُ الحاجب ما كان من قبيل الأداء كالمدّ والإمالة وتحقيق الهمزة . وقال

---

(١) مشكل القرآن ص ٣٣ ، ٣٤ مع تصرف فى العبارة واختصار

غيره : الحقّ أنّ أصلَ المدّ والإمالةمتواتر، ولكن التقدير غير متواتر للاختلاف فى كيفيته. كذا قال الزركشىّ ، قال : وأمّا أنواع تحقيق الهمزة فكلّها متواترة .

وقال ابن الجزرىّ : لانعلم أحدًا تقدم ابنَ الحاجب إلى ذالك ، وقد نصّ على تواتر ذلك كله أئمة الأصول كالقاضى أبو بكر وغيره ، وهو الصواب ، لأنّه إذا ثبت تواتر اللفظ ثبت تواتر هيئة أدائه ، لأنّ اللفظ لايقوم إلاّ به ،ولايصحّ إلا بوجوده .

* * *

التنبيه الثالث

قال أبو شامة : ظنّ قوم أن القراءات السبع الموجودة الآن هى الّتى أريدت فى الحديث ، وهو خلاف إجماع أهل العلم قاطبةً ، وإنما يَظنّ ذلك بعض أهل الجهل .

وقال أبو العباس بن عمار : لقد نقل مسبِّع هذه السبعة مالاينبغى له ، وأشكل الأمرُ على العامة بإيهامه كلّ من قلّ نظره ،أن هذه القراءآت هى المذكورة فى الخبر ؛ وليته إذا اقتصر نقص عن السبعة أوزاد ليزيل الشبهة . ووقع له أيضا فى اقتصاره عن كلّ إمام على راويينْ أنه صار من سمع قراءة راو ثالث غيرهما أبطلها، وقد تكون هى أشهر وأصحّ وأظهر . وربّما بالغ من لايفهم فخطّأ أو كفّر .

وقال أبو بكر بن العربىّ : ليست هذه السبعة متعيّنة للجواز حتى لا يجوز غيرها كقراءة أبى جعفر وشيبة والأعمش ونحوهم ؛ فإن هؤلاء مثلهم أوفوقهم . وكذا قال غير واحد ؛ منهم مكى وأبو العلاء الهَمَذانىّ وآخرون من أئمة القراء .

وقال أبو حيّان : ليس فى كتاب ابن مجاهد ومَنْ تبعه من القراءات المشهورة إلا النزْرُ اليسير ، فهذا أبو عمرو بن العلاء اشتهرَ عنه سبعة عشر راوياً ثم ساق أسماءهم ، واقتُصر فى كتاب ابن مجاهد على اليزيدىّ ، واشتهر عن اليزيدىّ عشرة أنفس ،

فكيف يقتصر على السُّوسىّ والدّورىّ ، وليس لهما مزية على غيرهما ! لأنّ الجميع يشتركون فى الضبط والإتقان والاشتراك فى الأخذ . قال : ولا أعرف لهذا سببا إلا ما قُضِىَ من نقص العلم .

وقال مكىّ : منْ ظنّ أن قراءة هؤلاء القراء كنافع وعاصم هى الأحرف السّبعة الّتى فى الحديث فقد غلط غلطاً عظيما . قال : ويلزم من هذا أنّ ما خرج عن قراءة هؤلاء السبعة ممّا ثبت عن الأئمة وغيرهم ، ووافق خط المصحف ، ألّا يكون قرآنا ، وهذا غلط عظيم ؛ فان الذين صنّفوا القراءات من الأئمة المتقدمين كأبى عُبيد القاسم بن سلاّم وأبى حاتم السجستانىّ وأبى جعفر الطبرىّ وإسماعيل القاضى ، قد ذكروا أضعاف هؤلاء ، وكان الناس على رأس المائتيْن بالبصرة على قراءة أبى عمرو ويعقوب ، وبالكوفة على قراءة حمزة وعاصم ، وبالشام على قراءة ابن عامر ، وبمكّة على قراءة ابن كثير ، وبالمدينة على قراءة نافع ، واستمرُّوا على ذلك ، فلمّا كان على رأس الثلاثمائة أثبت ابنُ مجاهد اسمَ الكسائىّ وحذف يعقوب . قال : والسبب فى الاقتصار على السبعة ــ مع أنّ فى أئمة القراء مَنْ هو أجلّ منهم قدراً ومثلهم أكثر من عددهم ــ أنّ الرواة عن الأئمة كانوا كثيراً جدًّا ، فلمّا تقاصرت الهمم ، اقتصروا ممّا يوافق خطّ المصحف على مايسهل حفظه وتنضبط القراءة به ، فنظروا إلى مَن اشتهر بالثّقة والأمانة وطول العمر فى ملازمة القراءة والاتفاق على الأخذ عنه ، فأفردوا من كلّ مصرٍ إماماً واحداً ، ولم يتركوا مع ذلك نقل ما كان عليه الأئمة غير هؤلاء من القراءات ولا القراءة به ، كقراءة يعقوب وأبى جعفر وشيبة وغيرهم . قال : وقد صنف ابن جُبير المكىّ قبل ابن مجاهد كتابا فى القراءات ، فاقتصر على خمسة اختار من كل مِصْرٍ إماماً ؛ وإنما اقتصر على ذلك لأنّ المصاحف الّتى أرسلها عثمان كانت خمسة إلى هذه الأمصار ؛ ويقال : إنه وجّه بسبعة : هذه الخمسة ومصحفاً إلى اليمن ومصحفا إلى البحرين ، لكن لمّا لم يُسمع لهذين

المصحفين خبر ، وأراد ابن مجاهد وغيره مراعاةَ عدد المصاحف ، استبدلوا من غير البحرين واليمن قارئين كمل بهما العدد ، فصادف ذلك موافقة العدد الّذى ورد الخبرُ به ، فوقع ذلك لمن لم يعرف أصل المسألة ، ولم تكن له فطنة ، فظنّ أنّ المراد بالأحرف السبعة القراءات السبع . والأصل المعتمَد عليه صحّة السند فى السماع ، واستقامة الوجه فى العربيّة وموافقة الرسم . وأصحّ القراءات سنداً نافع وعاصم ، وأفصحها أبو عمرو والكسائىّ .

وقال القرّاب [1] فى الشافى : التمسك بقراءة سبعة من القرّاء دون غيرهم ليس فيه أثر ولا سنّة ، وإنما هو من جمع بعض المتأخرين ، فانتشر وأوهم أنه لا تجوز الزيادة على ذلك ، وذلك لم يقل به أحد .

وقال الكواشىّ : كلّ ما صحّ سنده واستقام وجهه فى العربية ، ووافق خطّ المصحف الإمام فهو من السبعة المنصوصة ، ومتى فُقِد شرط من الثلاثة فهو الشاذّ .

وقد اشتدّ إنكار أئمة هذا الشأن على مَنْ ظنّ انحصار القراءات المشهورة فى مثل ما فى التيسير والشاطبية ، وآخرُ من صرّح بذلك الشيخ تقىّ الدين السبكىّ فقال فى شرح المنهاج : قال الأصحاب : تجوز القراءة فى الصلاة وغيرها بالقراءات السبع ، ولا تجوز بالشاذّة وظاهر هذا يُوهم أن غير السبع المشهورة من الشواذّ ، وقد نقل البغوىّ الاتفاق على القراءة بقراءة يعقوب وأبى جعفر مع السبع المشهورة ، وهذا القول هو الصواب .

قال : واعلمْ أنّ الخارج عن السبع المشهورة على قسمين : منه ما يخالف رسم المصحف فهذا لا شك فيه أنه لا تجوز قراءته لا فى الصلاة ولا فى غيرها . ومنه ما لا يخالف رسم المصحف ، ولم تشتهر القراءة به ؛ وإنّما ورد من طريق غريب لا يعوّل عليها ، وهذا يظهر المنع من القراءة به أيضا . ومنه ما اشتهر عند أئمة هذا الشأن القراءة به قديمًا وحديثا ، فهذا لا وجه للمنع منه ، ومن ذلك قراءة يعقوب وغيره .

---

(١) هو إسماعيل بن إبراهيم القراب ، وانظر النشر ١ : ٤٦

قال : والبغوىّ أَوْلَى مَنْ يُعتمَد عليه فى ذلك ؛ فإنه مقرئ ، فقيه جامع للعلوم . . قال : وهكذا التفصيل فى شواذ السبعة ، فإنّ عنهم شيئا كثيرًا شاذًّا . انتهى .

وقال ولده فى منع الموانع : إنما قلنا فى جمع الجوامع : والسبع متواترة ، ثم قلنا فى الشاذ والصحيح : إنه ماوراء العشرة ، ولم نقل : والعشر متواترة ، لأنّ السبع لم يختلف فى تواترها ، فذكرنا أوّلا موضع الإجماع ، ثم عطفنا عليه موضع الخلاف . قال : على أنّ القول بأن القراءات الثلاث غير متواترة فى غاية السقوط ، ولا يصحّ القول به عمّن يعتبَر قوله فى الدّين ، وهى لا تخالف رسمَ المصحف . قال : وقد سمعتُ أبى يشدّد النكير على بعض القضاة، وقد بلغه أنّه منع من القراءة بها ، واستأذنه بعض أصحابنا مرّة فى إقراء السبع ، فقال: أذِنت لك أن تقرِئ العشر . انتهى .

وقال فى جواب سؤال سأله ابن الجزرىّ : القراءات السبع ، التى اقتصر عليها الشاطبى، والثلاث التى هى قراءة أبى جعفر ويعقوب وخلَف متواترة معلومة من الدّين بالضرورة ، وكلّ حرف انفرد به واحد من العشرة معلومٌ من الدين بالضرورة أنّه منزّل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لا يكابر فى شىء من ذلك إلّا جاهل .

* * *

التنبيه الرابع

باختلاف القراءات يظهر الاختلاف فى الأحكام ، ولهذا بنى الفقهاء نقض وضوء الملموس وعدمه على اختلاف القراءة فى ﴿ لَمَسْتُمْ ﴾ و﴿ لَامَسْتُمْ ﴾[1] . وجواز وطء الحائض عند الانقطاع قبل الغسل وعدمه على الاختلاف فى ﴿يَطْهُرْنَ﴾[2] ، وقد حكوا خلافا غريبا فى الآية ، إذا قرئت بقراءتين ، فحكى أبو الليث السمرقندى فى كتاب البستان قولين : أحدهما أنّ الله قال بهما جميعا ، والثانى أنّ الله قال بقراءة واحدة ، إلّا أنه أذِن أن نقرأ بقراءتين . ثم اختار توسطا ، وهو أنّه إن كان لكلّ قراءة تفسير يغاير الآخر

---

(١) سورة النساء ٤٣ ، وانظر تفسير القرطبى ٥ : ٢٢٣

(٢) سورة البقرة ٢٢٢ ، وهى قراءة حمزة والكسائى وعاصم ، وقراءة المفضل ﴿يطّهّرْنَ﴾ بالتشديد .

فقد قال بهما جميعاً، وتصير القراءتان بمنزلة آيتين ، مثل ﴿حتى يطهرْن﴾ وإن كان تفسيرهما واحداً كـ ﴿ البُيوت ﴾[1] و﴿ البِيوت ﴾[1] ؛ فإنما قال بإحداهما ، وأجاز القراءة بهما لكل قبيلة ، على ما تعوّد لسانهم .

قال: فإن قيل: إذا قلتم انه قال بإحداهما ، فأيّ القراءتين هي؟ قلنا : التي بلغة قريش. انتهى

وقال بعض المتأخرين : لاختلاف القرءات وتنوعها فوائد :

منها : التهوين والتسهيل والتّخفيف على الأمّة .

ومنها : إظهار فضلها وشرفها على سائر الأمم ، إذ لم ينزل كتابُ غيرهم إلاّ على وجه واحد .

ومنها : إعظام أجرها ، من حيث أنهم يُفرغون جهدهم في تحقيق ذلك وضبطه لفظةً لفظة ، حتى مقادير المَدّات وتفاوت الإمالات ، ثم في تتبّع معاني ذلك واستنباط الحِكم والأحكام من دلالة كلّ لفظ ، وإمعانهم الكشف عن التوجيه والتعليل والترجيح .

ومنها : إظهار سرّ الله في كتابه وصيانته له عن التبديل والاختلاف مع كونه على هذه الأوجه الكثيرة .

ومنها : المبالغة في إعجازه بإيجازه، إذ تنوّع القراءات بمنزلة الآيات ، ولو جعلت دلالة كل لفظ آيةً على حِدَة، لم يخْفَ ما كان فيه من التطويل، ولهذا كان قوله: ﴿وأرْجُلِكُمْ ﴾[2] منزَّلاً لغسل الرجل ،والمسح على الخفّ، واللفظ واحد ، لكن باختلاف إعرابه .

ومنها :أن بعض القراءات يبيّن ما لعله يُجْهَل في القراءة الأخرى ، فقراءة ﴿ يَطّهّرْنَ ﴾ بالتشديد مبيِّنة لمعنى قراءة التخفيف ، وقراءة : ﴿ فامضوا إلى ذكر الله ﴾[3] ، تبين أن المراد بقراءة ﴿فاسْعَوْا ﴾ الذهاب ، لا المشي السريع .

وقال أبو عُبيد في فضائل القرآن : المقصد من القراءة الشاذة تفسير القراءة المشهورة

---

(١) سورة البقرة ١٨٩ (٢) سورة المائدة ٦ ، بالرفع والنصب والخفض، وانظر تفسير القرطبي ٦ : ٩١
(٣) سورة الجمعة ٩ ، وهي قراءة ابن مسعود

وتبيين معانيها ، كقراءة عائشة وحفصة « والْوُسْطَى صلاة العصر »[١] ، وقراءة ابن مسعود « فَاقْطَعُوا أَيْمَانهما »[٢] وقراءة جابر « فَإِن اللهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ لَهُنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ »[٣] قال : فهذه الحروف وما شاكلها قد صارت مفسّرة للقرآن ، وقد كان يُروَى مثل هذا عن التابعين فى التفسير فيستحسن ، فكيف إذا رُوِى عن كبار الصحابة ثم صار فى نفس القراءة ! فهو أكثر من التفسير وأقوى ؛ فأدنى ما يُستنبط من هذه الحروف معرفة صحّة التأويل . انتهى .

وقد اعتنيت فى كتاب « أسرار التنزيل » ببيان كل قراءة أفادت معنى زائدا على القراءة المشهورة .

* * *

التنبية الخامس

اختُلف فى العمل بالقراءة الشاذّة ، فنقل إمام الحرَمين فى البرهان عن ظاهر مذهب الشافعىّ ، أنّه لايجوز ، وتبعه أبو نَصْر القشيرىّ ، وجزم به ابن الحاجب ؛ لأنه نقله على أنه قرآن ، ولم يثبت . وذكر القاضيان : أبو الطيب والحسين ، والرّويانىّ والرّافعى العمل بها ، تنزيلاً لها منزلة خبر الآحاد ، وصحّحه ابن السبكىّ فى جمع الجوامع وشرح المختصر . وقد احتجّ الأصحاب على قطع يمين السارق بقراءة ابن مسعود ، وعليه أبو حنيفة أيضا . واحتجّ على وجوب التتابع فى صوْم كفارة اليمين بقراءته ﴿ متتابعاتٍ ﴾[٤] ، ولم يحتجّ بها أصحابنا لثبوت نسخها كما سيأتى .

* * *

التنبيه السادس

من المهمّ معرفة توجيه القراءات ؛ وقد اعتنى به الأئمة ، وأفردوا فيه كتبا . منها الحجة لأبي علىّ الفارسىّ والكشف لمكىّ ، والهداية للمهدوىّ ، والمحتسب فى توجيه الشواذّ لابن جنى . قال الكوَاشىّ : وفائدته أن يكون دليلاً على حسب المدلول عليه ،

---

(١) سورة البقرة ٢٣٨ (٢) سورة المائدة ٣٨ (٣) سورة النور ٣٣

(٤) سورة المائدة ٨٨ ، وقراءة الجمهور: ﴿ فصِيامُ ثلاثةِ أيّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمانِكُمْ ﴾ وزاد ابن مسعود: ﴿ مُتَتَابِعاتٍ ﴾، وانظر تفسير القرطبي ٦ : ٢٨٣

أو مرجّحا ؛ إلّا انه ينبغى التنبيه على شىء ؛ وهو أنه قد ترجحُ إحدى القراءتين على الأخرى ترجيحاً يكاد يسقطها ؛ وهذا غير مرضىّ ، لأن كلاًّ منهما متواتر .

وقد حكى أبو عمر الزاهد فى كتاب اليواقيت ، عن ثعلب ، أنه قال : إذا اختلف الإعرابان فى القرآن لم أفضّل إعراباً على إعراب ، فإذا خرجت إلى كلام الناس فضّلت الأقوى .

وقال أبو جعفر النحاس : السّلامة عند أهل الدين ، إذا صحت القراءتان ألاّ يقال : إحداهما أجود ، لأنهما جميعا عن النبىّ صلى الله عليه وسلم فيأثم مَنْ قال ذلك ، وكان رؤساء الصحابة ينكرون مثل هذا .

وقال أبو شامة : أكثر المصنّفون من التّرجيح بين قراءة «مالك» و «ملِك » ، حتى إن بعضَهم يبالغ إلى حدّ يكاد يسقط وجه القراءة الأخرى ؛ وليس هذا بمحمود بعد ثبوت القراءتين . انتهى .

وقال بعضهم : توجيه القراءات الشاذّة أقوى فى الصناعة من توجيه المشهورة .

* * *

خاتمة

قال النّخَعِىّ : كانوا يكرهون أن يقولوا : قراءة عبد الله ؛ وقراءة سالم ؛ وقراءة أُبَىّ ، وقراءة زيد ، بل يقال : فلان كان يقرأ بوجهِ كذا ؛ وفلان كان يقرأ بوجه كذا . قال النووىّ : والصحيح أن ذلك لا يكرَه .

النوع الثامن والعشرون

في معرفة الوقف والابتداء

أفرده بالتصنيف خلائق ؛ منهم أبو جعفر النّحاس ، وابن الأنبارى ، والزجاج ، والدانىّ ، والعمانى ، والسَّجاوندىّ ، وغيرهم . وهو فنٌّ جليل ، به يعرف كيف أداء القراءة . والأصلُ فيه ماأخرج النحاس ، قال : حدّثنا محمد بن جعفر الأنبارىّ ، حدثنا هلال بن العلاء بن أُبىّ وعبد الله بن جعفر ؛ قالا : حدثنا عبدالله بن عمرو الزُّرَقىّ ، عن زيد بن أبى أنَيسة ، عن القاسم بن عَوْف البكرىّ ، قال : سمعتُ عبد الله بن عمر يقول : لقد عشنا برهة من دهرنا ، وإنّ أحدنا ليؤتَى الإيمان قبل القرآن ، وتنزل السورة على محمد صلى الله عليه وسلم فنتعلّم حلالها وحرامها ، ومايَنبغى أن يوقَف عنده منها كما تتعلّمون أنتم القرآن اليوم ، ولقد رأينا اليوم رجالا يؤتَى أحدهم القرآن قبل الإيمان ، فيقرأ مابين فاتحته إلى خاتمته ، مايدرى ماآمرُه ولازاجره ، ولاماينبغى أن يوقف عنده منه . قال النحاس : فهذا الحديث يدلُّ على أنهم كانوا يتعلمون الأوقاف ، كما يتعلمون القرآن .

وقول ابن عمر : « لقد عشنا برهةً من دهرنا » يدلّ على أن ذلك إجماع من الصحابة . ثابت ، أخرج هذا الأثر البيهقىّ فى سننه .

وعن علىّ فى قوله تعالى : ﴿ وَرَتِّلِ القرآنَ تَرْتِيلًا ﴾[1] ، قال : الترتيل تجويد الحروف ومعرفة الوقوف .

قال ابنُ الأنبارىّ : من تمام معرفة القرآن معرفة الوقف والابتداء فيه .

وقال النِّكزاوىّ[2] : باب الوقف عظيم القَدْر ، جليل الخطر ؛ لأنّه لايتأتّى لأحدٍ معرفة معانى القرآن ولااستنباط الأدلّة الشرعية منه إلّا بمعرفة الفواصِل .

وفى النّشر لابن الجزَرىّ : لمّا لم يمكن القارئ أن يقرأ السورة أو القصة فى نفس

---

(١) سورة المزمل ٤

(٢) هو عبدالله بن محمد بن عبد الله بن عمر النكزاوى ، مقرئ من أهل الإسكندريه ، وصاحب كتاب الاقتضاء فى معرفة الوقف والابتداء . توفى سنة ٦٨٣ . طبقات القراء ١ : ٤٥٢

واحد ، ولم يجز التنفّس بين كلمتين حالة الوصْل ، بل ذلك كالتنفس فى أثناء الـكلمة ، وجب حينئذ اختيارُ وقفٍ للتنفّس والاستراحة ، وتعيّن ارتضاء ابتداء بعده[١] ، وتحتّم ألاّ يـكون ذلك ممّا يحيل المعنى[٢] ، ولايخلّ بالفهم ؛ إذ بذلك يظهر الإعجاز ، ويحصل القصد ؛ ولذلك حضّ الأئمة على تعلّمه ومعرفته[٣] . وفى كلام علىّ دليل على وجوب ذلك ، وفى كلام ابن عمر برهان على أنّ تعلّمه إجماع من الصحابة ، وصحّ – بل تواتر – عندنا تعلُّمه والاعتناء به من السّلف الصالح ، كأبى جعفر يزيد بن القعقاع أحد أعيان التابعين، وصاحبه الإمام نافع ، وأبى عمرو ،[٤] ويعقوب[٥] ، وعاصم ،[٦] ، وغيرهم من الأئمة ؛ وكلامهم فى ذلك معروف ، ونصوصهم عليه مشهورة فى الـكتب . ومن ثَمّ اشترط كثير من الخلَف من على المجيز ألاّ يجيز أحدًا إلا بعد معرفته الوقف والابتداء[٧] ، وصحّ عن الشعبىّ أنّه قال : إذا قرأت ﴿ كلُّ مَنْ عَلَيْهَا فانٍ﴾ فلا تسْكت حتى تقرأ : ﴿وَيَبْقَى وجهُ رَبِّك ذُو الجلالِ والإكرام﴾[٨] .

قلت: أخرجه ابن أبى حاتم[٩] .

* * *

فصل

[فى أنوع الوقف]

اصطلح الأئمة [على أنّ] لأنواع الوقف والابتداء أسماء ، واختلفوا فى ذلك ، فقال ابن

---

(١) فى النشر : « بعد النفس والاستراحة » .
(٢) النشر : « يخل بالمعنى » .
(٣) بعدها فى النشر : « كما قدمناه عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قوله : الترتيل معرفة الوقوف وتجويد الحروف . وروينا عن ابن عمر رضى الله عنهما أنه قال : لقد عشنا برهة من دهرنا ، وإن أحدنا ليؤتى الإيمان قبل القرآن ، وتنزل السورة على النبى صلى الله عليه وسلم فيتعلم حلالها وحرامها وآمرها وزاجرها ، وما ينبغى أنه يوقف عليه عنده منها » .
(٤) النشر : « وأبى عمرو بن العلاء » .
(٥) النشر : « يعقوب الحضرمى » .
(٦) النشر : « عاصم بن أبى النجود » .
(٧) بعدها فى النشر : « وكان أئمتنا يوقفوننا عند كل حرف ، ويشيرون إلينا فيه بالأصابع ، سنة أخذوها كذلك عن شيوخهم الأولين » .
(٨) سورة الرحمن ٢٦ ، ٢٧ .
(٩) انظر النشر ١ : ٢٢٤

الأنبارىّ : الوقف على ثلاثة أوجه : تامّ ، وحسَن ، وقبيح .

فالتامّ : الّذى يحسن الوقفُ عليه والابتداء بما بعده ، ولا يـكون بعده مايتعلَّق به ، كقوله : ﴿ وأولئكَ هُمُ المفلِحُون ﴾[1] ،وقوله : ﴿ أمْ لَمْ تنذرْهم لا يؤْمنون ﴾[2] .

والحسن : هو الذى يحسنُ الوقف عليه ولا يحسن الابتداء بما بعده ، كقوله : ﴿ الحمدُ لله ﴾ لأن الابتداء بـ ﴿ رب العالمين ﴾[3] لايحسن لـكونه صفة لما قبله .

والقبيح : هو الذى ليس بتامّ ولاحسن ، كالوقف على « بسم » من قوله : ﴿ بسمِ الله ﴾ . قال : ولا يتمّ الوقف على المضاف دون المضاف إليه ، ولا المنعوت دون نعته ، ولا الرافع دون مرفوعه وعكسه ، ولا الناصب دون منصوبه وعكسه ، ولا المؤكّد دون توكيده ، ولا المعطوف دون المعطوف عليه ، ولا البدل دون مبدَله ، ولا إنّ أو كان أو ظنّ وأخواتها دون اسمها ، ولا اسمها دون خبرها ، ولا المستثنى منه دون الاستثناء ، ولا الموصول دون صلته ، اسميًّا أو حرفيًّا ، ولا الفعل دون مصدره ، ولا حرفٌ دون متعلّقه ولا شرط دون جزائه .

* * *

وقال غيره : الوقف ينقسم إلى أربعة أقسام : تامّ مختار ، وكافٍ جائز ، وحسن مفهوم ، وقبيح متروك .

فالتامّ : هو الذى لا يتعلّق بشىء ممّا بعده ، فيحسن الوقفُ عليه والابتداء بما بعده ؛ وأكثر مايوجد عند رءوس الآيِ غالبا ، كقوله : ﴿ وأُولئِكَ هُمُ المفلِحُون ﴾[1] .

وقد يوجد فى أثنائها كقوله : ﴿ وَجَعلُوا أعِزَّةَ أهلِها أذِلّةً ﴾ ؛ هنا التمام ؛ لأنه انقضى كلام بلقيس ، ثم قال تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ يفعَلون ﴾[4] .

وكذلك : ﴿ لَقَدْ أَضَلَّنِي عن الذِّكرِ بعْدَ إذْ جاءنى ﴾؛[5] هنا التمام ؛ لأنه انقضى كلام

---

(١) سورة البقرة ٥
(٢) سورة البقرة ٦
(٣) سورة الفاتحة ١
(٤) سورة النمل ٣٤
(٥) سورة الفرقان ٢٩

الظالم أُبَيّ بن خلَف ، ثم قال تعالى : ﴿ وكَانَ الشَّيطَانُ للإنسان خَذُولاً ﴾ .

وقد يوجد بعدها كقوله : ﴿مُصْبِحِينَ * وَباللَّيل﴾ [١] هنا التمام لأنه معطوف على المعنى ، أى بالصبح وبالليل [٢] .

ومثله : ﴿ يَتَّكِئُونَ * وزخرفا﴾ [٣] ، رأس الآية « يَتَّكِئُونَ » و « زُخرفا » هو التمام لأنّه معطوفٌ على ماقبله [٤] .

وآخر كلّ قصة وماقبل أولها ، وآخر كل سورة [٥] ، وقبل ياء النداء وفعل الأمر والقَسَم ولامه ، دون القول والشرط مالم يتقدّمْ جوابه ، و « كان الله » ، و « ما كان » ، و « ذلك » ، و « لولا » ، غالبهنّ تامّ مالم يتقدمهن قَسَمٌ أوقول أومافى معناه [٦] .

والكافى منقطع فى اللفظ متعلّق فى المعنى ، فيحسن الوقف عليه والابتداء بما بعده أيضا ، نحوُ ﴿ حرِّمَتْ عَليكُمْ أمهاتُكم ﴾ [٧] هنا الوقف ويبتدأ بما بعدذلك ، وهكذا كلّ رأس آية بعدها « لام كى » و « إلا » بمعنى « لكن » « وإن » الشديدة المكسورة ، والاستفهام ، و « بل » ، « وألاَ » المخففة ، « والسين » ، « وسوف » ، للتهديد [٨] ، و « نعم » و « بئس » ، و « كيلا » ، مالم يتقدمهنّ قول أوقسم .

والحسن : هو الذى يحسن الوقف عليه ، ولايحسن الابتداء بما بعده ، نحو ﴿الحمد لِلّهِ ربّ العالمين﴾ [٩] .

والقبيح : هو الذى لايفهم منه المراد ، كالحمد ، وأقبح منه الوقف على : ﴿ لَقَدْ كَفر الذين قالوا ﴾ ، ويبتدىء : ﴿ إنّ اللهَ هُوَ المَسيحُ ﴾ [١٠] لأن المعنى مستحيل بهذا الابتداء ،

---

(١) سوره الصافات ١٣٧ ، ١٣٨

(٢) عبارة البرهان ١ : ٣٥١ : « مصبحين، رأس الآية ، والليل التمام » .

(٣) سورة الزخرف ٣٤ ، ٣٥

(٤) بعدها فى البرهان : « من قوله : ﴿سقفاً﴾

(٥) بعدها فى البرهان : « والأحزاب ، والأنصاف ، والأرباع والأثمان ، والأسباع ، والأتساع والاعشار ، والأخماس » .

(٦) البرهان ١ : ٣٥١

(٧) سورة النساء ٢٣

(٨) البرهان : « على التهدد » .

(٩) البرهان ١ : ٣٥٢ ، وبقية الكلام : « والرحمن الرحيم » ، والوقف عليه حسن ، لأن المراد مفهوم ، والإبتداء بقوله : « رب العالمين » و « الرحمن الرحيم » و « مالك يوم الدين » ، لايحسن ، لأن ذلك مجرور ، والإبتداء بالمجرور قبيح » .

(١٠) سورة المائدة ١٧

ومَنْ تعمّده وقصد معناه فقد كفر . ومثله فى الوقف : ﴿ فَبُهِتَ الَّذِى كَفَرَ ﴾ [1] ﴿فَلَهَا النِّصْفُ وَلأَبَوَيْهِ ﴾ [2] .

وأقبح من هذا الوقف على المنفىّ دون حرف الإيجاب ، نحو : ﴿ لا إله إلا الله ﴾ [3] ﴿ وماأرسلناكَ إلاَ مُبَشِّرًا ونذيرًا﴾ [4] ، فإن اضطر لأجل التنفس جاز، ثم يرجع إلى ماقبله حتى يصله بمابعده ولاحرج . انتهى .

* * *

وقال السَّجاوندىّ : الوقف على خمس مراتب : لازم ، ومطلَق ، وجائز ، ومجوّز لوجه ، ومرخص ضرورة .

١ — فاللازم مالوْ وُصل طرفاه غَيرَّ المراد ، نحو ﴿وَمَاهُمْ بِمُؤمِنين﴾ [5] يلزم الوقف هنا إذ لو وصل بقوله : ﴿ يُخَادِعُونَ اللهَ ﴾ [6] تُوُهِّم أن الجملة صفة لقوله : ﴿ بِمُؤْمِنين ﴾ ، فانتفى الخداع عنهم ، وتقرّر الإيمان خالصا عن الخداع ، كما تقول : ماهو بمؤمن مخادع .

وكما فى قوله : ﴿لاَذَلُولٌ تُثِيرُ الأَرْضَ﴾ [7] فإن جملة «تثير» صفة ل«ذلول» ، داخلة حيّز النفى ، أى ليست ذلولاً مثيرة للأرض ، والقصدُ فى الآية إثبات الخداع بعد نفى الإيمان.

ونحو ﴿ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَه وَلَدٌ ﴾ [8] ، فلو وصلها بقوله: ﴿لَهُ مَا فِى السَّموات وَمَافِى الأَرْض ﴾ ، لأوهم أنه صفة لولدٍ ، وأن المنفىّ ولد موصوف بأن له ما فى السموات ، والمراد الولد مطلقا .

٢ — والمطلق مايحسن الابتداء بما بعده ، كالاسم المبتدأ به نحو ﴿ اللهُ يَجْتَبِى ﴾ [9] . والفعل المستأنف نحو ﴿ يعبدوننى لا يُشْرِكُونَ بِى شيئًا ﴾ [10] ، و﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ﴾ [11] ،

---

(١) سورة البقرة ٢٥٨
(٢) سورة المائدة ١٩٥
(٣) سورة محمد ١٩
(٤) سورة الإسراء ١٠٥
(٥) سورة البقرة ٨ ، ٩
(٦) سورة البقرة ٧١
(٧) سورة النساء ١٧١
(٨) سورة الشورى ١٣
(٩) سورة النور ٥٥
(١٠) سورة البقرة ١٤٢

و ﴿ سَيَجْعَلُ اللهُ بعدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴾[1] .

ومفعول المحذوف نحو : ﴿ وَعْدَ اللهِ ﴾[2] ، ﴿ سنَّةَ اللهِ ﴾[3] .

والشرط : نحو ﴿ مَنْ يَشأ اللهُ يُضْلِلْهُ ﴾[4] .

والاستفهام ولو مقدرا ، نحو ﴿ أتُرِيدونَ أنْ تهدوا ﴾[5] ، ﴿ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا ﴾[6] .

والنفى : ﴿ مَا كَانَ لَهُـمُ الخِيَرَة ﴾ ،[7] ﴿ إنْ يُرِيدونَ إلَّا فِرارًا ﴾[8] ، حيث لم يكن كل ذلك مقولا لقول سابق .

٣ — والجائز مايجوز فيه الوصل والفصل لتجاذب الموجبَيْن من الطرفين ، نحو ﴿ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبلك ﴾[9] ، فإن واو العطف تقتضى الوصلَ ، وتقديم المفعول على الفعل يقطع النظم فإنّ التقدير : « ويوقنون بالآخرة » .

٤ — والمجوّز لوجه ، نحو : ﴿ أولئكَ الَّذِينَ اشترَوُا الحيَاةَ الدنيا بالآخرة ﴾[10] لأن الفاء فى قوله . ﴿ فلا يخفَّف عنهم ﴾[10] تقتضى التسبُّب والجزاء ، وذلك يُوجب الوصل ، وكون نظم الفعل على الاستئناف يجعل للفصل وجها .

٥ — والمرخّص ضرورة ، مالا يستغنى مابعده عمّا قبله ، لكنه يرخّص لانقطاع النفَس وطول الكلام ، ولايلزمه الوصل بالعوْد ، لأنّ مابعده جملة مفهومة ، كقوله ﴿ والسَّماء بناء ﴾[11] لأن قوله : ﴿ وأنزلَ ﴾[11] لايستغنى عن سياق الكلام ، فإنّ فاعله ضمير يعود إلى ماقبله ، غير أن الجملة مفهومة .

---

(١) سورة الطلاق ٧
(٢) سورة النساء ١٢٢
(٣) سورة الأحزاب ١٣٨
(٤) سورة الأنعام ٣٩
(٥) سورة النساء ٨٨
(٦) سورة الأنفال ٦٧
(٧) سورة القصص ٦٨
(٨) سورة الاحزاب ١٣
(٩) سورة البقرة ٤
(١٠) سورة البقرة ٨٦
(١١) سورة البقرة ٢٢

وأماما لايجوز الوقفُ عليه ، فكالشرط دون جزائه ، والمبتدأ دون خبره ، ونحو ذلك .

* * *

وقال غيره : الوقف فى التنزيل على ثمانية أضرب : تامّ ، وشبيه به ، وناقص ، وشبيه به ، وحسن ، وشبيه به ، وقبيح ، وشبيه به .

وقال ابن الجزرىّ : أكثر ماذكر الناس فى أقسام الوقف غير منضبط ولا منحصر ، وأقرب ماقلته فى ضبطه : إن الوقف ينقسم إلى اختيارىّ واضطرارىّ ، لأن الكلام إمّا أن يتمّ أولا ؛ فإن تمّ كان اختياريًّا ، وكونه تامًّا لايخلو إما ألاّ يكون له تعلّق بما بعده البتّة — أى لا من جهة اللفظ ولا من جهة المعنى — فهو الوقف المسمى بالتام لتمامه المطلق يوقف عليه ويبتدأ بما بعده ؛ ثم مثّله بما تقدم فى التامّ [١] .

قال : وقد يكون الوقف تامًّا فى تفسير وإعراب وقراءة ؛ غير تامٍّ على آخر ، نحو : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللهُ ﴾ [٢] تامّ ، إن كان مابعده مستأنفا ؛ غير تامّ إن كان معطوفا . ونحو فواتح السور ؛ الوقف عليها تامّ إن أعربت مبتدأ والخبر محذوف أو عكسه ، أى الم هذه ، أو هذه الم ؛ أو مفعولا بـ « قُلْ » مقدرا غير تام إن كان مابعدها هو الخبر . ونحو ﴿ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْناً ﴾ [٣] ، تام على قراءة ﴿ واتَّخِذوا ﴾ بكسر الخاء ، كاف على قراءة الفتح . ونحو ﴿ إلى صراط العزيز الحميد ﴾ [٤] ، تامّ على قراءة مَنْ رفع الاسم الكريم بعدها ، حسن على قراءة من خفض .

وقد يتفاضل التامّ ، نحو ﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [٥] كلاهما ، تامٌّ إلا أن الأول أتمّ من الثانى ، لاشتراك الثانى فيما بعده فى معنى الخطاب بخلاف الأول [٦] .

وهذا هو الذى سمّاه هو بعضهم شبيها بالتامّ .

---

(١) النشر ١ : ٢٢٥
(٢) سورة آل عمران ٧
(٣) سورة البقرة ١٢٥
(٤) سورة سبأ ٦ ؟
(٥) سورة الفاتحة ٣ ، ٤
(٦) النشر ١ : ٢٢٧ ، ٢٢٨

ومنه مايتأكد استحسانه لبيان المعنى المقصود به ، وهو الذى سماه السَّجاوندىّ باللازم ، وإن كان له تعلق ، فلا يخلو إما أن يكون من جهة المعنى فقط ، وهو المسمّى بالكافى للاكتفاء به واستغنائه عمّا بعده ، واستغناء ما بعده عنه ، كقوله : ﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾ [1] ، وقوله : ﴿ وما أُنزِل من قبلك ﴾ ، [2] وقوله : ﴿ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ ﴾ [3] .

أو بتفاضل فى الكفاية كتفاضل التمام نحو ﴿ فى قلوبهم مرض ﴾ كاف ، ﴿ فزادهم الله مرضا ﴾ أكفى منه ، ﴿ بما كانوا يكذِبون ﴾ [4] أكفى منهما .

وقد يكون الوقف كافيا على تفسير وإعراب وقراءة ، غير كافٍ على آخر ، نحو قوله : ﴿ يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ ﴾ ، [5] كافٍ إن جعلت « ما » بعده نافية ، حسن إن فُسّرت موصولة .

﴿ وبالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ [6] كافٍ إن أعراب ما بعده مبتدأ خبره ﴿ عَلَى هُدًى ﴾ [7] . حسن إن جعل خبر ﴿ الذين يؤمنون بالغيب ﴾ [8] ، أو خبر ﴿ والذين يؤمنون بما أنزل ﴾ [9] .

﴿ ونحن له مُخْلِصُون ﴾ ، [10] كافٍ على قراءة ﴿ أم تقولون ﴾ [11] بالخطاب ، حسن على قراءة الْغَيْب .

﴿ يحاسبكم به الله ﴾ كافٍ على قراءة مَنْ رفع ﴿ فيغفرُ ﴾ و ﴿ يعذِّبُ ﴾ [12] ، حسن على قراءة مَنْ جزم .

وإن كان التعلّق من جهة اللفظ ؛ فهو المسمى بالحسن ، لأنه فى نفسه حسن مفيد ، يجوز الوقف عليه دون الابتداء بما بعده للتعلّق اللفظى إلاّ أن يكون رأس آية ، فإنه يجوز فى اختيار أكثر أهل الأداء ، لمجيئه عن النبى صلى الله عليه وسلم فى حديث أمّ سلمة الآتى .

وقد يكون الوقف حسناً على تقدير ، وكافياً أو تامّاً على آخر ، نحو ﴿ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [13]

---

(١) سورة البقرة ٣
(٢) سورة البقرة ٤
(٣) سورة البقرة ٥
(٤) سورة البقرة ١٠
(٥) سورة البقرة ١٠٢
(٦) سورة البقرة ٤
(٧) سورة البقرة ٥
(٨) سورة البقرة ٣
(٩) سورة البقرة ٤
(١٠) سورة البقرة ١٣٩
(١١) سورة البقرة ١٤٠
(١٢) سورة البقرة ٢٨٤
(١٣) سورة البقرة ٢

حسن إن جعل مابعده نعتا ، كافٍ إن جعل خبر مقدّرٍ ، أو مفعول مقدّر على القطع . تامّ إن جعل مبتدأ خبره ﴿ أولئك ﴾ .

وإن لم يتمّ الكلام ؛ كان الوقف عليه اضطراريًا ، وهو المسمّى بالقبيح ، لا يجوز تعمّد الوقف عليه إلاّ لضرورة ، من انقطاع نَفَس ونحوه ، لعدم الفائدة أو لفساد المعنى ، نحو ﴿ صراط الّذين ﴾ [١] .

وقد يكون بعضه أقبح من بعض ، نحو ﴿فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ ﴾ [٢] ، لإيهامه أنهما مع البنت شركاء فى النّصف .

وأقبح منه نحو : ﴿ إنّ اللهَ لا يستحيي ﴾ [٣] ، ﴿ فَوَيْلٌ لِلمُصَلِّين ﴾ [٤] ، ﴿ لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاة ﴾ [٥] .

فهذا حكم الوقف اختياريًّا واضطراريًّا .

وأما الابتداء فلا يكون إلا اختياريًّا ؛ لأنه ليس كالوقف تدعو إليه ضرورة ، فلا يجوز إلا بمستقلّ بالمعنى موفٍ بالمقصود ، وهو فى أقسامه كأقسام الوقف الأربعة ، وتتفاوت تماماً وكفاية وحسنا وقبحاً ، بحسب التمام وعدمه ، وفساد المعنى وإحالته ، نحو الوقف على ﴿ ومِنَ النّاس ﴾ [٦] ، فإنّ الابتداء بـ « النّاس » قبيح ، و ﴿ آمَنَّا ﴾ تامّ ؛ فلو وقف على ﴿ مَنْ يقول ﴾ كان الابتداء بـ « يقول » أحسن من الابتدائه بـ « مَنْ » .

وكذا الوقف على ﴿ختم الله﴾ [٧] قبيح ، والابتداء بـ « الله » أقبح وبـ « ختم » كافٍ .

والوقف على ﴿ عُزَيْرٌ ابن الله ﴾ و ﴿ المسيح ابن الله ﴾ [٨] قبيح ، والابتداء بابن أقبح ، وبعزير والمسيح أشدّ قبحا .

ولو وقف على ﴿ مَا وَعَدَنَا الله ﴾ [٩] ضرورة ، كان الابتداء بالجلالة قبيحا ، وبـ « وعدنا » أقبح منه وبـ « ما » أقبح منهما .

---

(١) سورة الفاتحة ٦ (٢) سوره النساء ١١ (٣) سورة البقرة ٢٦
(٤) سورة الماعون ٤ (٥) سورة النساء ٤٣ (٦) سورة البقرة ٨
(٧) سورة البقرة ٧ (٨) سورة التوبة ٣٠ (٩) سورة الأحزاب

وقد يكون الوقف حسنا والابتداء به قبيحاً ، نحو : ﴿يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وإيَّاكُمْ﴾ [١] الوقف عليه حسن ، والابتداء به قبيح ، لفساد المعنى ، إذ يصير تحذيرا من الإيمان بالله .

وقد يكون الوقف قبيحا والابتداء جيّدا ، نحو ﴿مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنا هذا﴾ [٢] ، الوقف على « هذا » قبيح لفصله بين المبتدأ وخبره ، ولأنه يوهم أن الإشارة إلى المرقد ، والابتداء بهذا كافٍ أو تامّ لاستئنافه .

* * *

تنبيهات

الأوّل : قولهم : لا يجوز الوقف على المضاف دون المضاف إليه ولا كذا ، قال ابن الجزرىّ : إنّما يريدون به الجواز الأدائى ؛ وهو الذى يحسن فى القراءة ويروق فى التلاوة ، ولا يريدون بذلك أنّه حرام ولا مكروه ، اللّهمّ إلا أن يقصد بذلك تحريف القرآن وخلاف المعنى الذى أراداه الله ، فإنه يكفر فضلاً عن أن يأثم [٣] .

* * *

الثانى : قال ابن الجزرىّ أيضا : ليس كلّما يتعسّفه بعض المعربين أو يتكلّفه بعض القراء ، أو يتأوله بعض أهل الأهواء ممّا يقتضى وقفاً أو ابتداء ينبغى أنْ يُتعمّد الوقفُ عليه ، بل ينبغى تحرّى المعنى الأتمّ ، والوقف الأوجه ، وذلك نحو الوقف على : ﴿وَارْحَمْنَا أَنْتَ﴾ والابتداء ﴿مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا﴾ [٤] على معنى النداء .

ونحو ﴿ثُمَّ جَاءوكَ يَحْلِفُونَ﴾ ، ويبتدئ ﴿بالله إنْ أَرَدْنَا﴾ [٥] .

ونحو ﴿يابُنَىَّ لَا تُشْرِكْ﴾ [٦] ، ويبتدئ ﴿بالله إنَّ الشِّرْكَ﴾ ، على معنى القسم .

ونحو ﴿وما تشاءون إلا أن يشاء﴾ ويبتدئ ﴿اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [٧] .

---

(١) سورة الممتحنة ١ — (٢) سورة يس ٥٢

(٣) النشر ١ : ٢٣ مع اختصار وتصرف — (٤) سورة البقرة ٢٥٦

(٥) سورة النساء ٦٢ — (٦) سورة لقمان ١٣

(٧) سورة الإنسان ٣٠

ونحو ﴿ فَلَا جُنَاحَ ﴾ ، ويبتدئ ﴿ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا ﴾ [(١)].
فكلّه تعسّف وتمحّل وتحريف للكلم عن مواضعه [(٢)].

الثالث : يغتفر فى طول الفواصل والقصص والجمل المعترضة ونحو ذلك وفى حالة جمع القراءات وقراءة التحقيق والتنزيل مالا يغتفر فى غيرها ، فربما أجيز الوقف والابتداء لبعض ماذكر ، ولو كان لغير ذلك لم يُبَحْ ، وهذا الذى سماه السّجاوندىّ المرخّص ضرورة ، ومثّله بقوله : ﴿ والسَّمَاءَ بِنَاءً ﴾ [(٣)].

قال ابن الجزرىّ : والأحسن تمثيله بنحو ﴿ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ﴾ [(٤)] وبنحو ﴿ النَّبِيِّينَ ﴾ [(٥)] ، وبنحو ﴿ وأَقَامَ الصَّلَاةَ وآتَى الزَّكَاةَ ﴾ [(٦)] ، وبنحو ﴿ عَاهَدُوا ﴾ [(٧)] ، وبنحو كلّ من فواصل ﴿ قد أفلح المؤمنون... ﴾ إلى آخر القصه [(٨)].

وقال صاحب المستوفَى [(٩)] : النحويون يكرهون الوقف الناقص فى التنزيل مع إمكان التامّ ، فإن طال الكلام ولم يُوجد فيه وقف تام ، حسن الأخذ بالناقص ، كقوله : ﴿ قُلْ أُوحِيَ ﴾ إلى قوله : ﴿ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللهِ أَحَدًا ﴾ إن كسرت بعده إن ، وإن فتحتها فإلى قوله : ﴿ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴾ [(١٠)].

* * *

قال : ويحسّن الوقف الناقص أمور منها أنْ يكون لضرب من البيان ، كقوله: ﴿ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ﴾ فإنّ الوقف هنا يبيّن أن ﴿ قَيِّمًا ﴾ [(١١)] منفصل عنه ، وأنه حالٌ فى نيّة التقديم . وكقوله : ﴿ وَبَنَاتُ الأُخْتِ ﴾ [(١٢)] ليفصل به بين التحريم النسبى والسببّى . ومنها أن يكونَ الكلام مبنيًا على الوقف ، نحو ﴿ يَالَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ * ولم أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴾ [(١٣)].

---

(١) سورة البقرة ١٥٨
(٢) النشر ١ : ٢٣١
(٣) سورة البقرة ٢٢
(٤) سورة البقرة ١٧٧ الأحزاب ١٥
(٥) سورة البقرة ٦١
(٦) سورة البقرة ١٧٧ (٧) سورة البقرة ١٧٧
(٨) سورة النشر ١ : ٢٣٦
(٩) هو جمال الدين أبو سعد على بن مسعود بن محمود ابن أحمد بن الحكيم الفرغانى ، وكتاب المستوفى منه نسخة بدار الكتب المصرية برقم — ١٧٦١ ـ نحو
(١٠) سورة الجن ١ — ١٩
(١١) سورة الكهف ١ ، ٢
(١٢) سورة النساء ٢٣
(١٣) سورة الحاقة ٢٥ ، ٢٦

قال ابن الجزرى : وكما اغتُفر الوقف لما ذكر، قد لا يُغتفر ولا يحسن فيما قَصُر من الجُمل، وإن لم يكن التعلّق لفظيا، نحو ﴿ وَلَقَدْ آتينا موسى الكِتَابَ... ﴾[1]، ﴿وآتيناعيسى بن مريم البيّنات﴾[1] لقرب الوقف على ﴿بالرسل﴾[1] وعلى ﴿القدس﴾[1].

وكذا يراعى فى الوقف الازدواج، فيوصَل مايوقف على نظيره مما يوجد التمام عليه وانقطع تعلقه بما بعده لفظا، وذلك من أجل ازدواجه، نحو ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ — مع — وَلَكُم ما كَسَبْتُم ﴾[2]. ونحو ﴿فَمَنْ تعجّلَ فى يَوْمَيْنِ فَلَا إثمَ عليه —[3] مع — وَمَنْ تأخّر فَلَا إثْمَ عليه ﴾، ونحو ﴿يُولِجُ اللَّيلَ فى النهارِ — مع — ويولِجُ النَّهار فى الليل ﴾،[4] ونحو ﴿ مَنْ عَمِلَ صالحًا فلنفْسِهِ — مع — وَمَنْ أساء فعليها ﴾[5].

* * *

الرابع : قد يجيزون الوقف على حرف [ويجيز آخرون الوقف[6]] على آخر، ويكون بين الوقفين مراقبة على التضادّ، فإذا وقف على أحدهما امتنع الوقف على الآخر، كمن أجاز الوقف على ﴿لَا رَيْبَ﴾ فإنه لايجيزه على ﴿فيه﴾، والذى يُجيزه على ﴿ فيه ﴾، لايجيزه على ﴿ لاريب ﴾[7].

وكالوقف على ﴿وَلَا يَأْبَ كاتبٌ أنْ يكتُبَ﴾، فإن بينه وبين ﴿ كَمَا علّمه الله ﴾[8] مراقبة. والوقف على ﴿ومايعلم تأويلَه إلا الله﴾ فإنّ بينه وبين ﴿والراسخون فى العلم﴾[9] مراقبة.

قال ابن الجزَرىّ : وأوّل مَنْ نبّه على المراقبة فى الوقف أبو الفضل الرازىّ، أخذه من المراقبة فى العروض[10].

* * *

الخامس: قال ابن مجاهد : لايقوم بالتّمام فى الوقف إلا نحوىّ عالم بالقراءات، عالم

---

(١) سورة البقرة ٨٧ (٢) سورة البقرة ١٣٤
(٣) سورة البقرة ٢٠٣ (٤) سورة فاطر ١٣
(٥) سورة فصلت ٤٦، وانظر النشر ١ : ٢٣٧ (٦) من النشر
(٧) سورة البقرة ٢ (٨) سورة البقرة ٢٨٢
(٩) سورة آل عمران ٧ (١٠) المراقبة فى العروض، تأتى فى عروض المضارع والمقتضب وهو أن يكون الجزء مرة مفاعيل. ومرة مفاعيلن وانظر النشر ١ : ٢٣٧

بالتفسير والقصص وتخليص بعضها من بعض ، عالم باللغة التي نزل بها القرآن .

وقال غيره وكذا علم الفقه، ولهذا من لم يقبل شهادة القاذف وإن تاب ، يقف عند قوله : ﴿ وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا ﴾ [١] . وممن صرح بذلك النكزاوى ، فقال فى كتاب الوقف : لابد للقارئ من معرفة بعض مذاهب الأئمة المشهورين فى الفقه، لأن ذلك يعين على معرفة الوقف والابتداء ؛ لأن فى القرآن مواضع ينبغى الوقف على مذهب بعضهم ، ويمتنع على مذهب آخرين .

فأما احتياجه إلى علم النحو وتقديراته ، فلأن من جعل ﴿ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ ﴾ [٢] منصوباً على الإغراء ، وقف على ما قبله ، أو أعمل فيها ما قبله فلا [يقف].

وأما احتياجه إلى القراءات ، فلما تقدم من أن الوقف قد يكون تاماً على قراءة غير تام على أخرى .

وأما احتياجه إلى التفسير ، فلأنه إذا وقف على ﴿ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً ﴾ [٣] كان المعنى : إنها محرمة عليهم هذه المدة ، وإذا وقف على ﴿ عَلَيْهِمْ ﴾ كان المعنى إنها محرمة عليهم أبداً ، وأن التيه أربعين ؛ فرجع فى هذا إلى التفسير . وقد تقدم أيضاً أن الوقف يكون تاماً على تفسير وإعراب ، غير تام على تفسير وإعراب آخر .

وأما احتياجه إلى المعنى فضرورة ، لأن معرفة مقاطع الكلام إنما تكون بعد معرفة معناه ، كقوله : ﴿ وَلَا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ ﴾ [٤] فقوله : ﴿ إِنَّ الْعِزَّةَ ﴾ استئناف لا مقولهم . وقوله : ﴿ فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا ﴾ [٥] ويبتدئ ﴿ أَنْتُمَا ﴾ ؛ وقال الشيخ عز الدين : الأحسن الوقف على ﴿ إِلَيْكُمَا ﴾ ، لأن إضافة الغلبة إلى الآيات أولى من إضافة عدم الوصول إليها ؛ لأن المراد بالآيات العصا وصفاتها ، وقد غلبوا بها السحرة ، ولم تمنع عنهم فرعون .

وكذا الوقف على قوله : ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ ﴾ ويبتدئ ﴿ وَهَمَّ بِهَا ﴾ [٦]

---

(١) سورة النور ٤ (٢) سورة الحج ٧٨
(٣) سورة المائدة ٢٦ (٤) سورة يونس ٦٥
(٥) سورة القصص ٣٥ (٦) سورة يوسف ٢٤

على أن المعنى: « لولا أن رأى برهان ربه لهمّ بها » فقدّم جواب « لولا » ويكون همّ منفيا ، فعلم بذلك أن معرفة المعنى أصل فى ذلك كبير.

* * *

السادس : حكى ابنُ برهان النحوىّ عن أبى يوسف القاضى صاحب أبى حنيفة ، أنه ذهب إلى أن تقدير الموقوف عليه من القرآن بالتامّ والناقص والحسن والقبيح ، وتسميته بذلك بدعة ، ومتعمّد الوقوف على نحوه مبتدع ، قال: لأنّ القرآن معجز ، وهو كالقطعة الواحدة ، فكلّه قرآن وبعضه قرآن ، وكلّه تام حسن ، وبعضه تامّ حسن.

* * *

السابع : لأئمة القرّاء مذاهب فى الوقف والابتداء ، فنافع كان يراعى محاسنهما بحسب المعنى ، وابن كثير وحمزة حيث ينقطع النَّفَس. واستثنى ابن كثير ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ﴾[1] ، ﴿ وَمَا يُشْعِرُكُمْ ﴾[2] ، ﴿ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ ﴾[3] ، فتعمّد الوقف عليها. وعاصم والكسائى حيث تمّ الكلام ، وأبو عمرو يتعمّد رءوس الآى ويقول : هو أحبّ إلىّ. فقد قال بعضهم : إن الوقف عليه سنة.

وقال البيهقىّ فى الشُّعَب وآخرون : الأفضل الوقف على رءوس الآيات ، وإن تعلّقت بما بعدها ، اتباعا لهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنّته.

روى أبو داود وغيرُه عن أمّ سلمة ، أنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم كان إذا قرأ قطّع قراءته آية آية ، يقول : ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ ، ثم يقف ، ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ ، ثم يقف ، ﴿ الرحمن الرحيم ﴾ ثم يقف.

* * *

الثامن : الوقف والقطع والسكت ، عبارات يُطلقها المتقدّمون غالبًا ، مرادا بها الوقف ، والمتأخرون ، فرّقوا فقالوا :

---

(١) سورة آل عمران ٧

(٢) سورة الأنعام ١٠٩

(٣) سورة النحل ١٠٣

القطع : عبارة عن قطع القراءة رأسًا فهو كالانتهاء ، فالقارئ به كالمعرض عن القراءة ، والمنتقل إلى حالة أخرى غيرها ؛ وهو الذى يستعاذ بعده للقراءة المستأنفة ، ولا يكون إلاّ على رأس آية ، لأنّ رءوس الآى فى نفسها مقاطع ؛ أخرج سعيد بن منصور فى سننه ، حدّثنا أبو الأحوص ، عن أبى سنان ، عن ابن أبى الهذيل ، أنه قال : كانوا يكرهون أن يقرءوا بعض الآية ويدَعوا بعضها . إسناده صحيح. وعبد الله بن أبى الهُذيل تابعىّ كبير ، وقوله : « كانوا » ، يدلّ على أنّ الصحابة كانوا يكرهون ذلك .

والوقف : عبارة عن قطع الصَّوْت عن الكلمة زمنًا يتنفّس فيه عادة بنيّة استئناف القراءة لا بنيّةِ الإعراض، ويكون فى رءوس الآى وأوساطها ، ولا يأتى فى وسط الكلمة ، ولا فيما اتّصل رسمًا .

والسكت : عبارة عن قَطْع الصوت زمنا هو دون زمن الوقف عادة من غير تنفّس . واختلفت ألفاظ الأئمة فى التأدية عنه ، مما يدلّ على طوله وقصَره ؛ فعن حمزة فى السّكت على الساكنِ قبل الهمزة سكتة يسيرة ، وقال الأشنانى : قصيرة ، وعن الكسائىّ . سكتة مختلسة من غير إشباع . وقال ابن غلبون : وقفة يسيرة ، وقال مكىّ : وقفة خفيفة . وقال ابن شريح : وُقَيْفة . وعن قتيبة : من غير قَطْع نفَس ، وقال الدانِىّ : سكتة لطيفة من غير قطع .

وقال الجعبرىّ : قطْع الصوت زمنا قليلا أقصرُ من زمن إخرج النَّفَس ، لأنه أن طال صار وقفًا ؛ فى عبارات أُخَر .

قال ابن الجزَرىّ : والصحيح أنه مقيّد بالسّماع والنقل ، ولا يجوز إلا فيما صحت الرواية به ، لمعنى مقصود بذاته . وقيل : يجوز فى رءوس الآى، مطلقا حالة الوصل لقصد البيان . وحمل بعضهم الحديث الوارد على ذلك [(١)] .

* * *

ضوابط

١ — كلّ ما فى القرآن من « الذى » و« الذين » ، يجوز فيه الوصل بما قبله نعتًا ، والقطع على

---

(١) النشر ١ : ٢٤٣

أنه خبر ، إلاّ فى سبعة مواضع ، فإنه يتعيّن الابتداء بها .

﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ ﴾[1]، فى البقرة .

﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ ﴾[2] ، فيها وفى الأنعام أيضا .

﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا ﴾[3] فى البقرة .

﴿ الَّذِينَ آمنوا وهاجروا ﴾[4] ، فى براءة .

﴿ الَّذِينَ يُحْشَرُونَ ﴾ ، فى الفرقان[5] .

﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ ﴾[6] فى غافر .

وفى الكشاف فى قوله : ﴿ الَّذِى يُوَسْوِسُ ﴾[7] ، يجوز أن يقف القارئ على الموصوف ويبتدئ « الذى » إن حملتَه على القطع ، بخلاف ما إذا جعلتَه صفة .

وقال الرّمّانىّ : الصّفة إن كانت للاختصاص امتنع الوقف على موصوفها دونها ، وإن كانت للمدح جاز ، لأن عاملها فى المدح غير عامل الموصوف[8] .

* * *

٢ — الوقف على المستثنى منه دون المستثنى ، إن كان منقطعاً ، فيه مذاهب :

الجواز مطلقا ؛ لأنه فى معنى مبتدأ حذف خبره للدّلالة عليه .

والمنع مطلقًا ، لاحتياجه إلى ماقبله لفظًا ، لأنه لم يعهد استعمال « إلاّ » ومافى معناها إلاّ متصلة بماقبلها ، ومعنًى ، لأن ماقبلها مشعِر بتمام الكلام فى المعنى ، إذ قولك : مافى الدار أحدٌ هو الّذى صحّح « إلا الحمارَ » ، ولو قلت : « إلا الحمار » على انفراده كان خطأ .

والثالث التفصيل ؛ فإن صُرِّح بالخبر جاز لاستقلال الجملة واستغنائها عمّا قبلها ، وإن لم يصرَّح به فلا ، لافتقارِها . قاله ابن الحاجب فى أماليه .

---

(١) سورة البقرة ١٢١
(٢) سورة البقرة ١٤٦ وفى الانعام ٢٠
(٣) سورة البقرة ٢٧٥
(٤) سورة التوبة ٢٠
(٥) سورة الفرقان ٤٣
(٦) سورة غافر ٧
(٧) سورة الناس ٥
(٨) البرهان ١ : ٣٥٨

٣ — الوقف على الجملة الندائية جائز ، كما نقله ابن الحاجب عن المحققين ، لأنها مستقلة وما بعدها جملة أخرى ، وإن كانت الأولى تتعلق بها

* * *

٤ — كلّ ما في القرآن من القول ، لا يجوز الوقف عليه ، لأن ما بعده حكايته . قاله الجويني في تفسيره .

* * *

٥ — كلاَّ في القرآن في ثلاثة وثلاثين موضعا ، منها سبعة للردع اتفاقا ، فيوقف عليها ، وذلك :

﴿ عَهداً * كَلاَّ ﴾ في مريم (١) .

﴿ عِزّاً * كَلاَّ ﴾ (٢) في مريم .

﴿ أَن يَقتُلُونِ * قَالَ كَلاَّ ﴾ (٣) في الشعراء .

﴿ إِنَّا لَمُدرَكُونَ * قَالَ كَلاَّ ﴾ (٤) في الشعراء .

﴿ شُرَكَاءَ كَلاَّ ﴾ (٥) في سبأ .

﴿ أَن أَزِيدَ * كَلاَّ ﴾ (٦) في المدثر .

﴿ أَينَ المَفَرُّ * كَلاَّ ﴾ (٧) في القيامة .

والباقي منها ما هو بمعنى حقا قطعا ، فلا يوقف عليه ومنها ما احتمل الأمرين ففيه الوجهان .

وقال مكي : هي أربعة أقسام : الأول ما يحسن الوقف فيه عليها على معنى الرّدع وهو الاختيار ، ويجوز الابتداء بها على معنى «حقا» ، وذلك أحد عشر موضعا :

اثنان في مريم ، وفي قد أفلح وسبأ ، واثنان في المعارج ، واثنان في المدثر : ﴿ أَن أَزِيدَ * كَلاَّ ﴾ (٨) ، ﴿ مُنَشَّرَةً * كَلاَّ ﴾ (٩) ، وفي المطففين ﴿ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ * كَلاَّ ﴾ (١٠) ، وفي الفجر ﴿ أَهَانَنِ * كَلاَّ ﴾ (١١) ، وفي الهمزة ﴿ أَخلَدَهُ * كَلاَّ ﴾ (١٢) .

---

(١) سورة مريم ٧٨ ، ٧٩ (٢) سورة مريم ٨١ ، ٨٢ (٣) سورة الشعراء ١٤ ، ١٥
(٤) سورة الشعراء ٦١ ، ٦٢ (٥) سورة سبأ ٢٧ (٦) سورة المدثر ١٥ ، ١٦
(٧) سورة القيامة ١٠ ، ١١ (٨) سورة المدثر ١٥ ، ١٦ (٩) سورة المدثر ٥٢ ، ٥٣
(١٠) سورة المطففين ١٣ ، ١٤ (١١) سورة الفجر ١٦ ، ١٧ (١٢) سورة الهمزة ٣ ، ٤

الثاني : ما يحسن الوقف عليها ولا يجوز الابتداء بها ، وهو موضعان في الشعراء : ﴿ أَن يَقْتُلُونِ * قَالَ كَلَّا ﴾ (١) ، ﴿ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ * قَالَ كَلَّا ﴾ (٢) .

الثالث : ما لا يحسن الوقف عليها ولا الابتداء بها ، بل توصل بما قبلها وبما بعدها ، وهو موضعان في عم والتكاثر : ﴿ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴾ (٣) ، ﴿ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ (٤) .

الرابع : ما لا يحسن الوقف عليها ، ولكن يبتدأ بها ، وهو الثمانية عشر الباقية .

* * *

٦ — بلى في القرآن في اثنين وعشرين موضعا ، وهي ثلاثة أقسام :

الأول : ما لا يجوز الوقف عليها إجماعا لتعلق ما بعدها بما قبلها ، وهو سبعة مواضع :

في الأنعام : ﴿ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ﴾ (٥) .

في النحل : ﴿ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا ﴾ (٦) .

في سبأ : ﴿ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ ﴾ (٧) .

في الزمر : ﴿ بَلَىٰ قَدْ جَاءَتْكَ ﴾ (٨) .

في الأحقاف : ﴿ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ﴾ (٩) .

في التغابن : ﴿ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي ﴾ (١٠) .

في القيامة : ﴿ بَلَىٰ قَادِرِينَ ﴾ (١١) .

الثاني : ما فيه خلاف والاختيار المنع وذلك خمسة مواضع :

في البقرة : ﴿ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾ (١٢) .

---

(١) سورة الشعراء ١٤ ، ١٥
(٢) سورة الشعراء ٦١ ، ٦٢
(٣) سورة النبأ ٤
(٤) سورة التكاثر ٣
(٥) سورة الأنعام ٣٠
(٦) سورة النحل ٣٨
(٧) سورة سبأ ٣
(٨) سورة الزمر ٥٩
(٩) سورة الأحقاف ٣٤
(١٠) سورة التغابن ٧
(١١) سورة القيامة ٤
(١٢) سورة البقرة ٢٦٠

في الزمر : ﴿ بَلَى وَلَـكِنْ حَقَّتْ ﴾[١] .

في الزخرف : ﴿ بَلَى وَرُسُلِنَا ﴾[٢] .

في الحديد : ﴿ قَالُوا بَلَى ﴾[٣] .

في تبارك : ﴿ قَالُوا بَلَى قَد جاءنا ﴾[٤] .

الثالث : ماالاختيار جواز الوقف عليها ؛ وهو العشرة الباقية .

* * *

٧ — نعم في القرآن في أربعة مواضع :

في الأعراف : ﴿ قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ ﴾[٥] ، والمختار الوقف عليها ؛ لأن مابعدها غير متعلِّق بما قبلها ، إذ ليس من قول أهل النار .

وفيها وفي الشعراء : ﴿ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّـكُمْ إِذَنْ لَمِنَ المقرّبين ﴾[٦] .

وفي الصافات : ﴿ قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَاخِرون ﴾[٧] . والمختار لا يوقف عليها ، لتعلّق مابعدها بما قبلها ، لاتّصاله بالقول .

ضابط

قال ابن الجزري في النَّشر : كلّ ما أجازوا الوقف عليه أجازوا الابتداء بما بعده[٨] .

* * *

فصل في كيفيه الوقف على أواخر الـكلم

للوقف في كلام العرب أوجهٌ متعدّدة ؛ والمستعمل منها عند أئمة القراءة تسعة : السّـكون، والرَّوْم ، والإشمام ، والإبدال ، والنقل ، والإدغام ، والحذف ، والإثبات ، والإلحاق .

---

(١) سورة الزمر ٧١
(٢) سورة الزخرف ٨٠
(٣) سورة الحديد ١٤
(٤) سوة الملك ٩
(٥) سورة الأعراف ٤٤
(٦) سورةالشعراء ٤٢ ، وفي الأعراف ١١٤ ، وفيها : ﴿ وَإِنَّـكُمْ لَمِنَ المقرّبينَ ﴾ .
(٧) سورة الصافات ١٨
(٨) النشر ١: ٢٣٤

فأما السكون ، فهو الأصل فى الوقف على الكلم المحرّكة وصلًا ، لأن معنى الوقف الترك والقطع ، ولأنه ضدّ الابتداء ، فكما لا يُبتدأ بساكن لا يُوقف على متحرّك ، وهو اختيار كثير من القراء .

وأما الرَّوْم : فهو عند القرّاء عبارة عن النطق ببعض الحركة ، وقال بعضهم : تضعيف الصوت بالحركة حتى يذهب معظمها .قال ابن الجزرىّ : وكلا القولين واحد . ويختص بالمرفوع والمجزوم والمضموم والمكسور ، بخلاف المفتوح ؛ لأنّ الفتحة خفيفة، إذا خرج بعضها خرج سائرها ، فلا تقبل التبعيض .

وأمّا الإشمام : فهو عبارة عن الإشارة إلى الحركة من غير تصويت . وقيل : أنْ تجعل شفتيْك على صورتها ، وكلاهما واحد . ويختص بالضمّة ، سواء كانت حركة إعراب أم بناء ، إذا كانت لازمة، أمّا العارضة وميم الجمع عند من ضمّ وهاء التأنيث فلا رَوْم فى ذلك ولا إشمام . وقيّد ابن الجزرى هاء التأنيث بما يوقف عليها بالهاء ، بخلاف ما يوقف عليها بالتاء للرسم . ثم إنّ الوقف بالرَّوْم والإشمام ورد عن أبى عمرو والكوفيين نصًّا ، ولم يأت عن الباقين فيه شىء ، واستحبّه أهل الأداء فى قراءتهم أيضا ؛ وفائدته بيان الحركة الّتى تثبت فى الوصل للحرف الموقوف عليه، ليظهر للسامع أو الناظر كيف تلك الحركة الموقوف عليها .

وأما الإبدال : ففى الاسم المنصوب المنوّن ، يوقف عليه بالألف بدلاً من التنوين ، ومثله إذن ، وفى الاسم المفرد المؤنث بالتاء ، يوقف عليه بالهاء بدلا منها . وفيما آخره همزة متطرّفة بعد حركة أو ألف ، فإنّه يوقف عليه عند حمزة بإبدالها حرف مدّ من جنس ماقبلها . ثم إن كان ألفًا جاز حذفها نحو ، اقرأ ، ونبِّئْ ، ويبدأ ، وإن امرؤٌ ، من شاطىء ، ويشاء ، ومن السماء ، ومن ماء .

وأمّا النقل : ففيما مآخره همزة بعد ساكن ، فإنّه يوقف عليه عند حمزة بنقل حركتها إليه ، فتحرّك بها ، ثم تحذف هى ، سواء أكان الساكن صحيحا ـ نحو دفء ، ملء ، ينظر

المرء ، لكل باب منهم جزء ، بين المرء وقلبه ، بين المرء وزوجه ، يخرج الخبء ؛ ولا ثامن لها — أم ياء أو واو أصليتين ، سواء كانتا حرف مد ، نحو السيء ، وجيء ، ويضيء أن تبوء ، لتنوء ، وما عملت من سوء ، أم لين نحو شيء ، قوم سوء ، مثل السوء .

وأما الإدغام : فيما آخره همز بعد ياء أو واو زائدتين ، فإنه يوقف عليه عند حمزة أيضا بالإدغام بعد إبدال الهمز من جنس ماقبله ، نحو النسيء ، وبرئ ، وقروء .

وأما الحذف : ففي الياءات الزوائد عند من يثبتها وصلا ، ويحذفها وقفا . وياءات الزوائد — وهي التي لم ترسم — مائة وإحدى وعشرون ، منها خمس وثلاثون في حشو الآي ، والباقي في رءوس الآي ، فنافع وأبو عمرو وحمزة والكسائي وأبو جعفر يثبتونها في الوصل دون الوقف ، وابن كثير ويعقوب يثبتان في الحالين ، وابن عامر وعاصم وخلف يحذفون في الحالين ، وربما خرج بعضهم عن أصله في بعضها .

وأما الإثبات : ففي الياءات المحذوفات وصلا عند من يثبتها وقفا ، نحو هادٍ ، ووالٍ ، وواقٍ ، وباقٍ .

وأما الإلحاق : فما يلحق آخر الكلم من هاءات السكت عند من يلحقها في عمّ ، وفيمَ ، وبمَ ، ولمَ ، ومِمّ ، والنون المشددة من جمع الإناث ، نحو هنّ ، ومثلهنّ ، والنون المفتوحة ، نحو العالمين ، والذين ، والمفلحون ، والمشدد ، المبنيّ ، نحو ألاّ تعلوا عليّ ، وخلقت بيديّ ، ومصرخيّ ، ولديّ .

* * *

قاعدة

أجمعوا على لزوم اتباع رسم المصاحف العثمانية في الوقف إبدالاً وإثباتا ، وحذفا ووصلا وقطعا ، إلا أنه ورد عنهم اختلاف في أشياء بأعيانها ، كالوقف بالهاء على ما كتب بالتاء ، وبإلحاق الهاء فيما تقدم وغيره ، وبإثبات الياء في مواضع لم تُرسم بها ،

والواو فى « ويدع الإنسان» «يوم يدع الدّاع» ، « سندعُ الزبانية » ، و« يمح الله الباطل » والألف فى « أيّهَ المؤمنون »، « أيّهَ الساحر » ، « أيّهَ الثقلان » .

وتحذف النون فى « كأين » حيث وقع ، فإن أبا عمرو يقف عليه بالياء ويوصل «أيّاماً» فى الإسراء ، ومال فى النساء ، والكهف والفرقان وسأل . وقطع «ويكأنّ» « ويكأنه » ، وألاّ يسجدوا .

ومن القرّاء من يتّبع الرسم فى الجميع .

النوع التاسع والعشرون
في بيان الموصول لفظا المفصول معنى

هو نوع مهمّ جدير أنْ يفرد بالتصنيف ؛ وهو أصلٌ كبير في الوقف ، ولهذا جعلته عقِبه ، وبه يحصل حلّ إشكالات وكشف معضلات كثيرة ، من ذلك قوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ منها زَوْجها لِيَسْكُنَ إليهَا ﴾ ، إلى قوله : ﴿ جَعَلاَ له شركاء فيما آتاهُمَا فتعالَى اللهُ عمّا يُشركون ﴾ ، فإنّ الآية في قصة آدم وحواء كما يفهمه السياق ؛ وصُرِّح به في حديث أخرجه أحمد والترمذيّ وحسّنه ، والحاكم وصححه من طريق الحسن عن سَمُرة مرفوعا ، وأخرجه ابن أبي حاتم وغيره بسندٍ صحيح عن ابن عباس ، لكن آخر الآية مشكل ، حيث نسب الإشراك إلى آدم وحواء ، وآدم نبيٌّ مكلّم ، والأنبياء معصومون من الشِّرْك قبل النبوّة وبعدها إجماعا ، وقد جرّ ذلك بعضَهم إلى حمل الآية على غير آدم وحواء ، وأنّهما في رجل وزوجتهِ كانا من أهل الملل ، وتعدّى إلى تعليل الحديث والحكم بنكارته ؛ وما زِلتُ في وقفة من ذلك ، حتى رأيتُ ابنَ أبي حاتم قال : أخبرنا أحمد بن عثمان بن حكيم ؛ حدثنا أحمد بن مفضّل ، حدثنا أسباط ، عن السديّ في قوله : ﴿ فَتَعَالَى اللهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [1] قال : هذه فصْل من آية آدم خاصة في آلهة العرب .

وقال عبدالرازق : أخبرنا ابن عُيينة ، سمعت صدقة بن عبد الله بن كثير المكيّ ، يحدّث عن السُّديّ ، قال : هذا من الموصول المفصول .

وقال ابنُ أبي حاتم : حدّثنا عليّ بن الحسين ، حدثنا محمد بن أبي حمّاد ، حدثنا مهران ، عن سُفيان ، عن السّديّ ، عن أبي مالكٍ ، قال : هذه مفصولة ، إطاعاه في الولد ، ﴿ فَتَعَالَى اللهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ ، هذه لقوم محمد ؛ فانحلّتْ عني هذه العقدة ، وانجلت لي هذه المعضلة

---

(١) سورة الأعراف ١٨٩ ، ١٩٠

واتضح بذلك أن آخر قصة آدم وحواء ﴿ فيما آتَاهُمَا ﴾ ، وأن مابعده تخلص إلى قصة العرب ، وإشراكهم الأصنام . ويوضح ذلك تغيير الضمير إلى الجمع بعد التثنية ، ولو كانت القصة واحدة لقال : « عمّا يشركان » كقوله: ﴿ دَعَوَا اللهَ رَبَّهُمَا فلمّا آتاهما صالحًا جعلا له شركاء فيما آتاهما ﴾[1] ، وكذلك الضمائر فى قوله بعده: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَالَا يَخْلُقُ شَيْئًا﴾[2] ، ومابعده إلى آخر الآيات ، وحُسْن التخلّص والاستطراد من أساليب القرآن .

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إلا اللهُ وَالرَّاسِخُون ... ﴾[3] الآية، فإنه على تقدير الوصل يكون : « الراسخون يعلمون تأويله » وعلى تقدير الفصل بخلافه .وقد أخرج ابنُ أبى حاتم عن أبى الشّعْثاء وأبى نهيك ، قالا : إنكم تصلون هذه الآية وهى مقطوعة . ويؤيد ذلك كون الآية دلت على ذمّ متّبعى المتشابه ووصفهم بالزيْغ.

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ وإِذَا ضَرَبْتُمْ فِى الأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إن خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾[4] فإنّ ظاهر الآية يقتضى أنّ القصْر مشروط بالخوف ، وأنه لاقصْر مع الأمْن ، وقد قال به لِظاهر الآية جماعة منهم عائشة ، لكن بيّن سببُ النزول أنَّ هذا من الموصول ، فأخرج ابنُ جرير من حديث علىّ ، قال : سأل قوم من بنى النّجار[5] رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : يارسولَ الله ، إنَّا نضرب فى الأرض ، فكيف نصلّى ؟ فأنزل الله : ﴿ وَإِذَا ضَرَبْتُم فِى الأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاة ﴾ ثم انقطع الوحىُ ، فلمّا كان بعد ذلك بحوْل ، غزا النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فصلّى الظهر ، فقال المشركون : لقد أمكنكم محمّد وأصحابه من ظهورهم ، هلّا شددّتم عليهم ! فقال قائل منهم : إنّ لهم أخرى مثلها فى أثرها ، فأنزل الله بين الصلاتين : ﴿ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ إلى قوله. ﴿ عذابًا مهينًا ﴾ ، فنزلت صلاة الخوف ، فتبيّن بهذا الحديث أنّ قوله : ﴿ إِنْ خِفْتُمْ ﴾ شرط فيما بعده ، وهو صلاة الخوف لافى صلاة القصر ، وقد قال ابن جرير :هذا تأويلٌ فى

---

(١) سورة الأعراف ١٩٠
(٢) سورة الأعراف ١٩١
(٣) سورة آل عمران ٧
(٤) سورة النساء ١٠١
(٥) فى الطبرى : « من التجار » .

الآية حسن ؛ لولم تكن فى الآية « إذا »[1] .

قال ابن الفرس : ويصحّ مع « إذا » على جعل الواوزائدة .

قلت : يعنى ويكون من اعتراض الشرط على الشرط ، وأحسن منه أن تجعل « إذا » زائدة بناء على قول مَنْ يجيز زيادتها .

وقال ابن الجوزىّ فى كتابه التفسير : قد تأتى العرب بكلمة إلى جانب كلمة أخرى كأنّها معها ، وهى غير متصلة بها ، وفى القرآن : ﴿يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ﴾[2] هذا قول الملأ ، فقال فرعون : ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾[2] .

ومثله : ﴿أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾[3] . انتهى كلامها ، فقال يوسف : ﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ﴾[3] .

ومثله : ﴿إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً﴾[4] هذا منتهى قولها ، فقال تعالى : ﴿وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾[4] .

ومثله : ﴿مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا﴾[5] انتهى قول الكفار ، فقالت الملائكة : ﴿هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ﴾ . وأخرج ابن أبى حاتم عن قتاده فى هذه الآية ، قال : آية من كتاب الله : أوّلها أهل الضلالة وآخرها أهل الهدى ، قالوا : ﴿يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا﴾ ، هذا قول أهل النفاق ، وقال أهل الهدى حين بُعثوا من قبورهم : ﴿هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾ .

وأخرج عن مجاهد فى قوله : ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ إِنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[6] قال : ومايدريكم أنهم يؤمنون إذا جاءت ! ثم استقبل بخبر فقال : ﴿إنها إذا جاءت لا يؤمنون﴾ .

---

(١) تفسير الطبرى ٩ : ١٢٧ .
(٢) سورة الأعراف ١١٠
(٣) سورة يوسف ٥١ ، ٥٢
(٤) سورة النمل ٣٤
(٥) سورة يس ٥٢
(٦) سورة الأنعام ١٠٩ ، بكسر همزة إن ، وهى قراءة أبى عمرو ابن كثير أيضا . وانظر تفسير القرطبى ٧ : ٦٤

النوع الثلاثون
فى الإمالة والفتح وما بينهما

أفرده بالتصنيف جماعة من القرّاء منهم ابن القاصح [1] عمل كتابه : قرة العين فى الفتح والإمالة وبين اللفظين .

قال الدانى : الفتح والإمالة لغتان مشهورتان فاشيتان على ألسنة الفصحاء من العرب الذين نزل القرآن بلغتهم ، فالفتح لغة أهل الحجاز ، والإمالة لغة عامّة أهل نجد من تميم وأسد وقيس ، قال : والأصل فيها حديث حُذيفة مرفوعا : «اقرءوا القرآن بلحون العرب وأصواتها ، وإياكم وأصوات أهل الفسق وأهل الكتابين » ، قال : فالإمالة لا شكّ من الأحرف السبعة ، ومن لحون العرب وأصواتها .

وقال أبو بكر بن أبى شيبة : حدّثنا وكيع ، حدّثنا الأعمش ، عن إبراهيم ، قال : كانوا يرون أن الألف والياء فى القراءة سواء ، قال : يعنى بالألف والياء التفخيم والإمالة.

وأخرج فى تاريخ القرّاء من طريق أبى عاصم الضرير الكوفىّ ، عن محمد بن عبد الله [2] ، عن عاصم ، عن زرّ بن حُبيش ، قال : قرأ رجل على عبد الله بن مسعود « طَهَ » ولم يكسر ، فقال عبد الله : « طِهِ » وكسر الطاء والهاء ، فقال الرجل « طَهَ » ولم يكسر ، فقال عبد الله : « طِهِ » وكسر الطاء والهاء ، فقال الرجل : « طَهَ » ولم يكسر ، فقال عبدالله : « طِهِ » وكسر ثم قال: هكذا علّمنى رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال ابن الجزرىّ : هذا حديث غريب ، لا نعرفه إلا من هذا الوجه ، ورجاله ثقات

---

(١) هو على بن عثمان بن محمد ، المعروف بابن القاصح ، شارح الشاطبية وكتاب قرة العين وغيرها من القراءات ، توفى سنة ٨٠١ . الجواهر المضية ١ : ٣٦٦

(٢) فى الأصول : « عبيد » وماأثبته من النشر

إلا محمد عبيد الله ، وهو العزْرمىّ [١] ، فإنه ضعيف عند أهل الحديث ، وكان رجلا صالحا ، لكن ذهبت كتبه فكان يحدّث من حفظه ، فأُتِيَ عليه من ذلك [٢] .

قلت : وحديثه هذا أخرجه ابن مَرْدُويه في تفسيره وزاد في آخره : وكذا نزل بها جبريل .

وفي جمال القراء ، عن صفوان بن عسّال ، أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ : ﴿ يا يحيى ﴾ ، فقيل له : يارسولَ الله ، تميل وليس هي لغة قريش ؟ فقال : هي لغة الأخوال بني سعد .

وأخرج ابن أشتة ، عن أبي حاتم قال : احتجّ الكوفيُّون في الإمالة بأنّهم وجدوا في المصحف الياءات في موضع الألفات ، فاتبعوا الخط وأمالوا ليقربوا من الياءات .

الإمالة أن ينحُوَ بالفتحة نحو الكسرة ، وبالألف نحو الياء كثيرا ، وهو المحض . ويقال له : الإضجاع والبطح والكسر قليلاً وهو بين اللفظين ، ويقال له أيضا : التقليل والتلطيف ، وبين بين ، فهي قسمان : شديدة ومتوسطة ، وكلاهما جائز في القراءة ، والشديدة يجتنب معها القَلْب الخالص ، والإشباع المبالَغ ، فيه والمتوسطة ، بين الفتح المتوسط والإمالة الشديدة .

قال : الدّاني : وعلماؤنا مختلفون أيّهما أوْجه وأولى ؟ وأنا أختار الإمالة الوسطى التي هي بيْن بيْن ؛ لأنّ الغرض من الإمالة حاصل بها ، وهو الإعلام بأن أصل الألف الياء ، والتنبيه على انقلابها إلى الياء في موضع ، أو مشاكلتها للكسر المجاور لها أو الياء .

وأمّا الفتح ؛ فهو فتح القارئ فاه بلفظ الحرف ، ويقال له التفخيم ، وهو شديد ومتوسط فالشديد هو نهاية فتح الشخص فاه بذلك الحرف ، ولا يجوز في القرآن بل هو معدوم في

---

(١) في النشر : « وأبو عاصم هذا هو محمد بن عبد الله يقال له : المكنون ويعرف بالمسجدى ، ومحمد ابن عبيدالله شيخه هو العزرمى الكوفى .

(٢) النشر ٢ : ٣١

لغة العرب ، والمتوسط ما بين الفتح الشديد والإمالة المتوسطة . قال الدانى : وهذا هو الذى يستعمله أصحاب الفتح من القرّاء .

واختلفوا : هل الإمالة فَرْع عن الفتح ، أو كلّ منهما أصل برأسه ؟ ووجه الأوّل أنّ الإمالة لا تكون إلّا لسبب ، فإن فقِد لزم الفتح ، وإن وُجد جاز الفتح والإمالة ؛ فما من كلمة تُمال إلا فى العرب مَنْ يفتحها ، فدلّ اطّراد الفتح على أصالته وفرعيّتها .

* * *

والكلام فى الإمالة من خمسة أوجه : أسبابها ، ووجوهها ، وفائدتها ، ومَنْ يُميل ، وما يُمَال[1] .

أما أسبابها فذكرها القراء عشرة ، قال ابن الجزرىّ : وهى ترجع إلى شيئين : أحدهما الكسرة ، والثانى الياء ؛ وكلٌّ منهما يكون متقدّمًا على محلّ الإمالة من الكلمة أو متأخّرا عنه ، ويكون أيضًا مقدّرا فى محلّ الإمالة . وقد تكون الكسرة والياء غيرَ موجودتينْ فى اللفظ ولا مقدّرتيْن فى محل الإمالة ، ولكنهما ممّا يعرض فى بعض تصاريف الكلمة . وقد تُمال الألف أو الفتحة لأجل ألف أخرى أو فتحة أخرى ممالة ، وتسمّى هذه إمالة لأجل إمالة ، وقد تمال الألف تشبيهاً بالألف الممالة .

قال ابنُ الجزرىّ : وتمال أيضا بسبب كثرة الاستعمال . وللفرق بين الاسم والحرف ، فتبلغ الأسباب اثنى عشر سببا . فأمّا الإمالة لأجل الكسرة السابقة ، فشرطها أن يكون الفاصل بينها وبين الألف حرفا واحدا ، نحو كتاب وحساب — وهذا الفاصل إنّما حصل باعتبار الألف ، وأما الفتحة الممالة فلا فاصل بينها وبين الكسرة — أو حرفين أوّلهما ساكن نحو إنسان ، أو مفتوحيْن والثانى هاء لخفائها .

---

(١) انظر النشر ٢ : ٣٢ وما بعدها .

وأما الياء السابقة فإما ملاصقة للألف كالحياة، والأيامى، أو منفصولة بحرفين أحدهما الهاء كيدها.

وأمّا الكسرة المتأخرة، فسواء كانت لازمة نحو عابد، أم عارضة نحو من الناس، وفى النار. وأمّا الياء المتأخرة فنحو مبايع، وأمّا الكسرة المقدرة فنحو خاف، إذ الأصل «خَوِف».

وأما الياء المقدرة، فنحو يخشى والهدى وأبى والثرى، فإنّ الألف فى كل ذلك منقلبة عن ياء، تحرّكت وانفتح ماقبلها.

وأما الكسرة العارضة فى بعض أحوال الكلمة، فنحو طاب، وجاء، وشاء، وزاد، لأنّ الفاء تكسر من ذلك مع ضمير الرفع المتحرك.

وأمّا الياء العارضة كذلك نحو تلا وغزا، فإن ألفها عن واو، وإنما أميلت لانقلابها ياء فى تُلِيَ وغُزِيَ.

وأمّا الإمالة لأجل الإمالة، فكإمالة الكسائى الألف بعد النون من «إنا لله» لإمالة الألف من «لله»، ولم يمل «وإنا إليه» لعدم ذلك بعده، وجعل من ذلك إمالة الضحى والقرى، وضحاها، وتلاها.

وأمّا الإمالة لأجل الشبه، فإمالة ألف التأنيث فى نحو الحسنى، وألف موسى وعيسى لشبهها بألف الهدى.

وأمّا الإمالة لكثرة الاستعمال، فكإمالة النّاس فى الأحوال الثلاث، على ماروا صاحب المُبْهِج.

وأمّا الإمالة للفرق بين الاسم والحرف، فكإمالة الفواتح كما قال سيبويه: إن إمالة باء وتاء فى حروف المعجم لأنها أسماء مايلفظ به، فليست مثل ما ولا وغيرهما من الحروف [1].

* * *

وأما وجوهها: فأربعة، ترجع إلى الأسباب المذكورة. أصلها اثنان: المناسبة والإشعار؛ فأمّا المناسبة فقسم واحد، وهو فيما أُمِيل لسبب موجود فى اللفظ. وفيما أُمِيل لإمالة غيره، فإنَّهُم أرادوا أن يكون عمل اللسان ومجاورة النطق بالحرف المُمَال ولسبب الإمالة من وجه واحدٍ، وعلى نمط واحد.

---

(١) انظر الكتاب لسيبويه ٢ : ٢٦٧

وأما الإشعار فثلاثة أقسام : إشعار بالأصل [١] ، وإشعار بما يعرض فى الكلمة فى بعض المواضع [٢] ، وإشعار بالشَّبَه [٣] المشعر بالأصل .

* * *

وأما فائدتها فسهولة اللفظ ، وذلك أنّ اللسان يرتفع بالفتح وينحدر بالإمالة ، والانحدار أخفُّ على اللسان من الارتفاع ، فلهذا أمال مَنْ أمال ، وأمّا مَنْ فتح فإنه راعَى كونَ الفتح أمتنَ أو الأصل .

* * *

أمّا مَنْ أمال فكلّ القراء العشرة إلاّ ابن كثير ، فإنه لم يمل شيئا فى جميع القرآن .

* * *

وأمّا ما يمال فموضع استيعابه كتب القراءات والكتب المؤلفة فى الإمالة .

ونذكرهنا مايدخل تحت ضابط :

فحمزة والكسائىّ وخلَف أمالوا كلّ ألفٍ منقلبة عن ياء ، حيث وقعت فى القرآن ، فى اسم أو فعل ؛ كالهدى ، والهوى ، والفتى ، والعمى ، والزنا ، وأتى ، وأبى ، وسعى ، ويخشى ، ويرضى ، واجتبى ، واشترى ، ومثوى ، ومأوى ، وأدنى ، وأزكى .

وكلّ ألف تأنيث على «فُعْلى» بضم الفاء أو كسرها أو فتحها ، كطُوبىَ ، وبُشرى ، وقُصوَى ، والقُربىَ ، والأنثى ، والدنيا ، وإحدَى ، وذكْرى ، وسيما ، وضِيزى ، وموتى ، ومرضى ، والسلوى ، والتقوى . وألحقوا بذلك موسى ، وعيسى ، ويحيى .

وكلّ ما كان على وزن «فُعالى» بالضم أو الفتح ، كسكارى ، وكُسالى ، وأُسارى ، ويَتامى ، ونصارى ، والأيامى .

وكلّ ما رسم فى المصاحف بالياء ، نحو بلى ، ومتى ، ويا أسفى ، ويا ويلتى ، ويا حسرتى ، وأنّى للاستفهام . واستثنى من ذلك : حتى ، وإلى ، وعلى ، ولدى ، ومازكى ؛ فلم تُمَل بحال .

وكذلك أمالوا من الواوىّ ما كُسر أوّله أو ضمّ ، وهو الرِّبا كيف وقع ، والضحى كيف جاء ، والقُوى والعُلَى .

---

(١) النشر : « وذلك إذا كانت الألف الممالة منقلبة عن ياء أو عن واو مكسورة » .

(٢) النشر : « الإشعار بما يعرض فى الكلمة فى بعض المواضع من ظهور كسرة أو ياء حسبما تقتضيه التصاريف دون الأصل » .

(٣) النشر : « الإشعار بالشبه المشعر بالأصل ، وذلك كإمالة ألف التأنيث والملحق بها »

وأمالوا رءوس الآى من إحدى عشرة سورة جاءت على نَسق ، وهى : طه ، والنّجم ، وسأل ، والقيامة ، والنازعات ، وعبس ، والأعلى ، والشمس ، والليل ، والضحى والعلق . ووافق على هذه السُّور أبو عمرو وورش .

وأمال أبو عمرو كلّ ما كان فيه راء بعد ألف ، بأىّ وزن كان ، كذكرى ، وبشرى ، وأسرى ، وأراه ، واشترى ، ويرى ، والقرى ، والنصارى ، وأسارى ، وسكارى ، ووافق على ألفات « فُعلى » كيف أتَتْ .

وأمال أبو عمرو والكسائى كلّ ألف بعدها راء متطرفة ، مجرورة ، نحو الدار ، والنار والقهار ، والغفار ، والنهار ، والديار ، والكفار ، والأبكار ، وبقنطار ، وأبصارهم ، وأوبارها ، وأشعارها ، وحمارك ، سواء كانت الألف أصلية أم زائدة .

وأمال حمزة الألف من عين الفعل الماضى من عشرة أفعال ، وهى : زاد ، وشاء ، وجاء ، وخاب ، وران ، وخاف ، وزاغ ، وطاب ، وضاق ، وحاق حيث وقعت ، وكيف جاءت .

وأمال الكسائى هاء التأنيث وماقبلها وقفا مطلقا بعد خمسة عشر حرفا يجمعها قولك : « فجثت زينب لذود شمس » ، فالفاء كخليفة ورأفة ، والجيم كوليجة ولجّة ، والثاء كثلاثة وخبيثة ، والتاء كبغتة والميتة ، والزاى كبارزة وأعزة ، والياء كخشية وشيبة ، والنون كسنّة وجنّة ، والباء كحبة والتوبة ، واللام كليلة وثلّة ، والذال كلذّة والموقوذة ، والواو كقسوة والمروة ، والدال كبلدة وعدّة ، والشين كالفاحشة وعيشة ، والميم كرحمة ونعمة ، والسين كالخامسة وخمسة .

ويفتح مطلقا بعد عشرة حرف ، وهى : جاع وحروف الاستعلاء « قظ خص ضغط » ، والأربعة الباقية وهى « أكهر » إن كان قبل كل منهما ياء ساكنة أو كسرة متصلة أو منفصلة بساكن يميل ، وإلا يفتح .

وبقىّ أحرف فيها خُلْف وتفصيل ، ولا ضابط يجمعها ؛ فلتنظر من كتب الفنّ .

وأما فواتح السور ، فأمال « الر » فى السور الخمسة حمزة والكسائى وخلف وأبو عمرو وابن عامر وأبو بكر ، وبينْ وبيْن ورش .

وأمال الهاء من فاتحة مريم وطه أبو عمرو والكسائىّ وأبو بكر ·

وأمال حمزة وخلف طه دون مريم ·

وأمال الياء من أول مريم مَنْ أمال « الر » ، إلا أبا عمرو على المشهور عنه ·

ومن أوّل يس ، الثلاثة الأوّلون وأبو بكر ·

وأمال هؤلاء الأربعة الطاء من طه ، وطسم ، وطس والحاء من حم فى السور السّبع ، ووافقهم فى الحاء ابن ذَكْوان ·

* * *

خاتمة

كره قوم الإمالة لحديث « نزل القرآن بالتفخيم » ، وأجيب عنه بأوجه :

أحدها : أنه نزل بذلك ثم رخّص فى الإمالة ·

ثانيها : أن معناه أنه يقرأ على قراءة الرجال ، لا يخضع الصوت فيه ككلام النساء ·

ثالثها : أن معناه أنزل بالشدّة والغلظة على المشركين ، قال فى جمال القراء : وهو بعيد فى تفسير الخبر ، لأنه نزل أيضا بالرحمة والرأفة ·

رابعها : أن معناه بالتعظيم بالتبجيل ، أى عظّموه ، وبجّلوه ، فحضّ بذلك على تعظيم القرآن وتبجيله ·

خامسها : أن المراد بالتفخيم تحريك أوساط الكلم بالضمّ والكسر فى المواضع المختلف فيها دون إسكانها ، لأنه أشبع لها وأفخم ·

قال الدانىّ : وكذا جاء مفسرا عن ابن عباس ، ثم قال : حدثنا ابن خاقان ، حدثنا أحمد بن محمد ، حدثنا على بن عبد العزيز ، حدثنا القاسم ، سمعت الكسائىّ يخبر عن سلمان : عن الزهرىّ ، قال : قال ابن عباس : نزل القرآن بالتثقيل والتفخيم ، نحو قوله:

«الجُمعة» وأشباه ذلك من التثقيل ، ثم أورد حديث الحاكم عن زيد بن ثابت مرفوعا: «نزل القرآن بالتفخيم».

وقال محمد بن مقاتل أحد رواته : سمعت عمارا يقول : ﴿عُذُرًا أو نُذُرًا﴾(١) و﴿الصَّدَفَيْنِ﴾ يعني بتحريك الأوسط في ذلك .

قال : ويؤيده قول أبي عبيدة : أهل الحجاز يفخّمون الكلام كله إلا حرفا واحدا: «عشْرة» فإنهم يجزمونه، وأهل نجد يتركون التفخيم في الكلام ؛ إلا هذا الحرف فإنهم يقولون «عشِرة» بالكسر .

قال الداني : فهذا الوجه أولى في تفسير الخبر .

---

(١) سورة المرسلات ٦ ، وهي قراءة روح والحسن ، وانظر إتحاف فضلاء البشر ٤٣٠ وتفسير القرطبي ١٩ : ١٥٤

(٢) سورة الكهف ٩٦ ، وانظر تفسير القرطبي ١١ : ٦١

النوع الحادي والثلاثون
في الإدغام والإظهار والإخفاء والإقلاب

أفرد ذلك بالتصنيف جماعة من القراء.

الإدغام : هو اللفظ بحرفين حرفًا كالثاني مشددًا. وينقسم إلى كبير وصغير :

* * *

[الإدغام الكبير]

فالكبير ما كان أول الحرفين فيه متحركا ، سواء كانا مثلين أم جنسين ، أم متقاربين ، وسمي كبيرًا لكثرة وقوعه ، إذ الحركة أكثر من السكون. وقيل لتأثيره في إسكان المتحرك قبل إدغامه ، وقيل لما فيه من الصعوبة ، وقيل : لشموله نوعي المثلين والجنسين والمتقاربين ، والمشهور بنسبته إليه من الأئمة العشرة هو أبو عمرو بن العلاء. وورد عن جماعة خارج العشرة ، كالحسن البصري ، والأعمش ، وابن مُحيصن ، وغيرهم.

ووجهه : طلب التخفيف ، وكثير من المصنفين في القراءات لم يذكروه البتة كأبي عبيد في كتابه [1] ، وابن مجاهد في مسبعته [2] ، ومكي في تبصرته [3] ، والطلمنكي في روضته [4] ، وابن سفيان في هاديه [5] ، وابن شريح في كافيه [6] ، والمهدوي في هدايته [7] وغيرهم.

---

(١) هو الكتاب المسمى بالإمام ، قال صاحب النشر : كان أول إمام معتبر جمع القراءات في كتاب، هو أبو عبيد القاسم بن سلام ، وجعلها فيما أحسب خمسة وعشرين قارئا ».

(٢) هو كتاب السبعة لأبي بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد ، المتوفى سنة ٣٢٤ ، ذكره صاحب النشر في ١ : ٨١ ، وذكر طريق روايته عنه.

(٣) التبصرة في القراءات السبع ، لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي المتوفى سنة ٤٣٧ ، ذكره صاحب كشف الظنون ، وقال : « في خمسة أجزاء ، وهو من أشهر مصنفاته ».

(٤) كتاب الروضة لأبي عمر أحمد بن عبد الله بن أبي الطلمنكي الأندلسي المتوفى سنة ٤٢٩ ، ذكره صاحب النشر في الجزء الأول ص ٧١.

(٥) الهادي في القراءات السبع لأبي عبد الله محمد بن سفيان القيرواني المتوفى سنة ٤١٥ ، ذكره صاحب كشف الظنون.

(٦) الكافي في القراءات السبع لأبي عبد الله محمد بن شريح المتوفى سنة ٤٨٦ ، ذكره صاحب كشف الظنون.

(٧) الهداية في القراءات لأبي العباس أحمد بن عمار المتوفى سنة ٤٣٠ ، ذكره في كشف الظنون.

قال فى تقريب النشر : ونعنى بالمتماثلين ماأتفقا مخرجاً وصفة ، والمتجانسين ما اتفقا مخرجا واختلفا صفة ، وبالمتقاربين ماتقاربا مخرجا أوصفة . فأمّا المدغم من المتماثلين ، فوقع فى سبعة عشر حرفا : وهى الباء ، والتاء ، والثاء ، والحاء ، والراء ، والسين ، والعين ، والغين ، والفاء ، والقاف ، والكاف ، واللام ، والميم ، والنون ، والواو ، والهاء ، والياء ، نحو « الكتاب بالحق » ، « الموت تحبسونهما » ، « حيث ثقفتموهم » ، « النكاح حتى » ، « شهر رمضان » ، « الناس سكارى » ، « يشفع عنده » ، « يبتغ غير الإسلام » ، « اختلف فيه » ، « أفاق قال » ، « أنك كنت » ، « لاقبل لهم » ، « الرحيم مالك » ، « نحن نسبح » « فهو وليهم » ، « فيه هدى » ، « يأتى يوم » .

وشرطه أن يلتقِيَ المثلان خطًّا ، فلايدغم [1] فى نحو « أنا نذير » من أجل وجود الألف [2] ، وأن يكونا من كلمتين ، فإن التقيامن كلمة فلايدغم ، إلافى حرفين نحو « مناسِككُم » فى البقرة ، و « ماسلككم » فى المدثر ، وألاّ يكون الأول تاء ضمير المتكلّم أوخطاباً ، فلا يدغم ، نحو « كنت ترابا » ، « أفأنت تسمع » ، ولا مشدّدًا ، فلايدْغم نحو « مسّ سقر » ، « ربّ بما » ولامنوّناً ، فلا يُدْغم نحو « غفور رحيم » ، « سميع عليم » . [3]

وأما المدغم من المتجانسين والمتقاربين فهوستة عشر حرفا ، يجمعها : « رض سنشدّ حجتك بذلّ قثم » ؛ وشرطه ألاّ يكون الأول مشدّدا نحو « أشدّ ذكرا » ، ولامنوّناً نحو « فى ظلمات ثلاث » ؛ ولاتاء ضمير نحو « خلقت طينا » ، فالباء تدغم فى الميم فى « يعذب من يشاء » فقط .

والتاء فى عشرة أحرف: الثاء « بالبينات ثم » ، والجيم « الصالحات جنات » ، والذال « السيئات ذلك » ، والزاى « الجنة زمرا » ، والسين « الصالحات سندخلهم » ، ولم يدغم « ولم يؤت سعةً » للجزم مع خفة الفتحة ، والشين « بأربعة شهداء » ، والصاد « والملائكة صفًّا » ، والضاد « والعاديات ضَبْحاً » ، والطاء « أقم الصلاة طرفى النهار » ، والظاء « الملائكة ظالمى » .

---

(١) عبارة تقريب النشر : « فيدغم نحو (إنه هو) ، ولايمنع الصلة ويظهر فى نحو (أنا نذير) .

(٢) التقريب : « وجود الألف خطا » (٣) تقريب النشر ٩ ، ١٠

والثاء فى خمسة أحرف : التّاء «حيث تؤمرون» ، والذال «الحرث ذلك» ، والسين « وورث سليمان » ، والشين «حيث شئتما» ، والضاد «حديث ضيف» .

والجيم فى حرفين : الشين « أخرج شطأه » ، والتاء « ذى المعارج تعرج » .

والحاء فى العين ، فى «زحزح عن النار» فقط .

والدال فى عشرة أحرف : التاء « المساجد تلك » ، « بعد توكيدها » ، والثاء « يريد ثواب » ، والجيم « داود جالوت » ، والذال « القلائد ذلك » ، والزاى « يكاد زيتها » والسين «الأصفاد سرابيلهم» ، والشين « وشهد شاهد » ، والصاد « نفقد صواع » ، والضاد «من بعد ضراء» ، والظاء « يريد ظلما » . ولا تدغم مفتوحة بعد ساكن إلا فى التاء لقوّة التجانس .

والذال فى السين فى قوله : « فاتخذ سبيله » ، والصاد فى قوله : « ما اتخذ صاحبة » .

والراء فى اللام ، نحو «هنّ أطهر لكم» « المصير لا يكلف » ، « والنهار لآيات » . فإن فتحت وسكن ماقبلها لم تدغم ، نحو «والحمير لتركبوها» .

والسين فى الزاى فى قوله : «وإذا النفوس زوِّجت» ، والشين فى قوله : «الرأس شيبا» .

والشين فى السين فى « ذى العرش سبيلا » فقط . والضاد « لبعض شأنهم » فقط .

والقاف فى الكاف إذا ماتحرك ماقبلها نحو « ينفق كيف يشاء » ، وكذا إذا كانت معها فى كلمة واحدة وبعدها ميم ، نحو «خلقكم» .

والكاف فى القاف إذا تحرك ماقبلها نحو « نقدس لك قال » ؛ إلاّ إن سكن نحو « وتركوك قائما » (١) .

واللام فى الراء إذا تحرك ماقبلها ، نحو « رسل ربك » ، أو سكن وهى مضمومة أو مكسورة نحو « لقول رسول » ، « إلى سبيل ربك » ، إلاّ إن فتحت نحو « فيقول رب » ، إلاّ لام قال تدغم حيث وقعت ، نحو « قال رب » ، « قال رجلان » .

---

(١) أى لم تدغم .

والميم تسكن عند الباء إذا تحرك ما قبلها فتخفى بغنة نحو « أعلم بالشاكرين » ، « يحكم بينهم » ، « مريم بهتانا » ؛ وهذا نوع من الإخفاء المذكور في الترجمة . وذكره ابن الجزري له في أنواع الإدغام ، تبع فيه بعض المتقدمين ، وقد قال هو في النشر : إنه غير صواب ؛ فإن سكن ما قبلها أظهرت ، نحو « إبراهيم بنيه » .

والنون تدغم إذا تحرك ما قبلها في الراء وفي اللام ، نحو « تأذن ربك » ، « لن نؤمن لك » ، فإن سكن أظهرت عندهما ، نحو « يخافون ربهم » ، « أن تكون لهم » إلا نون نحن ، فإنها تدغم نحو « نحن له » « وما نحن لك » ، لكثرة دورها وتكرار النون فيها ، ولزوم حركتها وثقلها[1] .

* * *

تنبيهان

الأول : وافق أبو عمرو حمزة ويعقوب في أحرف مخصوصة استوعبها ابن الجزري في كتابيه : النشر والتقريب .

الثاني : أجمع الأئمة العشرة على إدغام ﴿ ما لك لا تأمنا على يوسف ﴾[2] ، واختلفوا في اللفظ به ، فقرأ أبو جعفر بإدغامه محضا بلا إشارة ، وقرأ الباقون بالإشارة روما وإشماما .

* * *

ضابط

قال ابن الجزري : جميع ما أدغمه أبو عمرو من المثلين والمتقاربين ، إذا وصل السورة بالسورة ، ألف حرف وثلاثمائة وأربعة أحرف ، لدخول آخر القدر بلم يكن ، وإذا بسمل ووصل آخر السورة بالبسملة ، ألف وثلاثمائة وخمسة ، لدخول آخر الرعد بأول

---

(١) « تقريب النشر » ١٠ ، ١١ (٢) سورة يوسف آية ١١

إبراهيم » و « آخر إبراهيم » بأول الحجر » وإذا فصل بالسكت ولم يسهل « ففيه ثلاثمائة وثلاثة.

* * *

[الإدغام الصغير]

وأما الإدغام الصغير ، فهو ما كان الحرف الأول فيه ساكنا . وهو واجب وممتنع وجائز ، والذي جرت عادة القراء بذكره في كتب الخلاف ، هو الجائز لأنه الذي اختلف القراء فيه ، وهو قسمان :

الأول إدغام حرف من كلمة في حروف متعددة من كلمات متفرقة ، وتنحصر في : إذ » و « قد » وتاء التأنيث » و « هل » و « بل » .

فإذ » اختلف في إدغامها وإظهارها عند ستة أحرف : التاء « إذ تبرأ » و « الجيم « إذ جعل » » والدال « إذ دخلت » » والزاي « إذ زاغت » » والسين « إذ سمعتموه » » والصاد « وإذ صرفنا » .

وقد » اختلف فيها عند ثمانية أحرف : الجيم « ولقد جاءكم » ، والدال « ولقد ذرأنا » ، والزاي : « ولقد زينا » والسين « قد سألها » ، والشين « قد شغفها » ، والصاد « ولقد صرفنا » ، والضاد « قد ضلوا » والظاء « قد ظلم » .

وتاء التأنيث » اختلف فيها عند ستة أحرف : الثاء « بعدت ثمود » ، والجيم « نضجت جلودهم » والزاي : « خبت زدناهم » ، والسين « أنبتت سبع سنابل » ، والصاد « هدمت صوامع » ، والظاء « كانت ظالمة » .

ولام « هل » و « بل » اختلف فيها عند ثمانية أحرف ، تختص بل منها بخمسة : الزاي « بل زين » ، والسين « بل سولت » ، والضاد « بل ضلوا » ، والطاء « بل طبع » ، والظاء « بل ظننتم » .

وتختص هل بالثاء « هل ثوب » ، ويشتركان في التاء والنون « هل تنقمون » ، « بل تأتيهم » « هل نحن » « بل نتبع » .

القسم الثانى : إدغام حروف قرُبت مخارجها وهى ، سبعة عشر حرفا اختلف فيها :

أحدها: الباء عند الفاء فى «أو يغلب فسوف »، « وإن تَعْجَب فعجب » « اذهَبْ » ،« فاذهب فإن»،«ومن لم يتبْ فأولئك ».

الثانى : « يعَذِّبُ مَنْ يَشَاء » فى البقرة .

الثالث : « ارِكب معنا » فى هود .

الرابع : « نخسف بهم » فى سبأ .

الخامس : الراء الساكنة عند اللام نحو« يَغْفِرْ لَكُمْ »، « وَاصْبِرْ لِحكم رَبِّك ».

السادس : اللام الساكنة فى الذال « مَنْ يفعلْ ذلك » حيث وقع .

السابع : الثاء فى الذال فى « يَلْهث ذلك » .

الثامن : الدال فى الثاء « من يرد ثواب » حيث وقع .

التاسع : الذال فى التاء من « اتخذتم »،وما جاء من لفظه .

العاشر : الذال فيها من « فنبذتها » فى طه .

الحادى عشر : الذال فيها أيضا فى « عُذْتُ بربىّ » فى غافر والدخان .

الثانى عشر : الثاء من « لَبِثْتُمْ » و« لبثت » كيف جاءا .

الثالث عشر : الثاء فى « أورِثْتموها» فى الأعراف والزخرف .

الرابع عشر : الدال فى الذال فى « كهيعص ذِكْر » .

الخامس عشر : النّون فى الواو من « يس والقرآن » .

السادس عشر : النون فيها من « ن والقلم » .

السابع عشر : النون عند الميم من « طسم » أوّل الشعراء والقصص .

قاعدة

كلّ حرفين التقيا ؛ أولهما ساكن وكانا مثلين ، أوجنسين وجب إدغام الأوّل منهما لغة وقراءة .

فالمِثْلان نحو « اضْرِبْ بعصاكَ »،«رَبِحَتْ تجارتهم» ، « وقد دخلوا ، « اذهب وقل لهم » « وهم من » ، « عن نفس » ، « يدرككم » ، « يوجّهه » .

والجنسان:نحو « قالتطائفة » ، « وقد تبين » ، « إذْظلمتم » ، « بَلْران »،« هل « رأيتم » ، « قل رب » ، مالم يكن أوّل المثلين حرف مدّ نحو « قالوا وهم » ، « الذى يوسوس » ، أوأوّل الجنسين حرف حلق نحو « فاصفح عنهم » .

* * *

فائدة

كره قوم الإدغام فى القرآن ، وعن حمزة أنه كرهه فى الصلاة ، فتحصلنا على ثلاثة أقوال .

تذنيب

يلحق بالقسمين السابقين قسم آخر اختلف فى بعضه ، وهوأحكام النون الساكنة والتنوين ، ولها أحكام أربعة : إظهار ، وإدغام ،وإقلاب ،وإخفاء .

فالإظهارلجميع القراء عند ستة أحرف ، وهى حروف الحلق : الهمزة ، والهاء ، والعين والحاء ، والغين ، والخاء ، نحوَ «ينأوْنَ» «مَنْ آمن»،«فانهار»،«من هادٍ» ، « جُرُف هار» «أنعمتَ» ، « من عمل »،« عذاب عظيم » ، « والنحر »،« من حكيم حميد »،«فسينغضون» « من غلّ » ، « إله غيره » ، و « المنخنقة » ، « من خير » ، « قوم خصمُون » .

وبعضهم يخفى عند الخاء والغين .

والإدغام فى ستة ؛ حرفان بلاغنّة ؛ وهما اللام والراء ، نحو«فإن لم تفعلوا » ، « هُدًى للمتقين »،«مِنْ ربهم»،« ثمرة رزقا ».وأربعة بغنّة ، وهى : النون ، والميم ، والياء والواو ،

نحو «عن نفْس» ، «حطّة نغفر»، «من مال» ، «مثلاً ما»، «من والٍ» «رعد وبرق»، «من يقول» ، «وبرقٍ يجعلون» .

والإقلاب عند حرف واحد ، وهو الباء نحو «أنبئهم» ، «من بعدهم» ، «صمّ بكم» بقلب النون والتنوين عند الباء ميما خاصة فتخفى بغنّة .

* * *

والإخفاء عند باقى الحروف وهى خمسة عشر : التاء ، والثاء ، والجيم ، والدال ، والذال ، والزاى ، والسين ، والشين ، والصاد ، والضاد ، والطاء ، والظاء ، والفاء ، والقاف ، والكاف ، نحو كنتم ، من باب ، جنات تجرى ، والأنثى ، من ثمرة ، قولا ثقيلا ، أنجيتنا ، أن جعل ، خلقا جديدا ، أندادا ، أن دعوا ، كأسا دهاقا ، أأنذرتهم ، من ذهب ، وكيلا ذرية ، تنزيل ، من زوال ، صعيدا زلقا ، الإنسان ، من سوء ، رجلا سلما ، لما أنشره ، إن شاء ، غفور شكور ، الأنصار ، أن صدوكم ، جمالات صفر ، منضود ، من ضل ، وكلا ضربنا ، مقنطرة ، من طين ، صعيدا طيبا ، ينظرون ، من ظهير ، ظلا ظليلا ، فانفلق ، من فضله ، خالدا فيها ، انقلبوا ، من قرار ، سميع قريب ، المنكر ، من كتاب ، كتاب كريم .

والإخفاء حالة بين الإدغام والإظهار ، ولا بدّ من الغنّة معه .

النوع الثاني والثلاثون
في المد والقصر

أفرده جماعة من القراء بالتصنيف ، والأصل في المد ما أخرجه سعيد بن منصور في سننه ؛ حدثنا شهاب بن خراش ، حدثني مسعود بن يزيد الكندي ، قال : كان ابن مسعود يقرئ رجلا ، فقرأ الرجل : ﴿ إنما الصدقات للفقراء والمساكين ﴾ [1] مرسلة ، فقال ابن مسعود : ماهكذا أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : كيف أقرأكها ياأبا عبد الرحمن ؟ فقال : أقرأنيها : ﴿ إنما الصدقات للفقراء والمساكين ﴾ فمد . وهذا حديث جليل حجة ، ونص في الباب ، رجال إسناده ثقات ، أخرجه الطبراني في الكبير .

المد : عبارة عن زيادة مط في حرف المد على المد الطبيعي ؛ وهو الذي لاتقوم ذات حرف المد دونه [2] .

والقصر : ترك تلك الزيادة ، وإبقاء المد الطبيعي على حاله .

وحرف المد الألف مطلقا ، والواو الساكنة المضموم ماقبلها ، والياء الساكنة المكسور ماقبلها .

وسببه لفظي ومعنوي ، فاللفظي إما همز أو سكون ، فالهمز يكون بعد حرف المد وقبله ، والثاني نحو آدم ، ورأى ، وإيمان ، وخاطئين ، وأوتوا ، والموءودة .

والأول إن كان معه في كلمة واحدة فهو المتصل ، نحو أولئك ، شاءالله ، والسوءى ، ومن سوء ، ويضيء .

وإن كان حرف المد آخر كلمة والهمز أول أخرى فهو المنفصل نحو بما أنزل ، ياأيها ، قالوا آمنا ، أمره إلى الله ، في أنفسكم ، به إلا الفاسقين .

---

(١) سورة التوبة ٦٠ (٢) تقريب النشر ١٨

ووجهِ المدّ لأجل الهمز أنّ حرف المدّ خفىّ ، والهمز صعب ، فزيد فى الخفىّ ليُتمكن من النطق بالصعب .

والسكون إمّا لازم ، وهو الذى لا يتغيّر فى حاليه ، نحو الضالّين ، ودآبّة ، والم ، وأتحاجّونى . أو عارض وهو الذى يعرض للوقف ونحوه ، نحو العباد ، والحساب ، ونستعين ، والرحيم ، ويوقنون حالة الوقف ، وفيه هدى ، وقال لهم ، ويقول ربنا حالة الإدغام .

ووجه المدّ للسكون التمكّن من الجمع بين الساكنين ، فكأنّه قام مقام حركة .

* * *

وقد أجمع القراء على مدّ نوعَىِ المتّصل وذى الساكن اللّازم ؛ وإن اختلفوا فى مقداره . واختلفوا فى مدّ النوعين الآخرين وهما المنفصل وذو الساكن العارض ، وفى قصْرهما .

فأمّا المتصل فاتّفق الجمهور على مدّه قدرًا واحدا مشبَعا من غير إفحاش .

وذهب آخرون إلى تفاضله كتفاضل المنفصل ، فالطولىّ لحمزة وورش ، ودونها لعاصم ، ودونها لابن عامر والكسائى وخلف ، ودونها لأبى عمرو والباقين .

وذهب بعضهم إلى أنه مرتبتان فقط : الطولىّ لمن ذكر ، والوسطى لمن بقى .

وأما ذو الساكن — ويقال له مدّ العدل لأنه يعدل حركة — فالجمهور أيضا على مدّه مشبعا قدرا واحدًا من غير إفراط ، وذهب بعضهم إلى تفاوته .

وأما المنفصل — ويقال له مدّ الفصل ، لأنه يفصل بين الكلمتين ، ومدّ البسط لأنه يُبسط بين الكلمتين ، ومدّ الاعتبار ، لاعتبار الكلمتين من كلمة ، ومدّ حرف بحرف ، أى مدّ كلمة بِكلمة ، والمدّ الجائز ، من أجل الخلاف فى مدّ وقصره — فقد اختلفت العبارات فى مقدار مدّه اختلافا لا يمكن ضبطه .

والحاصل أن له سبع مراتب :

الأولى : القصر ؛ وهو حذف المدّ العرَضىّ ، وإبقاء ذات حرف المدّ على مافيها من غير زيادة ؛ وهى فى المنفصل خاصّة لأبى جعفر وابن كثير ، ولأبى عمرو عند الجمهور .

الثانية : فُويق القصر قليلا ، وقدّرت بألِفَيْن وبعضهم بألفٍ ونصف ،وهى لأبى عمرو، فى المتصل والمنفصل عند صاحب التيسير [1]

الثالثة : فويقها قليلا ،وهى التوسّط عند الجميع ،وقدّرت بثلاث ألفات ، وقيل بألفيْنِ ونصف ، وقيل بألفين ، على أنّ ماقبلها بألف ونصف ، وهى لابن عامر والكسائىّ فى الضربيْن عند صاحب التيسير .

الرابعة : فويقهاقليلا ، وقدِّرت بأربع ألِفات ، وقيل : بثلاث ونصف ، وقيل : بثلاث على الخلاف فيما قبلها ؛ وهى لعاصم فى الضربيْن عند صاحب التيسير .

الخامسة : فويقها[2] قليلا ، وقُدّرت بخمس ألفات ، وبأربع ونصف ، وبأربع ، على الخلاف ، وهى فيها لحمزة وورْش عنده .

السادسة : فوق ذلك ، وقدّرها الهذلىّ بخمس ألِفات على تقدير الخامسة بأربع ، وذكر أنها لحمزة .

السابعة : الإفراط،قدّرها الهذلىّ بستّ ، وذكرها لورش . قال ابن الجزرىّ :وهذا الاختلاف فى تقدير المراتب بالألِفات لاتحقيق وراءه ، بل هولفظىّ ، لأن المرتبة الدنيا — وهى القصر — إذا زيد عليها أدنى زيادة صارت ثانية ، ثم كذلك حتى تنتهى إلى القصوى.

* * *

وأما العارض فيجوز فيه لكلّ من القراء كلٌّ من الأوجه الثلاثة : المدّ

---

(١) ط : « التفسير » ، وهو خطأ ، صوابه من الأصل والتيسير لأبى عمرو الدانى .
(٢) ط : « فوائقها » ، تحريف

والقصر ، وهى أوجه تخيير ، وأما السبب المعنوىّ فهو قصد المبالغة فى النفى ، وهو سبب قوىٌّ مقصودٌ عند العرب ، وإن كان أضعفَ من اللفظىّ عند القراء ، ومنه مد التعظيم فى نحو « لا إله إلا هو » ، « لا إله إلا الله » ، « لا إله إلا أنت » .
وقد ورد عن أصحاب القصر فى المنفصل لهذا المعنى ، ويسمّى مدّ المبالغة . قال ابن مِهْران فى كتاب المدّات : إنما سمِّىَ مدّ المبالغة لأنّه كلب للمبالغة فى نفى الألٰهيّة سوى الله تعالى . قال : وهذا مذهب معروف عند العرب ، لأنها تُمدّ عند الدعاء وعند الاستغاثة ، وعند المبالغة فى نفى شئ ، ويمدّون مالا أصل له بهذه العلّة . قال ابن الجزرىّ : وقد ورد عن حمزة مدّ المبالغة للنفى فى «لا» التى للتبرئة ، نحو «لا ريب فيه» « لاشية فيها » ، « لا مردّ له » ، «لا جرم» ، وقدره فى ذلك وسط ، لا يبلغ الإشباع لضعف سببه . نص عليه ابن القصاع [1] .

وقد يجتمع السببان : اللفظىّ والمعنوىّ ، فى نحو «لا إله إلا» ، و«لا إكراه فى الدين» و« لا إثم عليه » ، فيُمَدّ لحمزة مدّا مشبعاً على أصله فى المدّ لأجل الهمز ، ويلغى المعنوى ، إعمالا للأقوى وإلغاءً الأضعف .

* * *

قاعدة

إذا تغير سبب المدّ جاز المدّ مراعاة للأصل ، والقصر نظرًا اللفظ ، سواء كان السبب همزا أو سكونا ، سواء تغيّر الهمز ببيْن بين ، أو بإبدال ، أو حذف ، والمدُّ أولَى فيما بقى لتغيّره أثر ، نحو ﴿ هؤلاء إن كنتم ﴾ [2] فى قراءة قالون والبزىّ ، والقصر فيما ذهب أثره نحوها فى قراءة أبى عمرو [3] .

---

(١) هو محمد بن إسرائيل بن أبى بكر ، أبو عبدالله السلمى المعروف بابن القصاع ، مقرئ من أهل دمشق ، وهو صاحب كتاب الاستبصار والمغنى ، وكلاهما فى القراءات . توفى سنة ٦٧١ . طبقات القراء ٢ : ١٠٠

(٢) سورة البقرة ٣١

(٣) قراءة قالون والبزى « تسهيل الهمزة الأولى بين الهمزة والياء وتحقيق الثانية ، وقرأ أبو عمرو بإسقاط الأولى وتحقيق الثانية » . وانظر إتحاف فضلاء البشر ١٣٢

قاعدة

متى اجتمع سببان : قوىّ وضعيف عُمِل بالقوىّ ، وأُلغِىَ الضعيف إجماعا ، ويتخرّج عليها فروع :

منها الفرع السابق فى اجتماع اللفظىّ والمعنوى .

ومنها نحو « جاءوا أباهم » ، و « رأى أيديَهم » إذا قرئ لورش لا يجوز فيه القصر ولا التوسط بل الإشباع ؛ عملا بأقوى السببين ، وهو المدّ لأجل الهمز بعده ، فإن وقف على « جاءوا » أو « رأى » جازت الأوجه الثلاثة بسبب تقدم الهمز على حرف المدّ وذهاب سببيّة الهمز بعده .

* * *

فائدة

قال أبو بكر أحمد بن الحسين بن مِهران النيسابورىّ : مدّات القرآن على عشرة أوجه :

مدّ الحجز فى نحو « أأنذرتهم » ، « أأنت قلت للناس » ، « أإذا متنا » ، « أؤلقِىَ عليه الذكر » ؛ لأنه أدخل بين الهمزتين حاجزا بينهما لاستثقال العرب جمعهما ، وقدره ألف تامّة بالإجماع ، لحصول الحجز بذلك .

ومدّ العدل فى كلّ حرف مشدّد وقبله حرف مدّ ولين نحو « الضالّين » ، لأنه يعدل حركة ، أى يقوم مقامها فى الحجز بيْن الساكنين .

ومدّ التمكين فى نحو « أولئك » ، و « الملائكة » و « شعائر » ؛ من (1) المدّات الّتى تليها همزة لأنه جُلِب ليتمكن به من تحقيقها وإخراجها من مخرجها .

ومدّ البسط ويسمَّى أيضا مدّ الفصل فى نحو « بما أنزل » ، لأنه يبسط بين كلمتين ، ويصل به بين كلمتين متصلتين .

ومدّ الرّوْم فى نحو « ها أنتم » لأنهم يرومون الهمزة من « أنتم » ولا يحققونها ولا يتركونها أصلا ، ولكن يليّنونها ، ويشيرون إليها ؛ وهذا على مذهب من لا يهمز « هاأنتم » ، وقدره ألف ونصف .

ومدّ الفرق فى نحو « الآن » لأنه يفرق به بين الاستفهام والخبر ، وقدره ألف

---

(1) ط : « وسائر » .

تامة بالإجماع . فإن كان بين ألف المدّ حرف مشدّد زيد ألف أخرى ليتمكن به من تحقيق الهمزة نحو « الذاكرين الله » .

ومدّ البنية فى نحو ماء ، ودعاء ، ونداء ، وزكرياء ، لأن الاسم بنى على المدّ ، فرقا بينه وبين المقصور .

ومدّ المبالغة فى نحو « لا إله إلا الله » .

ومدّ البدل من الهمزة فى نحو آدم وآخر وآمن ، وقدره ألف تامّة بالإجماع .

ومدّ الأصل فى الأفعال الممدودة ، نحو جاء ، وشاء ، والفرق بينه وبين مدّ البنية أنّ تلك الأسماء بُنيت على المدّ ، فرقاً بينها وبين المقصور ، وهذه مدّات فى أصول أفعال أحدِثت لمعانٍ . انتهى

النوع الثالث والثلاثون
في تخفيف الهمز

فيه تصانيف مفردة .

اعلم أنّ الهمز لمّا كان أثقل الحروف نطقاً ، وأبعدها مخرجاً ، تنوّع العرب في تخفيفه بأنواع التخفيف ، وكانت قريش وأهل الحجاز أكثرهم له تخفيفا ؛ ولذلك أكثر مايرد تخفيفه من طرقهم ؛ كابن كثير من رواية ابن فُليح ، وكنافع من رواية وَرْش وكأبي عمرو ، فإن مادة قراءته عن أهل الحجاز. وقد أخرج ابن عدىّ من طريق موسى بن عبيدة ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : ماهَمَزَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ولاأبو بكر ولاعمرو ، ولاالخلفاء ، وإنّما الهمز بدعة ابتدعوها من بعدهم .

قال أبو شامة: هذا حديث لايحتجّ به ، وموسى بن عبيدة الرَّبَذىّ ضعيف عند أئمة الحديث.

قلت : وكذا الحديث الّذى أخرجه الحاكم فى المستدرك ، من طريق حمران بن أعيَن ، عن أبى الأسود الدؤلىّ ، عن أبى ذرّ ، قال: جاء أعرابِىٌّ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال: يانبىَء الله، فقال : لست بنبيء الله ، ولكنى نبىّ الله . قال الذهبىّ: حديث منكر ، وحمران رافضىّ ليس بثقة .

وأحكام الهمز كثيرة لايحصيها أقلّ من مجلّد ، والذى نورده هنا أن تحقيقه أربعة أنواع:

أحدها : النقل لحركته إلى الساكن قبله، فيسقط نحو « قَدَ افلَح » بفتح الدال، وبه قرأ نافع من طريق ورش ، وذلك حيث كان الساكن صحيحا آخرًا والهمزة أولا . واستثنى أصحاب يعقوب عن ورش ﴿ كتابيَه * إنّى ظننت ﴾[1] ، فسكّنوا الهاء وحققوا الهمزة ، وأما الباقون فحقّقوا وسكّنوا فى جميع القرآن .

---

(١) سورة الحاقة ١٩ ، ٢٠ .

وثانيها: الإبدال، بأن تُبدَل الهمزة الساكنة حرف مدّ من جنس حركة ما قبلها، فتبدل ألفاً بعد الفتح نحو ﴿ وامُرْ أَهْلَكَ ﴾ وواوا بعد الضمّ، نحو ﴿ يومنون ﴾، وياء بعد الكسر نحو ﴿ جيت ﴾، وبه يقرأ أبو عمرو، وسواء كانت الهمزة فاء أم عينا أم لاماً، إلا أن يكون سكونها جزماً، نحو ﴿ نَنسَأْهَا ﴾ أو بناء نحو ﴿ أَرْجِئْهُ ﴾، أو يكون ترك الهمز فيه أثقل، وهو ﴿ تُؤْوِى إِلَيْكَ ﴾ فى الأحزاب، أو يوقع فى الالتباس وهو ﴿ رئياً ﴾ فى مريم، فإنْ تحرّكت فلا خلاف عنه فى التحقيق نحو « يؤدّه ».

ثالثها: التسهيل بينها وبين حركتها. فإن اتفق الهمزتان فى الفتح سهّل الثانية الحرميّان وأبو عمرو وهشام، وأبدلها ورش ألفاً، وابن كثير لا يدخل قبلها ألفا، وقالون وهشام وأبو عمرو يدخلونها، والباقون من السبعة يحقّقون. وإن اختلفا بالفتح والكسر سهّل الحرميّان وأبو عمرو الثانية، وأدخل قالون وأبو عمرو قبلها ألفا، والباقون يحققون. أو بالفتح والضم، وذلك فى « قُلْ أؤنبئكم »، « أؤْنْزِلَ عليه الذِّكر »، « أَؤُلْقِى » فقط. فالثلاثة يسهّلون، وقالون يدخل ألفاً، والباقون يحققون.

قال الدانىّ: وقد أشار الصّحابة إلى التسهيل بكتابة الثانية واوا.

رابعها: الإسقاط بلا نقل، وبه قرأ أبو عمرو، إذا اتفقا فى الحركة وكانا فى كلمتين، فإن اتفقا كسرا نحو « هؤلاءِ إن كنتم »، جعل ورش وقنبل الثانية كياء ساكنة وقالون والبزىّ الأولى كياء مكسورة وأسقطها أبو عمرو والباقون يحققون. وإن اتفقا فتحا نحو « جاء أجاهم » جعل ورش وقنبل الثانية كمدّة، وأسقط الثلاثة الأولى، والباقون يحققون. أو ضما وهو « أولياء أولئك »، فقط أسقطها أبو عمرو، وجعلها قالون والبزى كواو مضمومة، والآخران يجعلان الثانية كواو ساكنة، والباقون يحقّقون.

ثم اختلفوا فى الساقط: هل هو الأولى أو الثانية؟ الأول عن أبى عمرو، والثانى عن الخليل من النحاة.

وتظهر فائدة الخلاف فى المدّ، فإنْ كان الساقط الأولى فهو منفصل، أو الثانية فهو متّصل.

النوع الرابع والثلاثون
في كيفية تحمله

اعلم أن حفظ القرآن فرضُ كفاية على الأمة؛ صرّح به الجرجانيّ في الشافي[1] والعبادِيّ وغيرهما. قال الجُويني: والمعنى فيه ألّا ينقطع عدد التواتر فيه، فلا يتطرّق إليه التبديل والتحريف، فإن قام بذلك قومٌ يبلغون هذا العدد سقط عن الباقين، وإلّا أثِمَ الكلّ.

وتعليمه أيضا فرض كفاية، وهو من أفضل القُرَب، ففي الصحيح: «خَيْرُكم مَنْ تعلّم القرآن وعلّمه»[2].

وأوجه التحمّل عند أهل الحديث، السماع من لفظ الشيخ والقراءة عليه، والسماع عليه بقراءة غيره، والمناولة والإجازة والمكاتبة والوصية والإعلام والوِجادة، فأمّا غير الأوّلين فلا يأتي هنا، لما يعلم ممّا سنذكره.

وأما القراءة على الشيخ فهي المستعملة سَلَفاً وخَلَفاً، وأما السماع من لفظ الشيخ فيحتمل أن يقال به هنا؛ لأنّ الصحابة رضي الله عنهم إنّما أخذوا القرآن من النبيّ صلى الله عليه وسلم؛ لكن لم يأخذ به أحدٌ من القراء، والمنع فيه ظاهر؛ لأنّ المقصود هنا كيفيّة الأداء، وليس كلّ مَن سمع من لفظ الشيخ يقدر على الأداء كهيئته، بخلاف الحديث، فإنّ المقصود فيه المعنى أو واللفظ لا بالهيئات المعتبَرة في أداء القرآن؛ وأمّا الصّحابة فكانت فصاحتهم وطباعهم السليمة تقتضي قدرتَهم على الأداء؛ كما سمعوه من النبيّ صلى الله عليه وسلم؛ لأنّه نزل بلغتهم.

وممّا يدلّ للقراءة على الشيخ عَرْض النبيّ صلى الله عليه وسلم القرآنَ على جبريل في

---

(١) كتاب الشافي في فروع الشافعي، لأبي العباس أحمد بن محمد الجرجاني، المتوفى سنة ٤٨٢، ذكره صاحب كشف الظنون، ونقل الزركشي عنه في البرهان ١ : ٤٥٦.

(٢) قاله في البرهان ١ : ٣٥٦

رمضان كلّ عام ؛ ويحكى أن الشيخ شمس الدين بن الجزرىّ لمّا قدم القاهرة وازدحمت عليه الخلق ، لم يتسع وقته لقراءة الجميع ، فكان يقرأ عليهم الآية، ثم يعيدونها عليه دفعة واحدة ، فلم يكتفِ بقراءته .

وتجوز القراءة على الشيخ؛ ولو كان غيره يقرأ عليه فى تلك الحالة ، إذا كان بحيث لا يخفى عليه حالهم . وقد كان الشيخ علم الدين السخاوىّ يقرأ عليه اثنان وثلاثة فى أماكن مختلفة ، ويردّ علَى كلٍّ منهم ، وكذا لو كان الشيخ مشتغلًا بشغلٍ آخر كنسخ ومطالعة .

وأما القراءة من الحِفظ فالظاهر أنها ليست بشرط ، بل يكفى ولو من المصحف .

* * *

فصل

كيفيات القراءة ثلاث :

أحدها: التحقيق، وهو إعطاء كلِّ حرف حقَّه من إشباع المدّ وتحقيق الهمزة وإتمام الحركات واعتماد الإظهار والتشديدات ، وبيان الحروف وتفكيكها وإخراج بعضها من بعض ، بالسكت والترتيل والتّؤدة وملاحظة الجائز من الوقوف بلاقصْر ولا اختلاس ولا إسكان محرّك ولا إدغامه ؛ وهو يكون لرياضة الألسن وتقويم الألفاظ . ويستحبّ الأخذُ به على المتعلِّمين من غير أن يتجاوز فيه إلى حدّ الإفراط بتوليد الحروف من الحركات ، وتكرير الرّاءات ، وتحريك السّواكن وتطنين النّونات بالمبالغة فى الغنّات ، كما قال حمزة لبعض مَنْ سمعه يبالغ فى ذلك : أمَا علمت أنّ مافوق البياضَ برَص ، ومافوق الجعودة قَطَط ، ومافوق القراءة ليس بقراءة !

وكذا يحترز من الفصْل بين حروف الكلمة ، كمن يقف على التاء من « نستعين » وقفة لطيفة ، مدّعياً أنه يرتّل ؛ وهذا النوع من القراءة مذهب حمزة وورش ، وقد أخرج فيه الدانىّ حديثاً فى كتاب التجويد مسلسَلًا إلى أبىّ بن كعب ، أنه قرأ على رسول الله صلى الله عليه وسلم التحقيق ، وقال : إنه غريب مستقيم الإسناد .

الثانية : الحَدْر ، بفتح الحاء وسكون الدال المهملتين ؛ وهو إدراج القراءة وسرعتها وتخفيفها بالقصْر والتسكين ، والاختلاس والبدل والإدغام الكبير ، وتخفيف الهمزة ، ونحو ذلك مما صحت به الرواية مع مراعاة اقامة الإعراب وتقويم اللفظ ، وتمكّن الحروف بدون بتْر حروف المدّ ، واختلاس أكثر الحركات ، وذهاب صوت الغنّة والتفريط إلى غاية لاتصحّ بها القراءة ، ولاتوصف بها التلاوة ؛ وهذ النوع مذهب ابن كثير وأبى جعفر . ومن قصْر المنفصل كأبى عمرو ويعقوب.

الثالثة : التدوير ، وهو التوسط بين القامين من التحقيق والحَدْر ، وهو الذى ورد عن أكثر الأئمة ممّن مدّ المنفصل ، ولم يبلغ فيه الإشباع ، وهو مذهب سائرالقراء ، وهو المختار عند أكثر أهل الاداء .

* * *

تنبيه

سيأتى فى النوع الذى يَلِى هذا استحباب الترتيل فى القراءة،والفرق بينه وبين التحقيق — فيما ذكره بعضهم — أن التحقيق يكون للرياضة والتعليم والتمرين ، والترتيل يكون للتدبّر والتفكر والاستنباط ؛ فكلّ تحقيق ترتيل ، وليس كلّ ترتيل تحقيقا .

* * *

فصل

من المهمّات تجويد القرآن ، وقد أفرده جماعة كثيرون بالتصنيف ؛ ومنهم الدّانى وغيره . أخرَج عن ابن مسعود أنه قال : « جوِّدُوا القرآن » .

قال القرّاء : التجويد حلْية القراءة ، وهو إعطاء الحروف حقوقَها وترتيبَها ، وردّ الحرف إلى مخرجه وأصله ، وتلطيف النّطق به على كمال هيئته ، من غير إسرافٍ ولا تعسّف ولا إفراط ولا تكلّف ، وإلى ذلك أشار صلّى الله عليه وسلم بقوله : « مَنْ أحبّ أن يقرأ

القرآن غَضًّا كما أُنزِل ، فليقرأه على قراءة ابن أمّ عَبْد» — يعنى ابن مسعود — وكان رضى الله عنه قد أُعطِىَ حظًا عظيمًا فى تجويد القرآن [١] ، ولا شك أن الأمة ، كما هُمْ متعبِّدون بفهم معانى القرآن وإقامة حدوده ، هم متعبّدون بتصحيح ألفاظه وإقامة حروفه على الصِّفة المتعلقاة من أئمة القراء ، المتصلة بالحضرة النبويّة . وقد عدّ العلماء القراءة بغير تجويد لحناً ، فقسَّموا اللحن إلى جلىّ وخفىّ ، فاللحن خلَلٌ يطرأ على الألفاظ فيخلّ ، إلاّ أنّ الجلىّ يُخلّ إخلالاً ظاهراً ، يشترك فى معرفته علماء القراءة وغيرهم ، وهو الخطأ فى الإعراب ، والخفىّ يخلّ إخلالاً يختصّ بمعرفته علماء القراءة وأئمة الأداء الذين تلقّوْه من أفواه العلماء ، وضبطوه من ألفاظ أهل الأداء [٢] .

قال ابن الجزرىّ : ولا أعلم لبلوغ النهاية فى التجويد مثل رياضة الألسن والتكرار على اللَّفظ المُتلقَّى من فم المحسِن . وقاعدته ترجع إلى معرفة كيفيّة الوقف والإمالة والإدغام وأحكام الهمز والترقيق والتفخيم ومخارج الحروف ؛ وقد تقدمت الأربعة الأوَل ، وأمّا الترقيق فالحروف المستفِلة كلّها مرقّقة ، لايجوز تفخيمُها ، إلا اللّام من اسم الله بعد فتحةٍ أو ضمة إجماعاً ، أو بعد حروف الإطباق فى رواية ، إلا الرّاء المضمومة أو المفتوحة مطلقاً ، أو الساكنة فى بعض الأحوال . والحروف المستعلية كلّها مفخّمة لايستثنى منها شىء فى حال من الأحوال [٣] .

وأمّا مخارج الحروف ، فالصحيح عند القرّاء ومتقدّمى النحاة كالخليل أنّها سبعة عشر . وقال كثيرٌ من الفريقين : ستّةَ عشر ، فأسقطوا مخرج الحروف الجوفيّة ، وهى حروف المدّ واللّين ، وجعلوا مخرج الألف من أقصى الحلْق [٣] والواو من مخرج المتحركة ، وكذا الياء [٤] .

---

(١) انظر النشر ١ : ٢١٢ والعبارة فيه : « وكان رضى الله عنه قد أعطى حظاً عظيما فى تجويد القرآن وتحقيقه وترتيله كما أنزله الله تعالى ، وناهيك برجل أحب النبى صلى الله عليه وسلم أن يسمع القرآن منه » .

(٢) النشر ١ : ٢٣ (٣) ط : « الحلق » ، وما أثبته من النشر

وقال قوم : أربعة عشر[١] ، فأسقطوا مخرج النّون واللّام والراء ، وجعلوها من مخرج واحد .

قال ابنُ الحاجب : وكلّ ذلك تقريب ، وإلاّ فلكلّ حرف مخرج على حدة .

قال القراء : واختيار مخرج الحرف محققا ، أن تلفظ بهمزة الوصل وتأتي بالحرف بعده ساكنا أومشددا ، وهو أبين ، ملاحظًا فيه صفات ذلك الحرف[٢] :

المخرج الأوّل : الجوف للألف والواو والياء الساكنين بعد حركة تجانسهما[٣] .

الثاني : أقصى الحلق ، للهمزة والهاء .

الثالث : وسطه ، للعين والحاء المهملتين .

الرابع : أدناه للفم[٤] ، للغين والخاء .

الخامس : أقصى اللسان ممّا يَلِي الحلق وما فوقه من الحنك للقاف .

السادس : أقصاه من أسفل مخرج القاف قليلًا ، وما يليه من الحنك للكاف[٥] .

السابع : وسطه[٦] ، بينه وبين وسط الحنك ، للجيم والشين والياء .

الثامن ؛ للضاد المعجمة ، من أوّل حافّة اللسان وما يليه من الأضراس من الجانب الأيسر ، وقيل : الأيمن .

التاسع : اللّام من حافّة اللسان من أدناها إلى منتهى طرفه ، وما بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى[٧] .

---

(١) في النشر : « وذهب قطرب والجرمي والفراء وابن دريد وابن كيسان إلى أنها أربعة عشر »

(٢) النشر ١ : ١٩٨

(٣) عبارة النشر : « وهو للألف والواو الساكنة المضموم ما قبلها ، والياء الساكنة المكسور ما قبلها ، وهذه الحروف تسمى حروف المد واللين ، وتسمى الهوائية والجوفية ، وإنما نسبن إلى الجوف لأنه انقطاع مخرجهن » .

(٤) النشر : « أدنى الحلق إلى الفم » .

(٥) النشر : « وهذان الحرفان يقال لكل منهما لهوى ، نسبة إلى اللهاة ، وهي بين الفم والحلق » .

(٦) أي وسط اللسان .

(٧) النشر : « مما فويق الضاحك والناب والرباعية والثنية » :

العاشر : للنون من طرفه ، أسفل اللّام قليلا .

الحادى عشر : للراء من مخرج النون ، لـكنها أدخل فى ظهر اللسان [١] .

الثانى عشر : للطاء والدال والتاء من طر اللسان وأصول الثنايا العليا مصعدًا إلى جهة الحنَك [٢] .

الثالث عشر : الحرف الصفير ، والصاد والسين والزّاى ، من بين طرف اللسان وفُويق الثنايا السفلى [٣] .

الرابع عشر : للظاء والثاء والذال ، من بين طرفه ، وأطراف الثنايا العليا [٤] .

الخامس عشر : للفاء ، من باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا .

السادس عشر : للباء والميم والواو غير المدّيّة بين الشفتين [٥] .

السابع عشر : الخيشوم للغنّة فى الإدغام والنون أو والميم الساكنة [٦] .

قال فى النشر : فالهمزة والهاء اشتركا مخرجاً وانفتاحاً واستفالا ، وانفردت الهمزة بالجهرّ والشدّة ، والعين والحاء اشتركا كذلك ، وانفردت الحاء بالهمس والرخاوة الخالصة ، والغين والخاء اشتركا مخرجاً ورخاوة واستعلاء وانفتاحا ، وانفردت الغين بالجهر ، والجيم والشين والياء اشتركت مخرجاً وانفتاحا واستفالاً ، وانفردت الجيم بالشدّة ، واشتركت مع الياء فى الجهر ، وانفردت الشين بالهمس والتفشّى ، واشتركت مع الياء فى الرّخاوة ، والضادو الظاء اشتركا صفة جهرا ورخاوة واستعلاء ، وإطباقا ، وافترقا مخرجاً ، وانفردت الضّاد

---

(١) النشر : « وهذه الثلاثة يقال لها الذلقية ، نسبة إلى موضع مخرجها ، وهو طرف اللسان ، إذ طرف كل شىء ذلقه » .

(٢) النشر : « ويقال لهذه الثلاثة النطعية ، لأنها تخرج من نطع الغار الأعلى ، وهو سقفه » .

(٣) النشر : « وهذه الثلاثة الأحرف هى الأسلية ، لأنها تخرج من أسلة اللسان ، وهو مستدقه » .

(٤) النشر : « ويقال لها : اللثوية ، نسبة إلى اللثة ، وهو اللحم المركب فيه الأسنان »

(٥) النشر : « وهذه الأحرف الأربعة يقال لها الشفهية ، نسبة إلى الموضع الذى تخرج منه ، وهو الشفتان »

(٦) النشر ١ : ١٩٩ — ٢٠١

بالاستطالة ، والطاء والدال والتاء اشتركت مخرجاً وشدّة ، وانفردت الطاء بالإطباق والاستعلاء ، واشتركت مع الدال فى الجهر ، وانفردت التاء بالهمس ، واشتركت مع الدال فى الانفتاح والاستفال ، والظاء والذال والثاء اشتركت مخرجاً ورخاوة ، وانفردت الظّاء بالاستعلاء والإطباق ، واشتركت مع الذال فى الجهر ، وانفردت الثاء بالهمس ، واشتركت مع الذال انفتاحاً واستفالاً ، والصاد والزاى والسين اشتركت مخرجاً ورخاوة وصفيرا ، وانفردت الصاد بالإطباق والاستعلاء واشتركت مع السين فى الهمس ، وانفردت الزّاىُ بالجهر ، واشتركت مع السين فى الانفتاح والاستفال ، فإذا أحكم القارىء النّطق بكلّ حرف على حدته مُوّفىً حقّه ، فليعمل نفسه بإحكامه حالة التركيب لأنه ينشأ عن التركيب مالم يكن حالة الإفراد ، بحسب ما يجاورها من مجانس ومقارب ، وقوىّ وضعيف ، ومفخّم ومرقّق ، فيجذب القوىُّ الضعيف ، ويغلب المفخّم المرقّق ، ويصعب على اللسان النطق بذلك على حقّه إلا بالرياضة الشديدة ، فمن أحكم صحّة التلفّظ حالة التركيب ، حصل حقيقة التجويد [١] .

ومن قصيدة الشيخ علَم الدين فى التجويد — ومن خطه نقلت :

لا تحسب التَّجْويد مدًّا مفرِطاً	أو مدّ ما لا مــدّ فيــه لوانِ
أو أنْ تشدّد بعد مدٍّ همزةً	أو أنْ تلوكَ الحروفَ كالسّكرانِ
أو أنْ تفوه بهـمزةٍ متهوِّعاً	فيفرُّ سامعُها من الغَثيانِ
للحرف ميزانٌ فلا تكُ طاغياً	فيه ولا تكُ مخسِر الميزانِ
فإذا همزت فجىء به متلطفاً	من غير ما بُهْرٍ وغير توانِ
وامْددْ حروف المدّ عند مسكّنٍ	أو همزة حسناً أخا إحسان

فائدة

قال فى جمال القراء : قد ابتدع النّاس فى قراءة القرآن أصوات الغناء ، ويقال : إن أوّل ما غنّى به من القرآن قوله تعالى : ﴿ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِى البحر ﴾ [٢] ، نقلوا ذلك من تغنيهم بقول الشاعر :

---

(١) النشر ١ : ٢١٤

(٢) سورة الكهف ٧٩ :

أمّا التطاة فإنى سوف أنعتُها * نعتاً يوافق عندى بعضّ مافيها

وقد قال صلى الله عليه وسلم فى هؤلاء : « مفتونة وقلوبهم قلوب مَنْ يعجبهم شأنهم » .

وممّا ابتدعوه شئ سمّوه الترعيد ، وهو أن يرعد صوته كالذى يرعد من برد أو ألم .

وآخر سموه الترقيص ، وهو أن يروم السّكون على الساكن ، ثم ينفر مع الحركة كأنه فى عَدْوٍ أو هَرْولة .

وآخر يسمّى التطريب ، وهو أن يترنمّ بالقرآن ويتنغّم به فيمدّ فى غير مواضع المدّ ، ويزيد فى المدّ على مالا ينبغى .

وآخر يسمى التّحزِين ، وهو أن يأتى على وجهٍ حزين يكاد يُبكى مع خشوع وخضوع .

ومن ذلك نوع أحدثه هؤلاء الذين يجتمعون فيقرءون كلّهم بصوت واحد ، فيقولون فى قوله تعالى : ﴿أفَلا تَعقِلون﴾ «أفل تعقلون» ، بحذف الألف ، و «قالُ آمنا» بحذف الواو ، ويمدّون مالا يمدّ ، ليستقيم لهم الطريق التى سلكوها ، وينبغى أن يسمّى التحريف . انتهى

* * *

فصل

فى كيفية الأخذ بإفراد القراءات ، وجمعها

الذى كان عليه السلف أخْذ كلّ ختمة برواية ، لايجمعون رواية إلى غيرها إلا أثناء المائة الخامسة ، فظهر جمع القراءات فى الختمة الواحدة ، واستقرّ عليه العمل ؛ ولم يكونوا يسمحون به إلا لمن أفرد القراءات ، وأتقن طرقها ، وقرأ لكلّ قارىء بختمة على حدَة ؛ بل إذا كان للشيخ روايان قرءوا لكلٍّ راوٍ بختمة ، ثم يجمعون له ، وهكذا .

وتساهل قوم ، فسمحوا أن يقرأ لكل قارئ من السبعة بختمة ، سوى نافع وحمزة ، فإنّهم كانوا يأخذون بختمةٍ لقالون ، ثم ختمةٍ لورش ، ثم ختمةٍ لخلَف ، ثم ختمة لخلاّد ، ولا يسمح

أحد بالجمع إلا بعد ذلك ؛ نعم إذا رأوا شخصاً أفرد وجمع على شيخ معتبر ، وأجيز وتأهّل ، وأراد أن يجمع القراءات فى ختمة ، لا يكلفونه الإفراد لعلمهم بوصوله إلى حدّ المعرفة والإتقان . ثم لهم فى الجمع مذهبان :

أحدهما : لجمع بالحرف بأن يشرع فى القراءة ، فإذا مرّ بكلمة فيها خُلْفٌ أعادها بمفردها ؛ حتى يستوفِىَ مافيها ، ثم يقف عليها إن صلَحت للوقف ، وإلا وصلها بآخر وجهٍ ، حَتَّى ينتهى إلى الوقف ؛ وإن كان الخلف يتعلّق بكلمتين كالمدّ المنفصل ، وقف على الثانية ، واستوعب الخلاف ، وانتقل إلى ما بعدها ؛ وهذا مذهب المصريّين ، وهو أوثق فى الاستيفاء ، وأخفّ على الآخذ ، لكنه يخرج عن رَوْنق القراءة وحسن التلاوة .

الثانى : الجمع بالوقف بأن يشرع بقراءة مَن قدّمه حتى ينتهى إلى وقفٍ ، ثم يعود إلى القارئ الذى بعده إلى ذلك الوقف ، ثم يعود ، وهكذا حتى يفرغ ؛ وهذا مذهب الشاميّين ، وهو أشدّ استحضاراً ، وأشدّ استظهاراً ، وأطول زمناً ، وأجود مكاناً . وكان بعضهم يجمع بالآية على هذا الرسم (١) ، وذكر أبو الحسن القيجاطىّ (٢) فى قصيدته وشرحها : الجامع القراءات شروطا سبعة ، حاصلها خمسة :

أحدها : حسن الوقف .

ثانيها : حسن الابتداء .

ثالثها : حسن الأداء .

رابعها : عدم التركيب ، فإذا قرأ لقارئ لا ينتقل إلى قراءة غيره حتى يتمّ مافيها ، فإن فعل لم يدَعه الشيخ ، بل يشير إليه بيده ؛ فإن لم يتفطّن ، قال : لم تصل ، فإن لم يتفطّن مكث حتى يتذكّر ، فإن عجز ذكر له .

---

(١) انظر النشر ٢ : ١٩٦ ، ١٩٧

(٢) هو الإمام أبو الحسن على بن محمد بن إبراهيم الكتانى القيجاطى ، المتوفى سنة ٧٢٣ ، وقصيدته على وزن الشاطبية ، تمم فيها مازاد عليها من التبصرة لمكى والكافى لابن شريح والوجيز للأهوازى . النشر ١ : ٩٧

الخامس : رعاية الترتيب فى القراءة والابتداء بما بدأ به المؤلفون فى كتبهم ، فيبدأ بنافع قبل ابن كثير ، وبقالون قبل ورش .

قال ابن الجزرى: والصواب أنّ هذا ليس بشرط بل مستحبّ ، بل الذين أدركناهم من الأستاذِين لا يعدّون الماهر إلاّ مَنْ يلتزم تقديم شخص بعينه ، وبعضهم كان يراعى فى الجمع التّناسب ، فيبدأ بالقصر ، ثم بالرتبة التى فوقه وهكذا إلى آخر مراتب المدّ ، ويبدأ بالمشبَع ، ثم بما دونه إلى القصر ؛ وإنما يُسْلَك ذلك مع شيخ بارع عظيم الاستحضار ، أمّا غيرة فيُسلك معه ترتيب واحد .

قال : وعلى الجامع أن ينظر مافى الأحرف من الخلاف أصولاً وفَرْشاً ، فما أمكن فيه التداخل اكتفى منه بوجْهٍ ، ومالم يمكن ، فيه نظر ، فإن أمكن عطفه على ماقبله بكلمة أو كلمتين أو بأكثر من غير تخليط ولا تركيب اعتمده ، وإن لم يحسن عطفه رجع إلى موضع ابتدائه حتى يستوعب الأوجه كلها من غير إهمال ولا تركيب ولا إعادة مادخل؛ فإن الأول ممنوع ، والثانى مكروه ، والثالث معيب [1] .

وأما القراءة بالتلفيق وخلط قراءة بأخرى ، فسيأتى بسطه فى النوع الذى يلى هذا .

وأما القراءات والروايات والطرق والأوجه فليس للقارئ أن يدَع منها شيئا أو يخلّ به ، فإنّه خللٌ فى إكمال الرواية ، إلاّ الأوجه ، فإنها على سبيل التخيير ، فأىّ وجه أتى به أجزأه فى تلك الرواية .

وأما قدر مايقرأ حال الأخذ ، فقد كان الصدر الأوّل لايزيدون على عشر آيات لكائنٍ من كان ، وأمّا مَنْ بعدهم فرأوه بحسب قوّة الآخذ .

قال ابن الجزرىّ : والذى استقرّ عليه العمل الأخذ فى الإفراد بجزء من أجزء مائة وعشرين ، وفى الجمع بجزء من أجزاء مائتين وأربعين ، ولم يحدّ له آخرون حدّا ، وهو اختيار السخاوى .

وقد لخصت هذا النوع ، ورتّبتّ فيه متفرقات كلام أئمة القراءات ، وهو نوع مهمٌ يحتاج إليه القارئ ، كاحتياج المحدّث إلى مثله من علم الحديث .

---

(١) النشر ٢ : ٢٠٤

فائدة

ادّعى ابن خير الإجماعَ على أنه ليس لأحدٍ أن ينقل حديثا عن النبيّ صلى الله عليه وسلم ، مالم يكن له به رواية ، ولو بالإجازة ؛ فهل يكون حكم القرآن كذلك ؛ فليس لأحد أن ينقل آية أو يقرأها مالم يقرأها على شيخ؟ لم أر فى ذلك نَقْلًا ، ولذلك وجهٌ من حيث أنّ الاحتياط فى أداء ألفاظ القرآن أشدّ منه فى ألفاظ الحديث . ولعدم اشتراطه فيه وجه ، من حيث أن اشتراط ذلك فى الحديث ؛ إنما هو لخوف أن يدخل فى الحديث ماليس منه ، أو يُتقوّل على النبي صلى الله عليه وسلم مالم يقله ، والقرآن محفوظ متلقّى متداوَل ميسّر ، وهذا هو الظاهر .

* * *

فائدة ثانية

الإجازة من الشيخ غير شرط فى جواز التصدّى للإقراء والإفادة ، فمن علم من نفسه الأهليَّة جاز له ذلك ، وإن لم يُجِزْه أحد ، وعلى ذلك السلف الأوَّلون والصدْر الصالح ، وكذلك فى كلِّ علم ، وفى الإقراء والإفتاء ؛ خلافا لما يتوهمه الأغبياء من اعتقاد كونها شرطا ؛ وإنما اصطلح الناس على الإجازة ، لأنّ أهلية الشخص لا يعلمها غالباً من يريد الأخذَ عنه من المبتدئين ونحوهم ، لقصور مقامهم عن ذلك ، والبحثُ عن الأهليّة قبل الأخذ شرط ، فُجِعلت الإجازة كالشهادة من الشيخ المُجَاز بالأهليّة .

* * *

فائدة ثالثة

ما اعتاده كثير من مشايخ القرّاء ؛ من امتناعهم من الإجازة إلاّ بأخْذ مالٍ فى مقابلها ، لا يجوز إجماعاً ، بل إن علِم أهليّته وجب عليه الإجازة ، أو عدمها حَرُم عليه ، وليست الإجازة ممّا يقابلُ بالمال ، فلا يجوز أخذه عنها ، ولا الأجرة عليها ؛ وفى فتاوى الصدر موهوب الجزرىّ من أصحابنا ، أنّه سُئِل عن شيخ طَلب من الطالب شيئا على إجازته ،

فهل للطالب رفعه إلى الحاكم وإجباره على الإجازة ؟ فأجاب : لاتجب الإجازة على الشيخ ، ولايجوز أخذُ الأجرة عليها .

وسُئل أيضا عن رجل أجازه الشيخ بالإقراء ، ثم بان أنّه لادين له ، وخاف الشيخ من تفريطه ، فهل له النزول عن الإجازة ؟ فأجاب : لاتبطل الإجازة بكونه غير ديّن . وأما أخذ الأجرة على التعليم فجائز ؛ ففي البخاريّ : «إنّ أحقّ ماأخذتم عليه أجراً كتاب الله» . وقيل : إن تعيّن عليه لم يجز ، واختاره الحليميّ . وقيل : لايجوز مطلقاً ، وعليه أبوحنيفة ، لحديث أبي داود عن عبادة بن الصامت ' أنه علّم رجلا من أهل الصُّفَّة القرآن ، فأهدى له قوساً ، فقال له النبيّ صلى الله عليه وسلم : « إن سرّك أن تطوّق بها طوقاً من نار فاقبلها » .

وأجاب من جوّزه بأنّ في إسناده مقالا ، ولأنه تبرع بتعليمه ، فلم يستحقّ شيئا ، ثم أهدى إليه على سبيل العِوَض ، فلم يجز له الأخذ ، بخلاف من يعقد معه إجازة قبل التعليم .

وفي البستان [1] لأبي الليث : التعليم على ثلاثة أوجه :

أحدها : للحِسْبة ، ولايأخذ به عوَضا .

والثاني : أن يعلّم بالأجرة .

والثالث : أن يعلِّم بغير شرط ، فإذا أهدى إليه قبِل .

فالأوّل مأجور وعليه عمل الأنبياء ، والثاني مختلف فيه ، والأرجح الجواز ، والثالث يجوز إجماعا ؛ لأنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم كان معلّماً للخلق ، وكان يقبل الهديّة .

---

(١) هو كتاب بستان العارفين لأبي الليث نصر بن محمد السمرقندي المتوفى سنه ٣٥٥ ، ذكره صاحب كشف الظنون وقال : « هو كتاب مختصر مفيد على مائة وخمسين بابا في الأحاديث والآثار الواردة في الآداب الشرعية والخصال والأخلاق وبعض الأحكام الفرعية » .

فائدة رابعة

كان ابن بَصْحَان إذا ردَّ على القارئ شيئا فاته فلم يعرفه ، كتبه عليه عنده ، فإذا أكمل الختمة وطلب الإجازة، سأله عن تلك المواضع ، فإن عرفها أجازه ، وإلا تركه يجمع ختمة أخرى .

* * *

فائدة أخرى

على مريد تحقيق القراءات وإحكام تلاوة الحروف ، أن يحفظ كتابا كاملا يستحضر به اختلاف القراءة ، وتمييز الخلاف الواجب من الخلاف الجائز .

* * *

فائدة أخرى

قال ابن الصلاح في فتاويه [1] : قراءة القرآن كرامة أكرم الله بها البشَر ، فقد ورد أنّ الملائكة لم يعطَوْا ذلك ، وأنها حريصة لذلك على استماعه من الإنس .

---

(١) هو أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن بن موسى بن نصر الدمشقي المعروف بابن الصلاح ، المتوفى سنه ٦٤٣، وصاحب المقدمه المعروفة باسمه فى علوم الحديث ، قال ابن خلكان « وكانت فتاويه مسددة ، وهو أحد أشياخي » . وقال صاحب كشف الظنون . « فتاوى ابن الصلاح جمعها بعض طلبته . . . وهي فى مجلد كثير الفوائد . وانظر طبقات الشافعية ٥ : ١٣٧

النوع الخامس والثلاثون
في آداب تلاوته وتاليه

إفرده بالتّصنيف جماعة ، منهم النوويّ في التبيان [١] ، وقد ذكر فيه ، وفي شرح المهذّب، وفي الأذكار ، جملةمن الآداب ، وأنا أُلخصها هنا ، وأزيد عليها أضعافَها ، وأفصِّلها مسألةمسألة ليسهل تناوُلُها.

* * *

مسألة

يستحبّ الإكثار من قراءة القرآن وتلاوته ،قال تعالى مثنيا على من كان ذلك دأبه : ﴿ يتْلُونَ آياتِ اللهِ آناء اللَّيلِ ﴾ [٢] .

وفي الصحيحين من حديث ابن عمر :«لاحسدَ إلاّ في اثنتيْن : رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار... » [٣] .

وروى التِّرمذيّ من حديث ابن مسعود : « مَنْ قرأ حرفا من كتاب الله فله به حسنة ، والحسنة بعشر أمثالها » .

وأخرج من حديث أبي سعيد عن النبيّ صلى الله عليه وسلّم : «يقول الربُّ سبحانه وتعالى : مَنْ شغله القرآن وذكْرى عن مسألتي ، أعطيته أفضل ماأعطِيَ السائلين ، وفضل كلام الله على سائر الـكلاَمِ كفضل الله على خلقه» .

وأخرج مسلم من حديث أبي أمامة: «اقرءوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعا لأصحابه» .

وأخرج البيهقيّ من حديث عائشة : « البيتُ الذي يُقرأ فيه القرآن يتراءى لأهل السماء كما تتراءى النجوم لأهل الأرض » .

---

(١) هو الإمام محيي الدين يحيى بن برى بن برى النووي الشافعي ، أحد علماء الشام وحفاظ الحديث بها ، ولد بنوى من أعمال دمشق سنة ٦٣١ ،وتوفي بها سنة ٦٧٧ . وكتاب التبيان في آداب حملة القرآن ، مرتب على عشرة أبواب ،وكتاب الأذكار منتخب من كلام سيد الأبرار ، والمهذب في فروع فقه الشافعية. وانظر ترجمة في طبقات الشافعية ٥ : ١٦٥

(٢) سورة آل عمران ١١٢

(٣) بقية الحديث كما في لفظ مسلم ٥٢٨ : « ورجل آتاه الله مالا، فهو ينفقه آناء الليل والنهار » .

وأخرج من حديث أنس : « نوّروا منازلكم بالصلاة وقراءة القرآن » .

وأخرج من حديث النعمان بن بشير : « أفضل عبادة أمتى قراءة القرآن » .

وأخرج من حديث سَمُرة بن جُنْدَب : « كلّ مؤدِبٍ يُحبّ أن تؤتَى مأدبته ، ومأدبة الله القرآن ، فلا تهجروه » .

وأخرج من حديث عبيدة المكىّ مرفوعاً وموقوفا : « ياأهل القرآن ، لاتتوسّدوا القرآن واتلُوه حقّ تلاوته آناء الليل والنهار وأفشوه، وتدبّروا مافيه، لعلكم تفلحون » .

وقد كان للسلف فِي قَدْر القراءة عادات ، فأكثر ماورد فى كثرة القراءة : « مَنْ كان يختم فى اليوم والليلة ثمانى ختمات : أربعًا فى الليل، وأربعا فى النهار »، ويليه: «من كان يختم فى اليوم والليلة أربعا » ، ويليه ثلاثا ، ويليه ، ختمين ، ويليه ختمة .

وقد ذمّت عائشة ذلك ، فأخرج ابنُ أبى داود عن مسلم بن مخراق ، قال : قلت لعائشة : إن رجالًا يقرأ أحدهم القرآن فى ليلة مرتين أوثلاثا ، فقالت : قرءوا ولم يقرءوا، كنت أقوم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة التمّام ، فيقرأ بالبقرة وآل عمران والنساء ، فلايمرّ بآية فيهااستبشار إلاّدعا ورَغِب ، ولا بآية فيها تخويف إلاّدعاواستعاذ» .

ويلى ذلك مَنْ كان يختم فى ليلتين ، ويليه من كان يختم فى كلّ ثلاث ، وهوحسن .

وكره جماعات الختم فى أقلّ من ذلك ، لما روى أبو داود والتِّرمذىّ ، وصحّحه من حديث عبد الله بن عمر مرفوعاً : « لايفقه مَنْ قرأ القرآن فى أقلّ من ثلاث » .

وأخرج ابن أبى دواد وسعيد بن منصور عن ابن مسعود موقوفا ، قال : « لاتقرءوا القرآن فى أقلّ من ثلاث » .

وأخرج أبوعبيد عن مُعاذ بن جبل أنه كان يكره أن يُقرأ القرآن فى أقلّ من ثلاث .

وأخرج أحمد وأبو عبيدعن سعيد بن المنذر — وليس له غيره — قال : قلت : يارسول الله ، أقرأ القرآن فى ثلاث ؟ قال : نعم ، إن استطعت .

ويليه: مَنْ ختم فى أربع ، ثم فى خمس ، ثم فى ست، ثم فى سبع،وهذا أوسط الأمور وأحسنها ، وهو فعل الأكثرين من الصحابه وغيرهم .

أخرج الشيخان عن عبدالله بن عمرو ، قال : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : «اقرأ القرآن فى شهر » ، قلت: إنى أجد قوّة ، قال : اقرأه فى عشر ،قلت : إنى أجد قوّة ، قال : اقرأه فى سبع ، ولاتزد على ذلك .

وأخرج أبوعبيدوغيره من طريق واسع بن حبّان،عن قيس بن أبى صعصعة — وليس له غيره — أنه قال : يارسولَ الله ، فى كم أقرأ القرآن ؟ قال : فى خمسة عشر ، قلت : إنِّى أجدنى أقوى من ذلك ، قال : اقرأه فى جمعة .

ويلى ذلك:مَنْ ختم فى ثمان ، ثم فى عشر ،ثم فى شهر ، ثم فى شهرين .

أخرج ابن أبى داود ، عن مكحول ، قال : كان أقوياء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرءون القرآن فى سبع ، وبعضهم فى شهر،وبعضهم فى شهرين ، وبعضهم فى أكثر من ذلك .

وقال أبو الليث فى البستان : ينبغى للقارىء أن يختم فى السنة مرّتين ، إن لم يقدر على الزيادة .

وقد روى الحسن بن زياد عن أبى حنيفة، أنه قال: مَنْ قرأ القرآن فى كلّ سنة مرتين ، فقد أدّى حقّه ؛ لأنّ النبىّ صلى الله عليه وسلم عرض على جبريل فى السّنة التى قبض فيها مرتين .

وقال غيره : يُكره تأخير ختمة أكثر من أربعين يوما بلاعذْر ، نص عليه أحمد ، لأنّ عبد الله بن عمر سأل النبىّ صلى الله عليه وسلم : فى كَم نختم القرآن؟ قال : فى أربعين يوما ، رواه أبو داود .

وقال النووىّ فى الأذكار: المختار أن ذلك يختلف باختلاف الأشخاص،فمن كان يظهر له بدقيق الفكر لطائف ومعارف، فليقتصر على قَدْرٍ يحصل له معه كمال فهم مايقرأ ،وكذلك

مَنْ كان مشغولا بنشر العلم ، أو فصل الحكومات ، أو غير ذلك من مهمّات الدّين والمصالح العامة ، فليقتصر على قدرٍ لا يحصل بسببه إخلال بما هو مرصَد له ، ولا فوات كماله ؛ وإن لم يكن من هؤلاء المذكورين فليستكثِر ما أمكنه ، من غير خروج إلى حدّ الملل أو الهذرمة في القراءة[1] .

* * *

مسألة

نسيانه كبيرة ، صرّح به النوويّ في الروضة وغيرها ، لحديث أبي داود وغيره : «عرِضت عليّ ذنوبُ أمّتي فلم أر ذنباً أعظم من سورة من القرآن أو آية ، أوتيها رجل ثم نسيَها» .

وروى أيضا حديث : «مَنْ قرأ القرآن ثم نسيَه لقى الله يوم القيامة أجذم» .

وفي الصحيحين : «تعاهدوا القرآن ، فو الذى نفس محمد بيده ، لهو أشدّ تفلّتاً من الإبل في عُقُلِها»[2] .

* * *

مسألة

يستحَبّ الوضوء لقراءة القرآن لأنه أفضل الأذكار ، وقد كان صلّى الله عليه وسلم يكره إن يذكر الله إلا على طُهر ، كما ثبت في الحديث .

قال إمام الحرَمين : ولا تكرَه القراءة للمحدِث ، لأنه صحّ أنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم كان يقرأ مع الحدَث . قال في شرح المهذّب : وإذا كان يقرأ فعرضت له ريح أمسك عن القراءة حتى يستقيم خروجها . وأما الجنُب والحائض فتحرُم عليهما القراءة ، نعم يجوز لهما النظر في المصحف وإمراره على القلْب ، وأمّا متنجّس الفم فتكره له القراءة .

وقيل : تحرُم كمسّ المصحف باليد النّجسة .

---

(١) الهذرمة : السرعة في القراءة .

(٢) صحيح مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، ولفظه : « في عقلها » . وتعاهدوا القرآن ، أي جددوا عهداً بملازمة تلاوته .

مسألة

وتسنّ القراءة فى مكان نظيف ، وأفضله المسجد ، وكره قوم القراءة فى الحمّام والطريق؛ قال النووىّ : ومذهبنا لاتكره فيهما . قال : وكرهها الشّعبىّ فى الحشّ [١] ، وبيت الرّحا وهى تدور ، قال : وهو مقتضى مذهبنا

* * *

مسألة

ويستحبّ أن يجلس مستقبِلا متخشّعا بسكينة ووقار ، مطرِقا رأسه .

* * *

مسألة

ويسنّ أن يستاك تعظيما وتطهيرًا ، وقد روى ابن ماجه عن علىّ موقوفا والبزار بسند جيّد عنه مرفوعا : « إنّ أفواهكم طرق للقرآن ، فطيّبوها بالسّواك » .

قلت : ولو قطع القراءة وعاد عن قرب ، فمقتضى استحباب التعوّذ إعادة السواك أيضا .

* * *

مسألة

ويسنّ التعوّذ قبل القراءة ، قال تعالى : ﴿فإذا قرأتَ القرآن فاستعذْ بالله من الشيطان الرجيم﴾ [٢] ، أى أردت قراءته .

وذهب قوم إلى أنّه يتعوذ بعدها لظاهر الآية ، وقوم إلى وجوبها لظاهر الأمر .

قال النووىّ : فلو مرّ على قوم سلّم عليهم وعاد إلى القراءة ، فإن أعاد التعوّذ كان حسنا . قال : وصفته المختارة : « أعوذ بالله من الشيطان الرجيم » ؛ وكان جماعة من السلف يزيدون : « السميع العليم » . انتهى .

وعن حمزة: أستعيذ ونستعيذ واستعذت ، واختاره صاحب الهداية من الحنفيّة لمطابقة لفظ القرآن .

---

(١) الحش : الموضع البعيد عن النظافة .

(٢) سورة النحل ٩٨

وعن حميد بن قيس : « أعوذ بالله القادر ، من الشيطان الغادر » .

وعن أبى السمّال : « أعوذ بالله القوىّ ، من الشيطان الغوىّ » .

وعن قوم : « أعوذ بالله العظيم ، من الشيطان الرجيم » :

وعن آخرين : « أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، إن الله هو السميع العليم » .

وفيها ألفاظ أخَر .

قال الحلوانىّ فى جامعه : ليس للاستعاذة حدّ ينتهى إليه ، من شاء زاد ومن شاء نقص.

وفى النشر لابن الجزرىّ : المختار عند أئمة القراءة الجهر بها ، وقيل : يسرّ مطلقا ، وقيل : فيما عدا الفاتحة . قال : وقد أطلقوا اختيار الجهر . وقيده أبو شامة بقيد لابدّ منه ؛ وهو أن يكون بحضرة من يسمعه . قال : لأن الجهر بالتعوّذ إظهار شعار القراءة كالجهر بالتلبية وتكبيرات العيد . ومن فوائده أنّ السامع ينصت للقراءة من أولها ، لا يفوته منها شىء ، وإذا أخفَى التعوّذ لم يعلم السامع بها إلا بعد أن فاته من المقروء شىء ؛ وهذا المعنى هو الفارق بين القراءة فى الصلاة وخارجها .

قال : واختلف المتأخرون فى المراد بإخفائها ، فالجمهور على أنّ المراد به الإسرار ، فلا بدّ من التلفّظ وإسماع نفسه ، وقيل : الكتمان بأن يذكرها بقلبه بلا تلفّظ .

قال : وإذا قطع القراءة إعراضاً أو بكلام أجنبىّ — ولوردّ السلام — استأنفها أو يتعلّق بالقراءة فلا[1] . قال: وهل هى سنة كفاية أو عين حتى لو قرأ جماعة جملة، فهل يكفى استعاذة واحد منهم كالتسمية على الأكل أولا ؟ لم أر فيه نصًّا ، والظاهر الثانى ، لأن المقصودَ اعتصام القارئ والتجاؤه بالله من شرّ الشيطان ، فلا يكون تعوّذ واحد كافياً عن آخر. انتهى كلام ابن الجزرى[2] .

* * *

مسألة

وليحافَظْ على قراءة البسملة أول كلّ سورة ؛ غير براءة ؛ لأنّ أكثر العلماء على أنها آية

(١) كذا فى الأصل ، وفى النشر : « أو كلام يتعلق بالقراءة لم يعد الاستعاذة » .
(٢) انظر النشر ١ : ٢٥٢ ومابعدها ، نقله بتصرف .

فإذا أخلّ بها كان تاركاً لبعض الختمة عند الأكثرين ، فإن قرأ من أثناء سورة استُحِبّت له أيضاً ، نصّ عليه الشافعىّ فيما نقله العبادىّ ، قال القراء : ويتأكد عند قراءة نحو ﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعةِ﴾ [١] ، و﴿وهو الَّذِي أنشأ جنّاتٍ﴾ [٢] لما فى ذكر ذلك بعد الاستعاذة من البشاعة ، وإيهام رجوع الضمير إلى الشيطان .

قال ابن الجزرىّ : الابتداء بالآى وسط براءة ، قلّ مَنْ تعرّض له ، وقد صرّح بالبسملة فيه أبو الحسن السخاوىّ ، وردّ عليه الجعبرى [٣] .

* * *

مسألة

لا تحتاج قراءة القرآن إلى نيّة كسائر الأذكار، إلا إذا نذرها خارج الصلاة، فلا بدّ من نية النَّذر أو الفرْض؛ ولو عيّن الزمان ، فلو تركها لم تجز . نقله القمولىّ فى الجواهر .

* * *

مسألة

يسنّ الترتيل فى قراءة القرآن ، قال تعالى : ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ .

وروى أبو داود وغيره عن أمّ سلمة، أنّها نعتت قراءة النبىّ صلى الله عليه وسلم: «قراءة مفسّرة ، حرفاً حرفاً » .

وفى البخارىّ عن أنس، أنه سُئل عن قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : كانت مدّاً ، ثم قرأ: بسم الله الرحمن الرحيم ، يمدّ «الله» ، ويمدّ «الرحمن» ، ويمدّ « الرحيم» .

وفى الصحيحين عن ابن مسعود ، أنّ رجلاً قال له : إنى اقرأ المفصّل فى ركعة واحدة، فقال: «هذّاً كهذِّ الشِّعر ، إنّ قوماً يقرءون القرآن لايجاوز تراقيهم ، ولكن إذا وقع فى القلب ، فرسخ فيه نفع » [٤] .

---

(١) سورة فصلت ٤٧

(٢) سورة الأنعام ١٤١

(٣) النشر ١ : ٢٦٦ بتصرف

(٤) صحيح مسلم ٥٦٣

وأخرج الآجُرِّىّ فى حملة القرآن ، عن ابن مسعود قال : « لا تنثروه نثر الدَّقَل [١] ، ولا تهذّوه هذا الشِّعْر ، قفوا عند عجائبه ، وحرّكوا به القلوب، ولا يكون همّ أحدكم آخر السورة » .

وأخرج من حديث ابن عمر مرفوعاً « : يقال لصاحب القرآن : اقرأ وارْقَ فى الدرجات، ورتِّل كما كنت ترتّل فى الدنيا ، فإن منزلتك عند آخر آية كنت تقرؤها » .

قال فى شرح فى المهذب : واتّفقوا على كراهة الإفراط فى الإسراع .

قالوا: وقراءة جزء بترتيل أفضل من قراءة جزئين فى قدر ذلك الزمان بلا ترتيل .

قالوا: واستحباب الترتيل للتدبّر ، ولأنه أقرب إلى الإجلال والتوقير ، وأشدّ تأثيرا فى القلب ، ولهذا يستحبّ للأعجمىّ الذى لا يفهم معناه. انتهى

وفى النّشر : اختلف ؛ هل الأفضل الترتيل وقلة القراءة أو السّرعة مع كثرتها؟ وأحسن بعض أئمتنا ، فقال: إنّ ثواب قراءة الترتيل أجَلّ قدرًا ، وثواب الكثرة أكثر عددًا لأنّ بكل حرف عشر حسنات [٢] .

وفى البرهان للزركشىّ : كمال الترتيل تفخيم ألفاظه والإبانة عن حروفه ، وألاّ يُدْغِم حرف فى حرف . وقيل: هذا أقلّه وأكمله أن يقرأه على منازله ، فإن قرأ تهديدا لفظ به لفظ المتهدّد ، أو تعظيما لفظ به على التعظيم [٣] .

* * *

مسألة

وتسنّ القراءة بالتدبر والتفهّم ، فهو المقصود الأعظم والمطلوب الأهمّ ، وبه تنشرح الصدور ، وتستنير القلوب ، قال تعالى: ﴿ كتابٌ أنزَلْناه إليك مبارك ليدّبّروا آياته ﴾ [٤] ،

---

(١) الدقل : ردىء التمر . وانظر اللسان
(٢) النشر ١ : ٢٠٨
(٣) البرهان ١ : ٤٥٠
(٤) سورة ص ٢٩

وقال ﴿ أفلا يتدبَّرُونَ القرآن ، ﴾ (١) وصفة ذلك أنّ يشغل قلبَه بالتفكّر فى معنى مايلفظ به ، فيعرف معنى كلّ آية ، ويتأملّ الأوامر والنّواهى ، ويعتقد قبول ذلك ؛ فإن كان ممّا قصر عنه فيما مضى اعتذر واستغفر ، وإذا مرّ بآية رحمة استبشر وسأل ، أو عذاب أشفق وتعوّذ ، أوتنزية نزّه وعظّم ، أودعاء تضرّع وطلب .

أخرج مسلم عن حُذيفة ، قال : صلّيتُ مع النّبىّ صلى الله عليه وسلم ذاتَ ليلة ، فافتتح البقرة ، ثم النّساء ، فقرأها ، ثم آل عمران فقرأها ، يقرأ مترسِّلًا ، إذا مرّ بآية فيها تسبيح سبّح ، وإذا مرّ بسؤال سأل ، وإذا مرّ بتعوّذ تعوّذ .

وروى أبو داود والنّسائىّ وغيرهما ، عن عوف بن مالك ، قال : قمت مع النبىّ صلى الله عليه وسلم ليلةً ، فقام فقرأ سورة البقرة ، لايمرّ بآية رحمة إلاّ وقف وسأل ، ولايمرّ بآية عذاب إلاّ وقف وتعوّذ .

وأخرج أبو داود والترّمذىّ حديث : « من قرأ والتّين والزيتون ، فانتهى إلى آخرها ، فليقل : بلى وأنا على ذلك من الشاهدين . ، وَمَنْ قرأ لاأقسم بيوم القيامة ، فانتهى إلى آخرها ﴿ أليس ذلك بقادر على أَنْ يُحيىَ الموتى ﴾ ، فليقل : بلىَ ، ومَنْ قرأ والمرسلات ، فبلغ ﴿ فبأىِّ حديث بعده يؤمنون ﴾ ، فليقل : آمنا بالله » .

وأخرج أحمد وأبو داود عن ابن عباس ، أنّ النبىّ صلى الله عليه وسلم كان إذا قرأ سبّح اسم ربك الأعلى ، قال : سبحان ربّى الأعلى .

وأخرج التِّرمذىّ والحاكم ، عن جابر ، قال : خرجَ رسول الله صلى الله عليه وسلم على أصحابه ، فقرأ عليهم سورة الرحمن من أوّلها إلى آخرها ، فسكتوا ، فقال : لقد قرأتُها على الجنّ ، فكانوا أحسنَ مردودًا منكم ، كنتُ كلّما أتيتُ على قوله : « فبأىّ آلاء ربكما تكذبان » قالوا : ولابشىء مِنْ نعمك ربّنا نكذب : فلك الحمد .

وأخرج ابنُ مردُويه والديلمىّ وابن أبى الدنيا فى الدعاء وغيرهم بسند ضعيف جدًّا ،

---

(١) سورة النساء ٢

عن جابر أن النبيّ صلى الله عليه وسلم قرأ : ﴿ وإذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فإنى قريبٌ ... ﴾[١] الآية ، فقال : اللهمّ أمرتَ بالدعاء ، وتكفّلت بالإجابة ، لبيك اللهم لبيّك ، لبيّك لا شريك لك لبيّك ، إن الحمد والنعمة لك ، والملك لا شريك لك ، أشهد أنّك فرد أحدٌ صَمَدٌ ، لم تلد ولم تولد ولم يكن لك كفؤا أحدٌ ، وأشهد أنَّ وعدك حقّ ، ولقاءك حقّ ، والجنّة حقّ ، والنّار حقّ ، والساعة آتية لاريب فيها ، وأنَّك تبعث من فى القبور .

وأخرج أبو داود وغيرُه عن وائل بن حُجْر ، سمعت النبيّ صلى الله عليه وسلم قرأ : ﴿ ولا الضالين ﴾ ، فقال : «آمين» يمدّ بها صوته .

وأخرجه الطبرانى بلفظ قال : « آمين » ثلاث مرات ، وأخرجه البيهقىّ بلفظ : قال : « ربِّ اغفرلى آمين » .

وأخرج أبو عبيد ، عن أبى ميسرة ، أنّ جبريل لقّنَ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم عند خاتمة البقرة « آمين » .

وأخرج عن مُعاذ بن جبل أنّه كان إذا ختم سورة البقرة قال : آمين .

قال النووىّ : ومن الآداب إذا قرأ نحو ﴿ وقالت اليهود عزيزٌ ابن الله ﴾[٢] ، ﴿ وقالت اليهود يد الله مغلولة ﴾[٣] ، أن يخفض بها صوته . كذا كان النّخعِىّ يفعل .

* * *

مسألة

لا بأس بتكرير الآية وترديدها ، روى النسائىّ وغيره عن أبى ذرّ ، أنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم قام بآية يردّدها حتى أصبح : ﴿ إنْ تعذّبْهُمْ فإنَّهُمْ عبادك .. ﴾[٤] الآية .

* * *

مسألة

يستحبّ البكاء عند قراءة القرآن والتّباكى لمن لا يقدر عليه ، والحزن والخشوع قال تعالى : ﴿ وَيَخِرّون لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ ﴾[٥] .

---

(١) سورة البقرة ١٨٦ (٢) سورة التوبة ٣٠ (٣) سورة المائده ٦٤
(٤) سورة المائدة ١١٨ (٥) سورة الإسراء ١٠٩

وفى الصحيحين حديث قراءة ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم ،وفيه « فإذا عيناه تذرِفان » .

وفى الشّعب للبيهقىّ عن سعد بن مالك مرفوعا : « إنّ هذا القرآن نزل بحُزْن وكآبة فإذا قرأتموه فابكوا ، فإنْ لم تبكوا فتباكوْا » .

وفيه من مرسل عبد الملك بن عمير ، أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال : « إنىّ قارئٌ عليكم سورَة ، فمن بكى فله الجنّة ، فإن لم تبكوا فتباكوْا » .

وفى مسنَد أبى يعلَى حديث : « اقرءوا القرآن بالحُزْن فإنه نزل بالحزن » .

وعند الطبرانىّ : « أحسن الناس قراءة من إذا قرأ القرآن يتحزّن به » .

قال فى شرح المهذب : وطريقه فى تحصيل البكاء أن يتأمّل مايقرأ من التهديد والوعيد الشديد ، والمواثيق والعهود ، ثم يفكّر فى تقصيره فيها ، فإن لم يحضره عند ذلك حزن وبكاء فليبْكِ على فقد ذلك ، فإنه من المصائب .

* * *

مسألة

يسنّ تحسين الصوت بالقراءة وتزيينها لحديث ابن حبّان وغيره : « زيّنوا القرآن بأصواتكم » . وفى لفظ عند الدارمىّ : «حسّنوا القرآن بأصواتكم ، فإنّ الصوت الحسن يزيد القرآن حسنا » .

وأخرج البزّار وغيره حديث : « حُسْنُ الصوت زينة القرآن » .

وفيه أحاديث صحيحة كثيرة ، فإن لم يكن حسَن الصوت حسّنَه مااستطاع ، بحيث لايخرج إلى حدّ التمطيط .

وأما القراءة بالألحان ،فنصّ الشافعىّ فى المختصر أنّه لابأس بها . وعن رواية الربيع الجيزىّ أنها مكروهة .

قال الرافعىّ : قال الجمهور ليست على قولين ، بل المكروه أن يُفْرِط فى المدّ ،وفى إشباع الحركات ، حتى يتولّد من الفتحة ألف ، ومن الضمة واو ، ومن الكسرة ياء ، أو يدغم فى غير موضع الإدغام ، فإن لم ينتهِ إلى هذا الحدّ فلا كراهة .

قال فى زوائد الروضة : والصحيح أنّ الإفراط على الوجه المذكور حرام يفسُق به القارئ ويأثم المستمع ؛ لأنه عدل به عن نهجه القويم . قال : وهذا مراد الشافعىّ بالكراهة .

قلت : وفيه حديث : «اقرءوا القرآن بلحون العرب وأصواتها ، وإياكم ولحون أهل الكتابَيْنِ وأهل الفسق ، فإنه سيجىء أقوام يرجِّعون بالقرآن ترجيع الغناء والرهبانية ، لايجاوز حناجرهم ، مفتونة قلوبهم وقلوب من يعجبهم شأنهم » . أخرجه الطبرانىّ والبيهقىّ .

قال النووى : ويستحب طلب القراءة من حسَن الصوت والإصغاء إليها ، للحديث الصحيح ، ولا بأس باجتماع الجماعة فى القراءة ولا بإدارتها ، وهى أن يقرأ بعض الجماعة قطعة ثم البعض قطعة بعدها .

* * *

مسألة

يستحبّ قراءته بالتفخيم لحديث الحاكم : « نزل القرآن بالتفخيم » ، قال الحليمىّ : ومعناه أنه يقرؤه على قراءة الرجال ، ولا يخضِّع الصوت فيه ككلام النساء . قال : ولا يدخل فى هذا كراهة الإمالة التى هى اختيار بعض القراء . وقد يجوز أن يكون القرآن نزل بالتفخيم فرُخِّص مع ذلك فى إمالة مايحسن إمالته .

* * *

مسألة

وردت أحاديث تقتضى استحباب رفع الصوت بالقراءة ، وأحاديث تقتضى الإسرار

وخفض الصوت ، فمن الأوّل حديث الصحيحين : «ماأذِن الله لشىء ماأذِن لنبىٍّ حسن الصوت ، يتغنّى بالقرآن، يجهر به » .

ومن الثانى حديث أبى داود والترمذى والنسائىّ : «الجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة، والمسرّ بالقرآن كالمسرِّ بالصدقة ».

قال النووىّ : والجمع بينهما أنّ الإخفاء أفضل ، حيث خاف الرؤيا، أوتأذّى مصلّون أونيام بجهره ، والجهرأفضل فى غير ذلك ، لأنّ العمل فيه أكثر ، ولأنّ فائدته تتعدّى إلى السامعين ، ولأنّه يوقظ قلبَ القارئ ، ويجمع همّه إلى الفكر ، ويصرف سمعه إليه ، ويطرد النوم ويزيد فى النّشاط . ويدلّ لهذا الجمع حديث أبى داود بسندٍ صحيح ، عن أبى سعيد : اعتكف رسولُ اللهِ صلّى الله عليه وسلم فى المسجد ، فسمعهم يجهرون بالقراءة،فكشف السِّتر ، وقال: «ألاإنّ كُلَّكُمْ مناجٍ لربّه ، فلا يؤذينّ بعضُكم بعضاً، ولا يرفع بعضكم على بعضكم فى القراءة » .

وقال بعضهم : يستحبّ الجهر ببعض القراءة والإسرار ببعضها ، لأن المسرّ قد يملّ فيأنس بالجهر ، والجاهر قد يكلّ فيستريح بالإسرار » .

* * *

مسألة

القراءة فى المصحف أفضل من القراءة من حفظه ، لأنّ النّظر فيه عبادة مطلوبة ، قال النووىّ : هكذا قاله أصحابُنا والسلفأيضا ، ولم أرَ فيه خلافاً . قال : ولو قيل إنه يختلف باختلاف الأشخاص فيُختار القراءة فيه لمن استوى خشوعه وتدبره فى حالتِى القراءة فيه ومن الحفظ ، ويُختار القراءة من الحفظ لمن يكمل بذلك خشوعُه ويزيد على خشوعه وتدبّره لو قرأ من المصحف ، لكان هذا قولًا حسنا .

قلت : ومن أدِلّة القراءة فى المصحف ماأخرجه الطَّبرانىّ والبَيْهقىّ فى الشُّعب من حديث أوس الثقفىّ مرفوعا : « قراءة الرجل فى غير المصحف ألف درجة ، وقراءته فى المصحف تضاعف ألفى درجة » .

وأخرج أبو عُبيد بسند ضعيف : « فضل قراءة القرآن نظرًا ، على مَن يقرؤه ظاهرا كفضل الفريضة على النافلة ».

وأخرج البيهقيّ عن ابن مسعود مرفوعا : « منْ سرّه أن يحبّ الله ورسوله ؛ فليقرأ في المصحف » ، وقال : إنّه منكر .

وأخرج بسندٍ حسن موقوفا : « أديموا النّظر في المصحف » .

وحكى الزركشي في البُرْهان مابحثه النووي قولاً ، وحكى معهُ قولا ثالثا : إن القراءة من الحفظ أفضل مطلقا ، وإن ابنَ عبد السلام اختاره ، لأن فيه من التدبّر مالا يحصل بالقراءة في المصحف [1] .

* * *

مسألة

قال في التبيان [2] : إذا أُرْتِج على القارئ فلم يدرِ مابعد الموضع الذى انتهى إليه ، فسأل عنه غيره ، فينبغي أن يتأدّب بما جاء عن ابن مسعود والنّخعِيّ وبشير بن أبي مسعود ، قالوا : إذا سأل أحدكم أخاه عن آية ، فليقرأ ما قبلها ثم يسكت ، ولا يقول كيف كذا وكذا ، فإنه يلتبس عليه . انتهى .

وقال ابنُ مجاهد : إذا شك القارئ في حرف : هل بالتاء أو بالياء ؟ فليقرأه بالياء فإن القرآن مذكّر ، وإن شك في حرف : هل هو مهموز أوْ غير مهموز ؟ فليترك الهمز ، وإن شكّ في حرف : هل يكون موصولا أو مقطوعا ؟ فليقرأ بالوصل ، وإن شكّ في حرف : هل هو ممدود أو مقصور ؟ فليقرأ بالقصر ، وإن شكّ في حرف : هل هو مفتوح أو مكسور ؟ فليقرأ بالفتح ، لأنّ الأوّل غير لحن في موضع ، والثاني لحن في بعض المواضع .

---

(١) البرهان ١ : ٤٦٣ ، وهو الإمام أبو محمد عز الدين بن عبد السلام الشافعي شيخ الإسلام ، المتوفى سنة ٦٦٠ .
(٢) كتاب التبيان في آداب حملة القرآن ، للامام محي الدين يحي بن شرف النووي الشافعي ، المتوفى سنة ٦٧٦ ، ذكره في كشف الظنون ٣٤٠ .

قلت : أخرج عبدُ الرزاق عن ابن مسعود ، قال : إذا اختلفتم في ياء وتاء، فاجعلوها ياء، ذكِّروا القرآن. ففهم منه ثعلب أن ما احتمل تذكيرُه وتأنيثه كان تذكيره أجود. ورُدّ بأنه يمتنع إرادة تذكير غير الحقيقي التأنيث لكثرة ما في القرآن منه بالتأنيث نحو ﴿النارُ وعدها الله﴾ (١)، ﴿التفَّتِ الساق بالساق﴾ (٢)، ﴿قالت لهم رسلهم﴾ (٣)، وإذا امتنع ارادة غير الحقيقي فالحقيقي أولى، قالوا : ولا يستقيم إرادة أن ما احتمل التذكير والتأنيث غلب فيه التذكير ، كقوله تعالى: ﴿والنَّخلَ باسقاتٍ﴾ (٤)، ﴿أعْجَازُ نخل خاويةٍ﴾ (٥)، فأنّث مع جواز التذكير، قال تعالى : ﴿أعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ﴾ (٦)، ﴿من الشَّجَرِ الأخضر﴾ (٧).

قالوا: فليس المراد إنما فهم بـ«ذكّروا» الموعظة والدعاء كما قال تعالى: ﴿فذكِّرْ بالقرآن﴾ (٨) إلا أنه حذف الجار ، والمقصود : ذكِّروا الناس بالقرآن ، أي ابعثوهم على حفظه كيلا ينسوه .

قلت : أوّل الأثر يأبى هذا الحمل .

وقال الواحديّ : الأمر ما ذهب إليه ثعلب، والمراد أنه إذا احتمل اللفظ التذكير والتأنيث ولم يحتجْ في التذكير إلى مخالفة المصحف ذكّر ، نحو ﴿ولا يقبل منها شَفَاعَةٌ﴾ (٩) قال: ويدلّ على إرادة هذا أن أصحاب عبد الله من قراء الكوفة كحمزة والكسائيّ ، ذهبوا إلى هذا فقرءوا ما كان من هذا القبيل، بالتذكير نحو ﴿يَوْمَ تَشْهَد عليهم ألسنتهم﴾ (١٠) وهذا في غير الحقيقيّ .

* * *

مسألة

يكره قطع القراءة لمكالمة أحد ، قال : الحليميّ : لأن كلام الله لا ينبغي أن يُؤْثر عليه كلام غيره .

---

(١) سورة الحج ٧٢
(٢) سورة القيامة ٢٩
(٣) سورة إبراهيم ١١
(٤) سورة ق ١٠
(٥) سورة الحاقة ٧
(٦) سورة القمر ٢٠
(٧) سورة يس ٨٠
(٨) سورة ق ٤٥
(٩) سورة البقرة ٤٨
(١٠) سورة النور ٢٤

وأبدّه البيهقيّ بما فى الصحيح : كان ابن عمر إذا قرأ القرآن لم يتكلّم حتى يفرغ منه .

ويكره أيضا الضحك والعبث والنظر إلى مايلهى

* * *

مسألة

ولا يجوز قراءة القرآن بالعجميّة مطلقاً، سواء أحسن العربية أم لا ، فى الصلاة أم خارجها. وعن أبى حنيفة أنّه يجوز مطلقا، وعن أبى يوسف ومحمد لِمَنْ لا يحسن العربية ، لكن فى شارح البزدوي أنّ أبا حنيفه رجع عن ذلك ، ووجه المنع أنه يُذهِبُ إعجازه المقصودَ منه .

وعن القفّال[1] من أصحابنا: إنّ القراءة بالفارسية لا تتصوّر ، قيل له : فإذَنْ لا يقدر أحد أن يفسر القرآن ، قال: ليس كذلك،لأن هناك يجوز أن يأتىَ ببعض مراد الله ويعجز عن البعض ، أما إذا أراد أن يقرأه بالفارسية فلا يمكن أن يأتى بجميع مراد الله تعالى ، لأنّ الترجمة إبدال لفظة بلفظة تقوم مقامها ، وذلك غير ممكن ، بخلاف التفسير .

* * *

مسألة

لاتجوز القراءة بالشّاذ : نقل ابنُ عبدالبر الإجماع على ذلك ، لكن ذكر موهوب الجزريّ جوازها فى غير الصلاة ، قياساً على رواية الحديث بالمعنى .

* * *

مسألة

الأولى أن يقرأ على ترتيب المصحف ، قال فى شرح المهذبُ : لأنّ ترتيبه لحكمة ، فلا يتركها إلا فيما ورد فيه الشرع ، كصلاة صبح يوم الجمعة بألم تنزيل وهل أتى ونظائره ، فلو فرق السُّور أو عكسها جاز وترك الأفضل. قال : وأمّا قراءة السورة من

---

(١) هو أبو بكر محمد بن إسماعيل الفقيه الشافعى الناشى المعروف بالقفال الكبير ، صاحب المصنفات فى الفقه والأصول والتفسير والحديث والكلام ، توفى سنة ٣١٥ .شذرات الذهب ٣ : ٥٢

آخرها إلى أوّلها فمتفق على منعه ،لأنه يذهب بعض نوع الإعجاز ، ويزيل حكمة الترتيب.

قلت : وفيه أثر ، أخرج الطبرانى بسندٍ جيّد ، عن ابن مسعود ، أنه سئل عن رجل يقرأ القرآن منكوساً ، قال : ذاك منكوس القلْب .

* * *

وأما خلط سورة بسورة ، فعدّ الحليمىّ تركه من الآداب ، لما أخرجه أبو عبيد عن سعيد بن المسيَّب ؛ أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم مرّ ببلال وهو يقرأ مِنْ هذه السورة ومن هذه السورة ، فقال : يابلال ، مررت بكَ وأنت تقرأ من هذه السورة ومن هذه السورة،قال : الطيّب بالطيّب ،فقال :«اقرأ السورة على وجهها – أو قال – على نحوها» . مرسل صحيح ، وهو عند أبى داود موصول عن أبى هريرة بدون آخره .

وأخرجه أبو عبيد من وجه آخر ،عن عمر مولى غُفْرة،أنّ النبى صلى الله عليه وسلم قال لبلال : « إذا قرأتَ السورة فانفُذها» .

وقال : حدثنا معاذ عن ابن عون ، قال :سألت ابن سيرين عن الرّجل يقرأ من السورة آيتين ثم يدعها، ويأخذ فى غيرها ، وقال : ليتّق أحدُكم أنْ يأثم إثما كبيرا وهو لايشعر.

وأخرج عن ابن مسعود ، قال : إذا ابتدأت فى سورة ، فأردت تتحوّل منها إلى غيرها فتحوّل إلى « قل هو الله أحد » ، فإذا ابتدأت فيها فلا تتحوّل منها حتى تختمها.

وأخرج عن ابن أبى الهذيل. قال : كانوا يكرهون أن يقرءوا بعض الآية ويدَعوا بعضها .

قال أبو عبيد : الأمر عندنا على كراهة قراءة الآيات المختلفة ، كما أنكر رسول الله صلى الله عليه وسلم على بلال ، وكما كرهه ابن سيرين .

وأما حديث عبد الله ،فوجهه عندى أنْ يبتدئ الرجل فى السورة يريد إتمامَها ، ثم يبدو له فى أخرى ؛ فأما من ابتدأ القراءة وهو يريد التنقّل من آية إلى آية ، وترك

التأليف لآى القرآن ، فإنما يفعله من لاعلم له ، لأن الله لوشاء لأنزله على ذلك . انتهى .

وقد نقل القاضى أبو بكر الإجماع على عدم جواز قراءة آية آية من كل سورة .

قال البيهقى : وأحسن مايحتجّ به أن يقال : إن هذا التأليف لكتاب الله مأخوذ من جهة النبىّ صلى الله عليه وسلم ، وأخذه عن جبريل ، فالأولَى للقارئ أنْ يقرأه على التأليف المنقول ، وقدقال ابن سيرين : تأليف الله خير من تأليفكم .

* * *

مسألة

قال الحليمى : يسن استيفاء كلّ حرف أثبته قارئ ليكون قد أتى على جميع ماهو قرآن . وقال ابن الصلاح والنووىّ ، إذا ابتدأ بقراءة أحد من القرّاء فينبغى ألاّ يُزال على تلك القراءة مادام الكلام مرتبطاً ، فإذا انقضى ارتباطه ، فله ان يقرأ بقراءة أخرى . والأولى دوامُه على الأولى فى هذا المجلس .

وقال غيرهما بالمنع مطلقا .

قال ابن الجزرىّ : والصواب أن يقالَ : إن كانت إحدى القراءتين مرتبةً على الأخرى مُنِع ذلك مَنْعَ تحريم ، كمن يقرأ: ﴿ فتلقّى آدم من ربه كلمات ﴾ برفعهما أو نصبهما ، أخذ رفع « آدم » من قراءة غير ابن كثير ورفع « كلماتٍ » من قراءته، ونحو ذلك مما لايجوز فى العربية واللغة ، ومالم يكن كذلك فرّق فيه بين مقام الرّواية وغيرها ، فإن كان على سبيل الرّواية حرُم أيضا ، لأنه كذبٌ فى الرواية وتخليط ، وإن كان على سبيل التلاوة جاز .

* * *

مسألة

يسنّ الاستماع لقراءة القرآن وترك اللغط والحديث بحضور القراءة ، قال تعالى :

﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [1] .

* * *

مسالة

يسنّ السجود عند قراءة آية السجدة ، وهى أربع عشرة: فى الأعراف والرعد ، والنحل، والإسراء، ومريم، وفى الحجّ سجدتان، والفرقان ، والنّمل، وآلم تنزيل ، وفُصّلت ، والنجم ، وإذا السماء انشقت ، واقرأ باسم ربّك ؛ وأما ص فمستحبَّة . وليست من عزائم السجود ؛ أى متأكداته . وزاد بعضهم آخرَ الحِجر . نقله ابن الفرس فى أحكامه .

* * *

مسألة

قال النووىّ : الأوقات المختارة للقراءة ، أفضلُها ما كان فى الصّلاة ثم الليل ، ثم نصفه الأخير ، وهى بين المغرب والعشاء محبوبة . وأفضلُ النّهار بعد الصبح . ولا تُكره فى شىء من الأوقات لمعنًى فيه ، وأما ما رواه ابن أبى داود عن مُعاذ بن رفاعة ، عن مشايخه أنهم كرهوا القراءة بعد العصر — وقالوا: هو دراسة يهود — فغير مقبول ، ولا أصل له .

ويُختار من الأيام يوم عرفة ثم الجمعة ، ثم الاثنين ، والخميس . ومن الأعشار العشر الأخير من رمضان والأوّل من ذى الحجة ، ومن الشهور رمضان .

ويُختار لابتدائه ليلة الجمعة ، ولختمه ليلة الخميس ، فقدْ روى ابنُ أبى داود ، عن عثمان بن عفان ، أنّه كان يفعل ذلك .

والأفضل الختم أوّل النهار أو أوّل الليل ؛ لما رواه الدارمىّ بسند حسن عن سعد بن أبى وقاص ، قال : إذا وافق ختم القرآن أوّل الليل صلّت عليه الملائكة حتى يصبح ، وإن وافق ختمه أوّل النهار صلّتْ عليه الملائكة حتى يُمسى. قال فى الإحياء : ويكون الختم أول النهار فى ركعتى الفجر ، وأوّل الليل فى ركعتى سنة المغرب .

---

(1) سورة الأعراف ٢٠٤

مسألة

وعن ابن المبارك ، يستحبّ الختم فى الشتاء أول الليل ، وفى الصيف أول النّهار .

مسألة

يسنّ صوم يوم الختم ، أخرجه ابن أبى داود عن جماعة من التابعين ، وأن يحضر أهله وأصدقاؤه. أخرج الطّبرانىّ ، عن أنس ، أنه كان إذا ختم القرآن جمع أهله ودعا .

وأخرج ابنُ أبى داود عن الحكم بن عتيبة ، قال : أرسل إلىّ مجاهد وعنده ابن أبى أمامة ، وقالا : إنا أرسلنا إليك لأنا أردنا أن نختم القرآن ، والدعاء يُستجاب عند ختم القرآن .

وأخرج عن مجاهد ، قال : كانوا يجتمعون عند ختم القرآن ويقول: عنده تنزل الرحمة .

* * *

مسألة

يستحبّ التكبير من الضحى إلى آخر القرآن ، وهى قراءة المكّيّين . أخرج البيهقىّ فى الشّعب وابنُ خزيمة من طريق ابن أبىَ بزّةَ ، سمعت عِكرمة بن سليمان قال : قرأتُ على إسماعيل بن عبد الله المكىّ ، فلما بلغتُ الضحى ، قال: كبِّر حتى تختم ، فإنّى قرأت على عبدالله بن كثير ، فأمرنى بذلك وقال : قرأت على مجاهد فأمرنى بذلك.

وأخبر مجاهد : أنّه قرأ على ابن عباس ، فأمره بذلك .

وأخبر ابن عباس أنه قرأ على أبىّ بن كعب ، فأمره بذلك . كذا أخرجناه موقوفا.

ثم أخرجه البيهقىّ من وجه آخر عن ابن بزّة مرفوعا .

وأخرجه من هذا الوجه ـ أعنى المرفوع ـ الحاكمُ فى مستدركه ، وصحّحه ، وله طرق كثيرة عن البزّىّ .

وعن موسى بن هارون قال : قال لى البزّىّ : قال لى محمد بن إدريس الشافعى : إن تركت التكبير فقدتَ سنة من سنن نبيّكَ ، قال الحافظ عماد الدين بن كثير : وهذا يقتضى تصحيحه للحديث .

وروى أبو العلاء الهمْدانىّ، عن البزّى أنّ الأصل فى ذلك أنّ النبى صلى الله عليه وسلم انقطع عنه الوحى ، فقال المشركون: قَلا محمّداً ربُّه ، فنزلت سورة الضحى ، فكبّر النبيّ صلى الله عليه وسلم. قال ابنُ كثير: ولم يروَ ذلك بإسناد يحكم عليه بصحة ولاضعف.

وقال الحليمىّ : نكتة التكبير التشبيه للقراءة بصوم رمضان إذا أكمل عدته يكبّر ، فكذا هنا يكبّر إذا أكمل عدة السورة. قال : وصفته أنْ يَقِف بعد كلّ سورة وقفة ، ويقول : الله أكبر .

وكذا قال سُلَيم الرازىّ من أصحابنا فى تفسيره: يُكبّر بين كلّ سورتين تكبيرة، ولايصل آخر السورة بالتكبير ، بل يفصل بينهما بسكتة . قال : ومَنْ لايكبّر من القراء ، حجّتهم أن فى ذلك ذريعة إلى الزيادة فى القرآن بأن يداوم عليه فتُوهِّمَ أنه منه .

وفى النشر: اختلف القراء فى ابتدائه ، هل هو من أوّل الضحى أومن آخرها؟ وفى انتهائه: هل هوأوّل سورة الناس أوآخرها ؟ وفى وصله بأوّلها أوآخرها وقطعه ، والخلاف فى الكلّ مبنىٌّ على أصل، وهو أنه : هل هو لأوّل السورة أولآخرها ، وفى لفظه فقيل: الله أكبر ، وقيل: لا إله إلاالله والله أكبر ؛ وسواء فى التكبير فى الصلاة وخارجها ـ صرح به السّخاوىّ وأبو شامة .

* * *

مسألة

يسنّ الدعاء عقب الختم ، لحديث الطّبرانى وغيره عن العِرْباض بن سارية مرفوعا : « مَنْ ختم القرآن فله دعوة مستجابة » .

وفى الشُّعب من حديث أنس مرفوعا: « مَنْ قرأ القرآن وحمد الرّب ، وصلّى على النبيّ صلى الله عليه وسلم واستغفر ربَّه ، فقد طلب الخير مكانه » .

مسألة

يسنّ إذا فرغ من الختمة أن يشرع فى أخرى عقب الختم ، لحديث الترمذىّ وغيره: «أحبُّ الأعمال إلى الله الحالّ المرتحل ،الّذى يضرب من أوّل القرآن إلى آخره» كلّما حلّ ارتحل » .

وأخرج الدارمىّ بسند حسن ، عن ابن عباس ، عن أبىّ بن كعب ، أنّ النبىّ صلّى الله عليه وسلم كان إذاقرأ : «قل أعوذ برب الناس» افتتح من الحمد ، ثم قرأ من البقرة إلى : «أولئك هم المفلحون» ، ثم دعا بدعاءالختمة ، ثم قام .

* * *

مسألة

عن الإمامأحمد ، أنه منعمن تكرير سورة الإخلاص عندالختم ،لكن عمل الناس على خلافه . قال بعضهم : والحكمة فيه ماورد أنها تعدِل ثلث القرآن ، فيحصل بذلك ختمة .

فإن قيل : فكان ينبغى انتقرأ أربعا ليحصل له ختمتان !

قلنا : المقصود أن يكون على يقين من حصول ختمة ، إمّا التى قرأها،وإمّا التى حصل ثوابها بتكرير السورة . انتهى .

قلت : وحاصل ذلك يرجع إلى جبر ّمالعله حصل فى القراءة من خلل ، وكما قاس الحليمىّ التكبيرَ عند الختم عَلى التكبير عند إكمال رمضان ، فينبغى أن يقاس تكرير سورة الإخلاص على إتباع رمضان بستٍّ من شوّال .

* * *

مسألة

يكرَه اتّخاذ القرآن معيشة يتكسّب بها . وأخرج الآجرىّ من حديث عمران بن الحصين مرفوعا : « مَنْ قرأ القرآن ، فليسأل الله به ، فإنّه سيأتى قوم يقرءون القرآن يسألون الناس به » .

وروى البخارىّ فى تاريخه الكبير بسند صالح حديث : « من قرأ القرآن عند ظالم ليرفع منه ، لُعِنَ بكل حرف عشر لعنات » .

* * *

مسألة

يكره أن يقول : نسيت آية كذا ، بل أنسيتها ، لحديث الصحيحين فى النهى عن ذلك .

* * *

مسألة

الأئمة الثلاثة على وصول ثواب القراءة للميّت ، ومذهبنا خلافه ، لقوله تعالى: ﴿ وأَنْ لَيْسَ لِلإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ﴾ (١) .

* * *

فصل فى الاقتباس وماجرى مجراه

الاقتباس تضمين الشعر أو النثر بعض القرآن ، لاعلى أنه منه ، بألاّ يقال فيه قال الله تعالى ونحوه ، فإن ذلك حينئذ لايكون اقتباسا . وقد اشتهر عن المالكيّة تحريمه وتشديد النكير على فاعله ، وأما أهل مذهبنا فلم يتعرّض له المتقدمون ولاأكثر المتأخرين ، مع شيوع الاقتباس فى أعصارهم واستعمال الشعراء له قديما وحديثا . وقد تعرّض له جماعة من المتأخّرين ، فسئل عنه الشيخ عز الدين عبد السلام ، فأجازه ، واستدلّ له بما ورد عنه صلى الله عليه وسلم من قوله فى الصلاة وغيرها: « وجّهت وجهى: » إلى آخره وقوله. « اللهم فالق الإصباح وجاعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا ، اقض عنى الدّين واغننى من الفقر » .

وفى سياق كلام لأبى بكر : ﴿ وسيعلم الذين ظلموا أىّ منقلب ينقلبون ﴾ .

---

(١) سورة النجم ٣٩

وفى آخر حديث لابن عمر : قد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة » . انتهى .

وهذا كله إنما يدل على جوازه فى مقام الموعظ والثناء والدعاء ، وفى النثر لادلالة فيه على جوازه فى الشعر ، وبينهما فرق ، فإن القاضى أبابكر من المالكية صرح بأن تضمينه فى الشعر مكروه وفى النثر جائز .

واستعمله أيضا فى النثر القاضى عياض فى مواضع من خطبة الشفا .

وقال الشرف إسماعيل بن المقرى اليمنى صاحب مختصر الروضة فى شرح بديعيته : ما كان منه فى الخطب والمواعظ ومدحه صلى الله عليه وسلم وآله وصحبه ولوفى النظم فهو مقبول ؟ وغيره مردود .

وفى شرح بديعية ابن حجة : الاقتباس ثلاثة أقسام : مقبول ، ومباح ، ومردود

فالأول : ما كان فى الخطب والمواعظ والعهود .

والثانى : ما كان فى القول والرسائل والقصص .

والثالث : على ضربين : أحدهما ما نسبه الله إلى نفسه ــ ونعوذ بالله ممن ينقله إلى نفسه ، كما قيل عن أحد بنى مروان أنه وقع على مطالعة فيها شكاية عماله : « إن الينا إيابهم ، ثم إن علينا حسابهم » ــ والآخر تضمين آية فى معنى هزل ، ونعوذ بالله من ذلك ، كقوله

أوحى إلى عشاقه طرفه « هيهات هيهات لما توعدون »
وردفه ينطق من خلفه « لمثل ذا فليعمل العاملون »

قلت : وهذا التقسيم حسن جدا ، وبه أقول .

وذكر الشيخ تاج الدين بن السبكى فى طبقاته فى ترجمة الإمام أبى منصور عبد القاهر بن الطاهر التميمى البغدادى من كبار الشافعية وأجلائهم أن من شعره قوله

يامن عدى ثم اعتدى ثم اقترف ثم انتهى ثم ارعوى ثم اعترف
أبشر بقول الله فى آياته : إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف

وقال : استعمال مثل الأستاذ أبى منصور مثل هذا الاقتباس فى شعره له فائدة ، فإنه جليل القدر ، والناس ينهوْن عن هذا ، وربما أدّى بحث بعضهم إلى أنه يجوز .

وقيل إنّ ذلكِ إنّمَا يفعله من الشعراء الّذين هم فى كلّ وادٍ يهيمون ، ويثبُون على الألفاظِ وثبة مَنْ لا يبالى ، وهذا الأستاذ أبو منصور من أئمة الدّين ، وقد فعل هذا وأسند عنه هذين البيتين الأستاذ أبو القاسم بن عساكر .

قلت : ليس هذان البيْتان من الاقتباس لتصريحه بقول الله ، وقد قدّمنا أن ذلك خارج عنه .

وأما أخوه الشيخ بهاء الدين ، فقال فى عروس الأفراح : الورع اجتناب ذلك كلّه ، وأن ينزّه عن مثله كلام الله ورسوله .

قلت : رأيت استعمال الاقتباس لأئمة أجلاء ، منهم الإمام أبو القاسم الرافعى ، قال : وأنشده فى أماليه ، ورواه عنه أئمة كبار :

الملكُ لله الّذِى عَنتِ الوجو ه له وذلّتْ عنده الأربابُ
متفرّدٌ بالملك والسلطان قدْ خَسِر الذينَ تجاذبوه وخابُوا
دعْهم وزعم الملك يوم غرورِهم فسيعلمون غدًا مَن الكذابُ!

وروى البيهقىّ فى شُعب الإيمان ، عن شيخه أبى عبد الرحمن السُلَمِىّ ، قال : أنشدنا أحمد بن محمد بن يزيد لنفسه :

سلِ اللهَ مِنْ فضلِه واتّقهْ فإنّ التقى خير ماتكتسِبْ
ومَنْ يتّق الله يصنع لَهُ ويرزقه من حيث لايحتسِبْ

ويقربُ من الاقتباس شيئان :

أحدهما : قراءة القرآن يراد بها الكلام . قال النووىّ فى التبيان : ذكر ابن أبى داود فى هذا اختلافا ، فروى عن النَّخَعِىّ ، أنه كان يكره أن يتأوّل القرآن لشىء يعرض من أمر الدنيا .

وأخرج عن عمر بن الخطاب ، أنه قرأ فى صلاة المغرب بمكة : ﴿ والتّين والزيتون وطور سينين ﴾ ، ثم رفع صوته ، فقال: ﴿وهَذَ البَلدِ الأمين ﴾ . وأخرج عن حُكَيْم ابن سعيد أن رجلا من المحكّمة أتى عليًا وهو فى صلاة الصبح ، فقال : ﴿ لئن أشركت لَيحبَطنّ عَمَلُكَ ﴾ [1] ، فأجابه فى الصلاة : ﴿فاصبِر إنَّ وعد الله حقّ ولا يستخفّنك الذين لا يوقنون ﴾ [2] . انتهى . وقال غيره : يكره ضرب الأمثال من القرآن ، صرح به من أصحابنا العماد البيهقى تلميذ البغوىّ ، كما نقله الصلاح فى فوائد رحلته .

الثانى : التوجيه بالألفاظ القرآنية فى الشعر وغيره ، وهو جائزٌ بلاشك ، وروينا عن الشريف تقىّ الدين الحسّينى أنه لمّا نظم قوله :

مجازٌ حقيقتُها فاعبرُوا ولا تَعمُروا هوّنوها تَهنْ
وماحُسْنُ بيتٍ لَهُ زخرفٌ تراهُ إذا زلزلت لم يكنْ !

خَشىَ أن يكون ارتكب حراماً لاستعماله هذه الألفاظَ القرآنيَّة فى الشّعر ، فجاء إلى شيخ الإسلام تقىّ الدّين بن دقيق يسأله عن ذلك ، فأنشده إياهما ، فقال له : قل : « وماحسن كهفٍ » ، فقال : ياسيّدى أفدتَنِي وأفتيتَنِي .

* * *

خاتمة

قال الزركشىّ فى البرهان : لا يجوز تعدّى أمثلة القرآن ؛ ولذلك أنكِر على الحريرىّ قوله [3] : « فأدخلنِي بيتاً أحْرَجَ [4] من التابوت ، وأوْهى من بيت العنكبوت » . وأىّ معنًى أبلغ من معنًى أكده الله من ستّة أوجه ؛ حيث قال : ﴿ وإنَّ أوْهَنَ

---

(١) سورة الزمر ٦٥ — (٢) سورة الروم ٦٠

(٣) فى مقامته الفرضية ، وهى الخامسة عشرة ١ : ٢٣ — بشرح الشريشى .

(٤) أحرج : أضيق .

البيوت لبيتُ العنكبوت ﴾[١]، فأدخل «إنّ» ، وبنى أفعل التفضيل ، وبناه من الوَهَن ، وأضافه إلى الجمع ، وعرّف الجمع باللام ، وأتى فى خبر « إنّ » باللام [٢] .

لكن إستشكل هذا بقوله تعالى : ﴿ إنّ الله لا يَسْتَحْيِي أن يضرب مثلاً مابعوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ﴾ [٣] ، وقد ضرب النبيّ صلىّ الله عليه وسلّم المثل بما دون البعوضة ، فقال : « لَوْ كانتِ الدُّنْيَا تَزِن عند الله جناح بعوضة [٤] ... » .

قلت : قد قال قوم فى الآية : إن معنى قوله : ﴿ فَمَا فَوْقَهَا ﴾ فى الخِسّة ، وعبّر بعضهم عن هذا بقوله : معناه : « فما دونها » ، فزال الإشكال [٥] .

* * *

تمّ الجزء الأول من كتاب الإتقان فى علوم القرآن
للإمام السيوطى ويليه الجزء الثانى وأوله : الباب
السادس والثلاثون فى معرفة غريبه ؟

* * *

---

(١) سورة العنكبوت ٤٦

(٢) بعدها فى البرهان : وقد قال الله تعالى : « وإذا قلتم فاعدلوا » وكان اللائق بالحريرى ألا يتجاوز هذه المبالغة ، وما بعد تمثيل الله تمثيل وقول الله أقوم قيل ، وأوضح سبيل . . . »

(٣) سورة البقرة ٢٦

(٤) نقله السيوطى فى الجامع الصغير ١ : ٢٢١ عن الترمذى ، ولفظه فيه : « لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضه ماسقى كافرا منها شربة ماء » .

(٥) البرهان ١ : ٤٨٤

فهرس الموضوعات

* الأرقام في الذيل .

صفحة

النوع الأول

* * *

النوع الثاني

* * *

النوع الثالث

صفحة

الصفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

تنبيه

وقع بعض الأخطاء المطبعية فى بعض آيات القرآن الكريم نذكر صوابها فيما يلى ، وبقية الاستدراكات والتصحيحات نذكرها فى آخر الكتاب إن شاء الله .

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٦٠	١٠	لِازواجك	لأزواجِك
٦١	١٥	الْذين	الّذين
١١٥	٥	الْحافظين	الحَافِظينَ
١١٦	٥	ليلةَ القدْرِ	ليلَةِ القدْرِ
١٢١	٥	فؤادُك	فؤادَك
٢٢٧	١٢	الأمين على قلبك	الأمينُ * على قلبك
١٥٥	٤	نستيعين	نستعينُ
٢٤٠	١٣	لُبدًا	لِبَدًا